مبادئ العلوم الإجتماعية

تأليف

اليزابس وليكينز

تعريب

لجنة متخصصة

المكتبة المصرية

٣ ش أحمد ذو الفقار - لوران الإسكندرية
تلفاكس ٠٠٢/٠٣/٥٨٤٠٢٩٨٠
محمول ٠١٢/٣٥٥١٨٤٨٠

[redacted]

مبادئ العلوم الإجتماعية

اليزابث ويلكينز

مراجعة التعريب والترجمة والإعداد

دكتورة / فادية عمر الجولاني

٢٠١٠

المكتبة المصرية
للنشر والتوزيع

١٩ ش محمود يوسف - الطالبية - فيصل
تليفاكس: ٠٠٢/٠٢/٣٥٨٢٨٩٦٢
٠٠٢/٠٢/٣٧٨٢٦٥٩٠

- اسم الكتـــــاب : مبادئ العلوم الاجتماعية
- اسم المـؤلـف : فادية عمر عبد المنعم
- سنة النشـــــر : ٢٠١٠
- الطبــــعـــة : الأولـــى
- اسم الناشـــــر : المكتبة المصرية للنشر والتوزيع
- الـــعـــنـــوان : ١٩ ش محمود يوسف/ الطالبية/ فيصل
تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٣٥٨٢٨٩٦٢ - ٠٠٢٠٢/٣٧٨٢٦٥٩٠
محمـول : ٠١٢/١١٥٠٤٠٨٠
Egyption_library@yahoo.com
- رقـم الإيـداع : 2009/ 20372
- الترقيم الدولي : I. S. B. N. 978 - 977 - 411 - 463 - 6

دار الكتب المصرية
دار الكتب والوثائق القومية فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

ويلكينز، اليزابيث.
مبادئ العلوم الاجتماعية/ اليزابيث ويلكينز؛ مراجعة التعريب والترجمة والإعداد فادية عمر الجولاني.- الجيزة: المكتبة المصرية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠
٢٠٨ ص ، ٢٤ سم
تدمك 6 463 411 977 978
١- العلوم الاجتماعية
أ -العنوان
٣٠٠
رقم الإيداع/ 20372 التاريخ: ٢٠٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الموضوع	الصفحة

موجز مقدمة الطبعة الأولى

رغم حداثة علم الإجتماع بالقياس للعلوم الأخرى والفترة الزمنية التى مرت على ظهوره كنسق علمى. إلا أنه قد صار من الموضوعات الشائعة للدراسة. فقد اهتم الناس دائماً بكل شيء يدور حولهم ماعدا تلك المجتمعات التى يعيشون فيها. غير الإقلال المائة سنة الأخيرة قبل صدور هذا العمل قد ظهر إهتمام فعلى بالدراسة العلمية للسلوك الإجتماعى بصورة أكثر من مجرد التأمل والتناظر حول هذا السلوك.

ولقد لمع بريق بعض الدراسات للعديد من الفلاسفة وخاصة تلك التى دارت حول المجتمع المثالى أو نموذج المجتمع. ومع ذلك فإنه وحتى منتصف القرن التاسع عشر لم يعنى ببحث طبيعة المجتمع الفعلى بطريقة موضوعية إلا القليل من الناس.

وفى السنوات الحديثة حدث تقدم فجائى فى الإهتمام بعلم الإجتماع والدراسات الإجتماعية ومن ثم حظيت موضوعاته بالقبول وأصبح لها مكاناً فى العديد من المدارس والكليات بعد أن كان الإهتمام محصوراً فى القليل من أقسام الجامعات.

ونظراً لأن علم الإجتماع ما يزال بعد من الموضوعات الحديثة التى ادرجت ضمن المقررات الدراسية، فى الجامعات، فما تزال حاجة طلاب هذا التخصص ملحة لتوفير الكتب المرجعية التى تغطى مجال علم الإجتماع والدراسات الإجتماعية.

وما نأمله أن يكون العمل الحالى مفيداً بالنسبة لهؤلاء الذين يدرسون هذا التخصص بموضوعاته المختلفة.

يوليو ١٩٧٣.

E. J. W.

موجز مقدمة الطبعة الثانية

منذ الطبعة الأولى لنشر هذا الكتاب بعنوان مبادئ علم الإجتماع. زاد التوجه لدراسة المجتمع بهذا المدخل. وهذه الحركة قد عكستها بوضوح ظهور هذا التوجه في العديد من الأعمال العلمية التى انجزت فى مجال العلوم الإجتماعية. وعليه فقد وسعنا من نطاق ونظرة هذا الكتاب ليتضمن موضوعات لا تنحصر فى نطاق علم الإجتماع ولكن تشمل العلوم الإجتماعية بالمثل.

وهذا ما ننظر له على أنه يتلاءم مع ظهور هذا الكتاب بهذا العنوان «مبادئ العلوم الإجتماعية».

ومع أن الطلبة الذى يستخدمون هذا الكتاب سوف يكون لهم إهتمام خاص بالبناء الإجتماعى لبريطانيا الحديثة. إلا أننا نأمل بأن يشجعهم لأن يسعوا لفهم مجتمعهم، وليطوروا مدخل أكثر ملاءمة على أساس مقارن فى دراساتهم.

نوفمبر ١٩٧٨.

E. J. W.

Elements of Social Science

Elizabeth J. Wilkins.

* *First Publ. as Elements of Sociology, 1973.*
* *Second Publ. as Elements of Social Science, 1979.*

الفصل الأول
المدخل للعلوم الإجتماعية

- علم الإجتماع.
- الإقتصاديات.
- الأنثروبولوجيا.
- علم النفس الإجتماعي.
- علم السياسة.
- البحث حول المجتمع.
- دراسة الحالة.
- الملاحظة بالمشاركة.
- المسح.
- لغة العلوم الإجتماعية.
- بعض المصطلحات الهامة.

الفصل الأول

المدخل للعلوم الإجتماعية

تمهيد :

يرتدى العلماء الإجتماعيين قبعات متنوعة التى تحمل بطاقات مختلفة مثل عالم الإجتماع، الإقتصادى، عالم النفس، الانثروبولوجى أو عالم السياسة. بعض من تلك المجالات يعتبر أكثر حداثة من غيره. فمثلاً، قبعات علماء الإجتماع تشير إلى أن عمرها يقل عن مائة عام، ولكن تلك التى ارتداها الإقتصاديون تدل على أن عمرها ضعف ذلك.

وتدل كل بطاقة على ميدان خاص من الدراسة، وكل منها يركز على ناحية خاصة من السلوك البشرى، ولكل قوامه من النظريات وطرق البحث. وتميل تلك البطاقات إلى تعتيم الكثير من العلاقات التى قد يتوقع من يكون خارج دائرتها أن يجد بينها مختلف العلوم الإجتماعية، حيث أنها تهتم بطريقة ما مع دراسة البشر وسلوكهم فى المجتمع.

والصعوبة الكبرى هى أنه يصعب كثيراً على عالم الإجتماع أن يدرس هذا الكم المعقد من الأنشطة التى تستوعب السلوك الإجتماعى. وسوف يجد نفسه غارقاً لدرجة أنه لا يعرف من أين يبدأ. فمهمته، على أية حال، ستكون سهلة إلى حد كبير إذا كان عليه أن يختار أنماطاً معينةً للدراسة، ويركز عليها. وهذا فعلاً ما يفعله مختلف علماء الإجتماع. وبمجرد قيامهم بإختيارهم، سيعمدون إلى أن يتجاهلوا كل المناشط الأخرى، والمساوية لها فى الأهمية، والتى يعلمون أنها تحدث عادة، والتى قد تشتت فكرهم بعيداً عن بحثهم.

وهذا هو السبب الذى حرى بالعلوم الإجتماعية أن تقسم إلى عدد من الأجزاء المنفصلة، يحمل كل بطاقته البحثية. ومن المهم أن علينا أن نتذكر، على أية حال، أن السلوك الإجتماعى حقيقة لا ينقسم إلى مثل هذه المجالات المميزة، وأيضاً أنه ليس بين العلوم الإجتماعية ما يدعى السيادة أو الإحتكار فى النواحى المعرفية. وإذا ما أردنا إجابات كاملة عن كل الأسئلة التى نوجهها حول السلوك الإجتماعى، فعلينا ألا نتوقع أن نحصل على تلك الإجابات من واحد فقط من العلوم الإجتماعية. فلكل إسهاماته القيمة فى معارفنا.

أولاً: علم الإجتماع:

علم الإجتماع هو العلم العام للمجتمع، لذا فهو مهتم بكل العلاقات المتنوعة والأنشطة التى تميز السلوك البشرى. إنه يبحث عن تفسير لماذا يحدث هذا السلوك، وما هى عواقبه، وكيف ينظم وكيف يُحكم. من الواضح أن مدى علم الإجتماع واسع جداً، ولذا فهو يجب إعتباره أن يكون كالشمسية (المظلة)؛ إنه موضوع يغطى مدى كبير من الدراسات المنفصلة أو المتخصصة.

ولو أنه يجب على عالم علم الإجتماع أن يكون واعياً للأسس العامة للعلم، وإذا ما أراد أن يصنع تقدماً وأن ينجز معرفة جديدة، فسوف يختار وجهة لمزيد من الدراسة والبحث. فقد يختار أن يركز على علم الإجتماع التعليمى، أو علم الإجتماع الدينى، أو علم الإجتماع الصناعى، ولكنه لا يأمل أن يدرس بعمق كل علم الإجتماع فى حد ذاته.

وهذا لا يجعل علم الإجتماع مختلفاً عن أى من العلوم. فاليوم لا يدعى أى شخص ممن يسمى نفسه كيميائياً، طبيباً أو عالم رياضة لا يدعى أن لديه معرفة تفصيلية عن كل نواحى علمه، ولكن لديه عن ما يختاره منها.

إنه ليس بمقدار ما درسه علماء الإجتماع، ولكنه بالطريقة التى فعلوا بها

ذلك، وهذا ما يميز علم الإجتماع عن غيره من الأنظمة التعليمية المهتمة بالمجتمعات البشرية. ووجهة النظر التى ينظر بها للموضوع تشير إلى إعتباره المنظور الإجتماعى، وهى تقود عالم الإجتماع إلى تكوين إطاراً لأسئلتهم عن مجتمع بطريقة أنهم مشاهدون لما يأتى من نظامهم الخاص.

يسعى عالم الإجتماع أولاً لتحليل وتصنيف الأنماط المختلفة للعلاقات فى المجتمع، والتى ينتج عنها مثل هذه الظواهر الإجتماعية مثل الجمعيات والأنظمة التى ينظم بها سلوك الأفراد ويُحكم. ولو أن كل البشر متساوون أساساً لأنهم متساوون فى الدوافع وبخاصة الحاجة إلى البقاء والتخليد – فإن وسائل محاولة إشباع تلك الحاجات تختلف بشكل واضح. هذا يعنى أنه سينشأ تنظيمات وتتطور، وأن السلوك الإجتماعى والعلاقات ستتأثر تبعاً لذلك.

وعلماء الإجتماع فى دراستهم لتلك العلاقات سيمكنهم تفسير كيف أن السلطة والقوة مشتقة فى المجتمع، ولماذا توجد بعض العادات والممارسات. ولو أنهم يظهرون قدراً كبيراً من الفضول عن تلك الأنماط من السلوك. فإنهم سوف يتبعون مواقف عادية محايدة، وسوف لا يصدرون أحكاماً عما إذا كان ما يكتشفونه صحيحاً أو خطأ، حسناً أم سيئاً. وبمثل ما يدرس العلاقات الإجتماعية يحاول علماء الإجتماع إقامة إتصال بين العناصر المختلفة للحياة الإجتماعية.

وسوف يدرس العلاقات بين النظام السياسى والنظام الإقتصادى، مثلاً، أو بين المعنوى والشرعى والأنظمة الدينية. وما يحصل عليه من معلومات من هذا النمط من الدراسةسيتيح لعالم الإجتماع أن يفسر الإشتباكات وتغيرات كل المجتمع والتى تحدث فى جزء خاص منه، ولو أن علماء الإجتماع غير مسؤولين عن تأكيد تفسيراتهم وعما إذا كانت مقبولة أو تؤثر فيه. على أية حال فإنهم يقدمون المعلومات التى يستعملها السياسيون وغيرهم من المهتمين فى الهندسة الإجتماعية كأساس لمناشطهم.

يهتم علم الإجتماع كعلوم الطبيعة بالبحث عن الأسس الصالحة للتطبيق عالمياً – الأسس التى يمكن الإشارة إليها كقوانين طبيعية للسلوك الإجتماعى. على أية حال، على حساب تعقد الظواهر الإجتماعية، والحقيقة البادية بأنه توجد متغيرات مستقلة ومتداخلة تمثل بالنسبة لهذا البحث عدداً من الصعوبات، وتتيح مجالات كبيرة للجدال.

لذا يبدى علماء الإجتماع المحدثين إهتماماً أقل مما كان يبديه الأشقاء السابقين مثل دوركايم، وفيس فى البحث عن نظريات شاملة، ويركزون بدلاً من ذلك على وضع مقترحات إجتماعية ذات مجال فكرى محدود. وغالباً يجدون من يشهد أو يدعم تلك المقترحات وينصفها على وجه السرعة، بينما يجدون فى البحث على نطاق واسع أمراً منهكاً للوقت بل ومحبطاً فى بعض الأحيان. واليوم يعتبر كثير من علماء الإجتماع، أن الأكثر أهمية هو أن نطور نظريات خاصة ذات طابع محدود، بدلاً من أن نكرس إنتباهنا الكبير إلى تطوير نظريات أوسع نطاقاً وصالحة للتطبيق عامة. وتعرف النظريات المحدودة بأنها «النظريات ذات المدى المتوسط».

وأخيراً، يؤدى علم الإجتماع وظيفة قيمة فى تجميع البيانات الخاصة بالنظم المتنوعة فى ميدان العلوم الإجتماعية، وإيجاد العلاقة بينها. وهذا يتيح فرصة أكبر للمدركات التى تقع فى حياة المجتمع لكى تأخذها بعين الإعتبار. فمن المحتمل أن يهمل المتخصصون تلك المدركات أثناء عملهم فى دراستهم للميادين الخاصة. فقد يفشلون فى أن يلحظوا العلاقة بين الخشب والأشجار.

وعلى حساب هذه الوظيفة الأخيرة لعلم الإجتماع يعتبره البعض وكأنه «ملك» العلوم الإجتماعية.

ثانياً: الإقتصاد:

يحدد علماء الإقتصاد مجال دراستهم فى كيف يمكن للأفراد والمجتمعات أن تستعمل المصادر الإنتاجية المتاحة، وكيف تتقاسم السلع والخدمات. ويقوم الإقتصاديون كما يفعل علماء الإجتماع بإعداد فروض يؤسسون عليها نظرياتهم، فيفترضون مثلاً أن الإنسان يُقيم سلوكه على التعقل، ولو أنهم يقيدون إعترافهم بذلك، ففى الحقيقة يسلك بعض الناس سلوكاً أكثر تعقلاً من غيرهم.

قد يبدو من النظرة الأولى أن هناك القليل مما يشيع بين الإقتصاد والإجتماع، ولكن هناك عدد من الطرق التى تتمكن من مساعدة كل نظام على تدعيم الآخر. ويستطيع علماء الإجتماع أن يقدموا للإقتصاديين المعلومات التى يتطلبها فهم لماذا أن بعض الناس لا يسلكون سلوكاً واحداً بنفس الدرجة من التعقل. ويمكنهم أيضاً تفسير كيف أن السلوك الإقتصادى يتأثر بعوامل غير إقتصادية مثل الأسرة، التعليم، الطبقة الإجتماعية، الدين وهكذا.

بالمثل، يستطيع الإقتصاديون أن يساعدوا عالم الإجتماع الذى يدرس أثر العوامل الإقتصادية على السلوك الإجتماعى، مثلاً، بينما يهتم مبدئياً عالم الإجتماع بالبحث عن الآثار الإجتماعية المترتبة على البطالة، ومدى هذه البطالة، وأسبابها، وإحتمالات فترتها، يمكنه أن يفهم ذلك فقط بالإشارة إلى التنظيمات الإقتصادية المتعلقة بدوره بالدورة التجارية، والإستثمار، والتضخم المالى.

القسم الأكبر الموجود بين النظامين ينبع من الحقيقة أنهما ينظران إلى الإنسان من وجهة نظر مختلفة جداً، يدرك الإقتصاديون الناس على أنهم ليسوا كمخلوقات إجتماعية، يؤدون العديد من المناشط المتداخلة والمتصلة، ولكنهم بالأحرى كجزء من المدد والدعم الخاص بالعمالة المتاحة.

ثالثاً: الانثروبولوجيا:

كان علماء الانثروبولوجيا يميلون فى الماضى إلى التركيز على دراسة الثقافات فى المجتمعات البدائية أو ما دون التعليم، ولو أنهم حالياً وسعوا مجال عملهم ليشمل دراسات المجتمعات «الشعبية» المعاصرة، وأيضاً المجتمعات الصناعية الحديثة. ولأن بعض علماء علم الإجتماع صار لديهم فى نفس الوقت إهتمامات فى بعض النواحى الخاصة بالسلوك الإجتماعى فى المجتمعات الأكثر بدائية، إقترب النظامان الانثروبولوجى والإجتماعى من بعضهما.

على أية حال، لا يزال لدينا العديد من الفروق البينة، وتلك الفروق نتيجة للتوجهات والطرق التى يستعملونها فى إستقصائهم وأبحاثهم، فبينما تبنى عالم الإجتماع توجهاً مادياً، ويحاول أن يبنى أنمطاً عامة فى ميدان الظواهر الإجتماعية، يكون عالم الانثروبولوجيا أكثر تركيزاً على دراسة شخصية لثقافة واحدة يشاهدها، حتى لأنه يعيش فيها كعضو بالبيئة الإجتماعية، ويصبح مساهماً نشطاً فيما يدرسه.

وعلماء الانثروبولوجيا أيضاً غالباً ما يستعملون المعلومات التى يحصلون عليها عن الثقافة من أعضاء الجماعة نفسها. هذا يعنى أنه ولو أنها قد تكون مسلية أو متنوعة، قد لا يعتمد عليها بدرجة كافية لتكون أساساً للتحليل الحقيقى. لذا فإن علم الأجناس البشرية يكون وصفياً أكثر وأقل تحليلياً من علم الإجتماع.

وعلماء الانثروبولوجيا كعلماء الإقتصاد كانوا إختياريين فى النواحى الخاصة بالمجتمعات أو الجماعات التى إختاروها للدراسة. فدائماً كانوا مهتمين أساساً ببناء القرابة وسلوك الطقوس، ولو أنهم ينتهزون الفرصة لدراسة الأنظمة السياسية والإقتصادية التى تكون جزءاً من الأنظمة الإجتماعية التى فحصوها.

على أية حال، فإن هناك القليل الباقي من المجتمعات القَبَلية البدائية لم تتغير بإتصالها مع الأفكار والتكنولوجيا الخاصة بالأمم الصناعية الحديثة، وكان هناك تقدم ملحوظ في ميدان البحوث المتكاملة. ولقد قامت مشروعات تتضمن مندوبين عن العلوم الإجتماعية المختلفة. وهذا يعني أن علماء الانثروبولوجيا والإقتصاديين، وعلماء السياسة، وعلماء علم الإجتماع وجدوا أنفسهم غالباً يعملون جنباً إلى جنب في دراسة مجتمعات غُصت بالتنمية الإقتصادية والتغير الإجتماعي ذات الإهتمام المشترك بينهم.

رابعاً: علم النفس الإجتماعي:

هذا هو علماً إجتماعياً يتضمن اسمه مزيجاً لبعض موضوعات علم الإجتماع مع بعض موضوعات علم النفس. ولهذا يكون علم النفس علم الطبيعة، والوظائف، وظاهرة العقل البشري، وتتضمن دراسة كلاً من علم وظائف الأعضاء والسلوك العصبي الموجه. علم النفس بين كل الأنظمة التي تركز على السلوك يمثل العلم التجريبي، وذلك راجع لما يحصل عليه من معلومات نتيجة للإستعمال الشامل وبعناية للفنون التجريبية المنضبطة. على أية حال، فإن تأكيدها الأساسي على الفرد، ودراسة السلوك الفردي في عزلة عن البيئة الإجتماعية هو جزء فقط من الدراسة الواسعة للسلوك الإجتماعي.

يسعى علم النفس الإجتماعي للكشف عن كيف يتعدل السلوك الفردي نتيجة للتفاعل مع غيره من الناس. وسوف يريد أن يعرف لماذا هو هكذا مع نفس الأحوال، فإن الأفراد لا يسلكون دائماً بنفس الطريقة، وسوف يختبرون العلاقات بين عوامل في البيئة الإجتماعية والعملية العقلية للفرد لكي يجد إجابة. يقدم علم الإجتماع النفسي إسهاماً كبيراً لمفهومنا لتنمية الشخصية، وسلوك الأفراد داخل مجموعات، وظاهرة الجماعة مثل القيادة والإنحراف.

قد يكون هناك تداخلاً كبيراً بين علم النفس الإجتماعى وعلم الإجتماع وبين أى من العلوم الإجتماعية. كلا النظامين قدم المعلومات التى قدمها الآخر، وهذا التغير المتبادل للمواد قد عَظّم قيمة التفسيرات التى أعطتها للظاهرة التى كانوا يدرسونها فى داخل مناطقهم الخاصة.

خامساً: علم السياسة:

كان إهتمام علم السياسة تقليدياً يقتصر على وصف النظم السياسية وكيف أسست وكيف تعمل. وحديثاً تبدل الوضع ليهتم بالموضوع كآلية حكومية، والطريقة التى تعمل بها الإدارة العامة، وإهتماماً أكبر بسلوك الأفراد فى الموقف السياسى. وأصبح الآن من الأمور الشائعة أن نجد علماء السياسة يقومون بتحليل عملية سلوك التصويت، وتطور الأحزاب السياسية، ودور جماعات الضغط، مثلاً، أكثر من وصفهم للتركيب الرسمى للنظم السياسية.

هذا التبدل نحو الإتجاه السلوكى تسبب غالباً للتمييز بين علم السياسة وعلم الإجتماع السياسى أن يختفى. كلاهما يدرسان نفس الظاهرة، وبالنسبة إلى علماء السياسة أصبح يحق لنا أن نقول أن دراسة السلوك أصبح تخصصاً فى نظر علم الإجتماع كدراسة السلوك الدينى أو العلاقات الإنسانية فى الصناعة: لقد كان لكل من العلوم السياسية وعلم الإجتماع تاريخاً مختلفاً، ولكن الآن اشتركا فى التوجه، وطرق البحث، والمصطلحات. ويشار إلى علم الإجتماع، والإقتصاد، والانثروبولوجيا، وعلم النفس الإجتماعى، وعلم الإجتماع السياسى بأنها فى مجموعها تشكل العلوم الإجتماعية. ولكن هناك عدد من الأنظمة الأكاديمية التى لها أيضاً إسهامات فى نواحى الحياة البشرية، وكأساس لها. التمييز الأساسى بين العلوم الإجتماعية والإنسانيات كما تسمى، هو أن الأخير يعوزه عناصر الطرق العلمية الرسمية. التاريخ مثلاً يهتم بمنطق وتداعى الأحداث السابقة، بينما

يعتبر الأخلاق كيف يجب أن تكون الأشياء بدلاً من أن كانت فعلاً. الحقيقة أن كثيراً من الناس بطريقة ما شغلوا أنفسهم بدراسة البشر، والعلاقات الإنسانية، والمجتمعات الإنسانية، على أية حال هذا دليل على أهمية هذه المسائل الهامة، وتعقد الموضوعات التي تناولتها.

سادساً: البحث حول المجتمع:

إذا ما إستمعت إلى أي جماعة من الناس يتبادلون جدالاً أو حتى يمارسون نقاشاً حاراً، سوف نلاحظ أنهم يحاولون أن «يبرهن» كل واحد للآخر أن وجهات نظرهم وآرائهم هي الصحيحة. هناك حاجة لرجل الشارع أن يصبح غير شخصي ولا يظهر إنحيازاً كبيراً، ولكن إذا ما أردنا الإتكال على مخزوننا المعرفي عن المجتمعات الإنسانية والسلوك الاجتماعي، ومسبحة طويلة من الرأي المبتسر، ونصف الحقيقة، والفضول والشائعات، سوف تكون كلها لا قيمة لها.

إذا ما أردنا حقيقة أن نفهم كيف يعمل المجتمع، فإنه يجب أن نكون حذرين وأن نضع جانباً كل ما أمكن ذلك، ميلنا وآرائنا الشخصية، ونسعى إلى توجه موضوعي عن الظاهرة التي نتقصى عنها. وقد طور علماء الإجتماع عدداً من الطرق والفنون المختلفة التي يمكن إستعمالها عند التقصي عن المجتمع.

سابعاً: دراسة الحالة:

يمكن أن يكون من الأمور المُعينة عندما نريد أن نكشف عن شيء أن نختار مثالاً واحداً منه عن قرب. ودراسات الحالة أحياناً تقوم على فرد واحد، وأحياناً على جماعة مثل الأسرة، ونادي الشباب، والمدرسة.

من الواضح، أن هذه الطريقة تكون ذات قيمة فقط، إذا ما تأكدنا من أن المثال الذي إخترناه للدراسة ممثلاً. إذا ما كان لدينا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد

أن هناك كثير من التشابه بين كل الأفراد أو الجماعات التى جعلتنا نقوم بإختبارنا الأصلى، وقد يكسبنا قدراً كبيراً من البصيرة التى يمكن أن تساعدنا على تطبيقات أكثر عمومية. مثلاً، قد نريد أن نتكشف كيفية الحياة عن الزوجات والأطفال لرجال يمضون عقوبة السجن. فقد يتوفر لدينا معلومات كثيرة من دراستنا المفصلة عن أسرة سجين، وعن أنواع معينة من المشاكل التى تواجه هذه الأسر.

إن التوجه لدراسة الحالة غالباً ما يستعمله العاملون فى أفلام التليفزيون التسجيلية، وبخاصة المهتمين بالمشاكل الإجتماعية المعاصرة مثل التقارير التى يعرضها برنامج «رجل مرح». وسوف تركز البرامج من هذا النوع على قصة أناس حقيقيين تتأثر بها حياتهم. وواحدة من إستعمال هذا التوجه هو أنها تساعدنا على التفكير عن الناس كأفراد، هناك بحوث كثيرة وعلى نطاق واسع تمدنا بثروة من المعلومات الهامة. ولكن أحياناً تكون هذه المعلومات غير شخصية.

ثامناً: الملاحظة بالمشاركة Participant observation :

هذه الطريقة للبحث كانت فى وقت ما مصاحبة لأعمال علماء الانثروبولوجيا، ولكن أخيراً صار يعترف بها كل علماء العلوم الإجتماعية كأداة مفيدة فى التقصى عن الجماعات والمنظمات غير المألوفة.

يحاول الباحثون الذين يختارون هذه الطريقة أن يصبحوا جزءاً من الجماعة التى يدرسونها. ويأملون بإتخاذ موقفاً كجزء فى مختلف المناشط المتعددة للجماعة، يأملون بذلك أن يكتشفوا ما يشعرون به كفرد منهم. وهو أيضاً يتوقع أن يعرف جيداً الناس الذين يمدونه بالمعلومات. وقد يحدث أنه بإنشاء علاقات قريبة منهم يمكنه أن يتكشف أشياء مما لا يمكنه أن يكتشفها بأى طريقة أخرى.

وتعتبر طريقة المشاهدة بالمشاركة طريقة مرنة للتقصى، لأن الباحث يمكنه إستعمال عدداً من الفنون المختلفة لجمع المعلومات، بينما يتخذ جزءاً من مناشط

الجماعة. ويمكن للمشاهد أن يجرى مقابلة مع أعضاء من الجماعة، بجمع الوثائق، وقد يسجلون على أشرطة، حتى لأنهم يقومون بإختبار مشاعرهم وإستجاباتهم لأحداث تقع أثناء قيامهم بدورهم فى الجماعة. ويمكن للباحثين الذى يختارون هذه الطريقة عمل نظام لتسجيل المذكرات، وحفظ التسجيلات التى تناسب أغراضهم الخاصة. ولا يوجد قواعد سريعة وصعبة للمشاهد المشارك التى يمكن تعلمها أو يمكن إتباعها.

على أية حال، يوجد بعض المشاكل التى من الممكن أن يتلقاها علماء العلوم الإجتماعية الذين يريدون إستعمال هذه الطريقة لتقصيهم. هناك طبعاً، بعض الجماعات التى يكون من الصعوبة أن يلتحق بهم كمشاهد. مجلس الوزراء، عصابة من المجرمين، مثلاً، على أية حال نعترف أن إكتساب الدخول إلى جماعة مختارة هو الصعوبة الأولى التى يقابلها المشاهد وهى ليست دائماً مشكلة سهلة يمكن تخطيها.

إن وجود المشاهد فى الجماعة سوف يؤثر على سلوك الأعضاء الآخرين إلى حد ما، وعليه أن يتخذ حذره من أن يؤكد أن الدور الذى يلعبه يكون محايداً ما أمكن ذلك. ولأن هذه الطريقة تقدم كمية واسعة من المواد، فهى أيضاً تأتى بمشاكل عندما تأتى إلى نقطة تحليل البيانات. فمن الصعب دائماً على الباحث أن يختار من بين ثروة المعلومات التى جُمعت ويعرض معطياتها على نسق جيد.

يثير المشاهد المشارك عدداً من المشاكل الأخلاقية. ماذا يمكن للباحث أن يعمل بالمعلومات التى أعطيت له فى سرية بمعرفة أعضاء الجماعة الذين أتوا إليه باعتباره صديقا؟ هل على الباحث الذى يستعمل هذه الطريقة أن يقول لكل من يقابله أنه عالم إجتماع يقوم ببحث ويخاطر بشك الجماعة فيه وحتى بمخاصمته؟ هل له أن ينشر ما جمع إذا لم تكن الجماعة راغبة فى ذلك؟.

تاسعاً: المســـح :

إذا ما صنعت حلّة من الحساء، فإنه من المحتمل أن تأخذ ملعقة لتذوق ما وضعته من ملح أو حتى لتعرف هل هذا ما تريده، بمعنى أنك تأخذ عينة لتكشف عن الكل. هذا تماماً هو نفس الأساس الذى يعتمد عليه العلماء الإجتماعيين لأخذ مسح بالعينة لكل الجماعة.

يُجرى فى إنجلترا كل عشر سنوات احصاء، وعلى رب كل أسرة فى الأمة وبحكم القانون أن يستوفى استبياناً. وهذا العمل مكلفاً للغاية فى كل من المال وجهد الرجال المطلوبة لجمع وتحليل المعلومات المطلوبة. ما لم تكن الجماعة موضوع الدراسة صغيرة جداً، فمن المحتمل أن يكون المسح الإحصائى شامل كل عضو فى هذه الجماعة وهذا أمر غير عملى، ولا يمكنه إدارته بالنسبة للعالم المشترك فى البحث. وبدلاً من ذلك يقومون بدراسة نسبة من كل الجماعة بعد عمل قائمة عامة عن أعضاء الجماعة على أساس ما إكتشفوه من عينتهم، وبشرط أن تكون العينة ممثلة، وهذه الطريقة يعتمد عليها.

هناك طرقاً مختلفة لإختيار عينة الدراسة، ويعتمد فى إختيار الطريقة التى ستستعمل إلى حد بعيد على ما يتاح من تمويل لإجراء المسح، ومدى الإتقان المطلوب. العينة العشوائية: تعتبر أكثر شكل للعينة يعتمد عليها إحصائياً. وهى تعنى ببساطة أن كل عضو فى الجماعة موضوع الدراسة، أو أن الجمهور كما يقال لها فى المسح – قد أعطى نفس الفرصة المتاحة لأى شخص. إجراء القرعة، أو سحب الأسماء من قبعة طرقاً لعمل إختيار عشوائى طالما كان كل واحد مشتركاً. على أية حال فإنه من الصعوبة بمكان أن تختار عينة سليمة عشوائياً إذا كانت أعداد الجمهور كبيرة. الأرقام الرابحة تختار عشوائياً، وبسبب إشراك العديد فى السحب فإن الأمر يحتاج إلى كومبيوتر لعمل الإختيار. فأنت من المؤكد تعلم

بوجـــود ERNIE (جهاز يستعمل اسبوعياً وشهرياً لإختيار دفعة من الرابحين للوثائق القومية). وقد لا نعلم أن اسمه الصحيح هو جهاز الكترونى مؤشر للأعداد العشوائية.

هناك طريقة أرخص وأسهل لإختيار عينة هى عينة الحصة لقد أعطى للعاملين فى الميدان، وأُنيط بهم القيام بمقابلات مع موصلى الخبر حصة من الجمهور المطلوب سؤالهم. وأن هذه الحصة يقصد بها أن تشمل النسبة الصحيحة للأفراد ممن يحملون صفات خاصة – العمر، الجنس، المكانة الإجتماعية الخ التى تقابل خصائص الجمهور ككل.

عينة الحصة هى التى تستعملها غالباً المنظمات التجارية التى تقوم بمسوح الرأى العام وأبحاث السوق. ورغم أنها تعتبر طريقة سريعة للحصول على عينة وجمع المعلومات، فإن إتقان مسح قائم على الحصة، يعتمد عى الطريقة التى يتصدى بها العاملون للمقابلة، وكيف تكون المرتبة مثالية بالنسبة لموصلى الخبر. وقد إتفق عامة على أن عينة الحصة تكون مناسبة فقط عندما يريد الباحثون أن يكشفوا عن شىء عن الإتجاه العام أكثر من البحث للحصول على نتائج متقنة أو يعتمد عليها.

عاشراً: لغة العلوم الإجتماعية:

كثير منكم يعرفون الشعور الذى ينتاب مريض فى المستشفى عندما يستمع إلى الأطباء عند مناقشتهم لتشخيصهم. فللأطباء لغتهم المهنية الخاصة بهم، وعندما يتحدث كلاً منهما مع الآخر، فإنهم يستعملون كلمات مختلفة عن تلك التى يستعملونها لشرح طبيعة المرض لمريض. وأيضاً يستغرق الأطباء وقتاً أطول لشرح شىء ما للمريض عن ذلك عند الشرح لبعضهم، لأن المريض لم يعتاد على المصطلحات الطبية.

ليس الأطباء وحدهم لديهم لغة مهنية. على أية حال فإن الكلمات تستعمل لحمل الأفكار والناس الذين يفكرون بإستمرار نفس الآراء أو يمارسون نفس العمل سوف يكون لديهم كثير من الكلمات الخاصة التى يستعملونها عندما يرغبون فى الإتصال بينهم. ولأنهم جميعاً يألفون المعانى التى تدل عليها تلك الكلمات فلا يحتاجون أن يعُرِّفوها لبعضهم، ولكن عليهم أن يشرحوا مدلولها لمن يكون خارج الجماعة. المحامون، الأطباء، الصيادلة، علماء الطبيعة، المحاسبون، لديهم جميعاً لغة مهنية أو مصطلحات خاصة.

لذا فلا يدهشنا أن تؤسس العلوم الإجتماعية مصطلحات خاصة بها، يستعملها علماء العلوم الإجتماعية ويألفونها جميعاً.

الحادي عشر: بعض المصطلحات الهامة:

١- المجتمع Society:

تستعمل كلمة مجتمع لتغطى كل نسيج العلاقات الإجتماعية التى تنتج عن إجتماع الأفراد من أجل إشباع حاجاتهم الأساسية. لذا فهو مصطلح عريض وشامل الذى لا حدود له، على أية حال هناك فرق بين المصطلح العام «Society» والمفهوم الخاص «المجتمع».

«المجتمع» يشير إلى عدد من الناس توثقوا مع بعضهم بالعلاقات وأنماط من السلوك الذى جعلهم مختلفون عن غيرهم من الناس الآخرين لا يقاسمونهم نفس العلاقات أو السلوك بنفس الطريقة، المجتمع عادة له حدوده الخاصة، ولكن حدوده الجغرافية أقل أهمية عن كيف يشعر أعضائه عنه وعن كل نحو الآخر.

٢- التنشئة الإجتماعية Socialization:

البشر ليسوا بالغريزة مخلوقات إجتماعية، ولو أنهم يحتاجون إلى أناس آخرين

من أجل حياتهم،ليولدوا مزودين بالمعرفة التى يحتاجون إليها لمعيشتهم فى بيئة إجتماعية منظمة. فعلى كل فرد أن يتعلم كيف يتوافق مع المجتمع، وكل مجتمع يشتمل على عدد من المؤسسات التى تحاول أن تعلمه كيف يتوافق. العملية التى يتعلم بها الفرد أن يكون فرداً فى المجتمع يشار إليها «التنشئة». إذا ما كانت هذه العملية ناجحة فسوف يتبنى الفرد المعتقدات، والإتجاهات، والقيم فى مجتمعه الخاص، وسوف يسلك بطريقة مقبولة. إذا لم تكن التنشئة ناجحة، فسوف لا يتمسك بالأعراف بل سوف يجنح عنها وقد يرفضها نهائياً، وقد يسلك بطريقة غير مقبولة إجتماعياً.

٣- المجتمع المحلي Community :

الجمهور الذى يقطن فى منطقة خاصة يسمى المجتمع المحلى. والمجتمع يتكون من العديد من المجتمعات المحلية. وأعضاء المجتمع المحلى موثقون مع بعضهم بنظام يتقاسمونه الأعراف والقواعد التى ينظمون بها العلاقات بينهم ويجعلونها منضبطة.

لأن المجمعات المحلية قادرة على تقديم كل الأشياء الضرورية لإشباع الحاجات العديدة والمتنوعة للأفراد، يمكن للفرد أن يعيش كل حياته فى البيئة الإجتماعية. فى بلد مثل بريطانيا، على أية حال، فإن البيئات الإجتماعية ليست مستقلة أو ذاتية الدعم، كما لا يمكن للمجتمعات المحلية أن تبقى دون العلاقات مع باقى المجتمعات.

٤- الروابط والجمعيات Associations :

عندما تنظم الجماعات من الأفراد من أجل إنجاز بعض الأهداف المشتركة فإنهم يشيرون إلى جمعيات. وتتكون الجمعيات إما لأن الأفراد يمكنهم القيام بأشياء معاً والتى لا يمكن إنجازها وحدهم، أو لأن يكون لديهم قوة أكبر إذا ما

عملوا معاً. فالناس قد يشكلون جمعيات مثل جماعة الدراما، الكورس، أو فريق كرة القدم للترفيه؛ وقد يجمعون مصادرهم، ويشكلون جمعيات تعاونية بهدف تحسين قدرتهم على إنتاج الغذاء من أرضهم؛ أو يقومون بمشروع تجارى؛ قد ينضمون إلى إتحاد تجارى؛ أو جماعات الضغط من أجل زيادة قدرتهم على المساومة أو التأثير.

خططت بعض الجمعيات عمداً وأوتى بها بهيئات خارجية. هذه الأنماط من الجمعيات، قد أسست على بناءات محددة ورئاسية. وهى قد تبدو أكثر رسمية عن الجمعيات التى تنشأ وقتياً إستجابة لحاجات عدد خاص من الأعضاء.

لا يتكامل أعضاء الجمعيات جيداً، لأن عمومية الأمور بينها تقل ماعدا الهدف الخاص الذى يأملون فى إنجازه. فسائقى السيارات المنتمين إلى جمعية السيارات أو نادى السيارات الملكى مثلاً تقوم على عدد مختلف من الناس. تلك الجمعيات الخاصة مستقرة جداً لأن الأعضاء لديهم إهتمامات ذات الطابع المستمر. ولأن الأعضاء فى الجمعيات بينهم أمور شائعة. وعلى الجمعيات الإختفاء بمجرد إنجاز أهدافها.

٥- النظم الإجتماعية Social institutions :

النظام هو قيام مجموعة من الممارسات والإستعمالات، أو شكل مقبول من الإجراءات بواسطتها ينضبط وينظم السلوك الإجتماعى. وتشكل النظم الإجتماعية وتستديم بواسطة المجتمعات والجمعيات التى لم تكن تقوم بوظيفتها دونها. مثلاً، الزواج نظام ينظم العلاقات الجنسية بين الأفراد، والكنيسة هى نظام ينظم السلوك الدينى.

فإذا ما أراد الفرد أن يفعل أى شيء يشمل أناساً آخرين، فإن ذلك يستلزم منه الدخول فى علاقات إجتماعية معهم، والطريقة التى يفعل بها ذلك سوف تحدد وتنظم بنظام. وقد يحتاج إلى الدخول من خلال شكليات تقدم دعماً إجتماعياً

وقانونياً لسلوكه، كما هى فى حالة زواجه، أو إقامة شراكة تجارية، فأحياناً يحاكى سلوك الآخرين ممن مارسوا فعلاً إجراءاً خاصاً لأداء هذا العمل الذى يريده، وحتى فى ذلك فهى جزئية. وعندما تشير إلى نشاط أو نمط للسلوك على أنه عمل «مطبوخ» فنحن حقيقة نشير إلى أنه يوثق الطرق الإجرائية المقبولة فى أدائه. وتحدد النظم الإجتماعية كيف تعمل الأشياء وطبعاً يتبع ذلك أنها تحدد كيف لا تعمل الأشياء.

غالباً ما يجد الطلاب صعوبة فى التمييز بين مصطلحين «نظام» و «جمعيات» لأن اللغة اليومية قد تستعمل كلمة واحدة لكلا المفهومين. مثلاً كلمة «زواج» قد تستعمل بطريقين «زواج» تستعمل بمعنى عام هو نظام، ولكن إذا ما أشارت إلى «الزواج» هنا يعود المفهوم إلى جمعية – علاقة خاصة دخلت بين شخصين لأغراض خاصة. وبالمثل الكنيسة نظام ولكن عندما يقول الناس أنهم ذاهبون إلى الكنيسة فإنهم يعنون أنهم ذاهبون إلى رابطة مع غيرهم لأغراض عبادة الإله.

فالنظام بالضرورة ظاهرة مجردة أو عقلية؛ تقوم على معتقدات مقبولة وشائعة، وأفكار وإتجاهات. الجمعية هى شيء حقيقى، لأنها تتعلق بتجمع البشر. الجمعية أقرب ما تكون وصفة تعطى التعليمات لمزج عناصر لعمل كعكة، والجمعية هى الكعكة بعد خبزها، فهى عناصر حقيقية مُزجت مع بعضها وصارت مخلوطاً على نحو ما.

٦- الثقافة Culture :

قد يأتينا مصطلح ثقافة ببعض المشاكل الأساسية، لأنه مرة أخرى هو مصطلح يستعمله علماء الإجتماع على نحو خاص. فى مسار المحادثة العادية، إذا ما ذكرت «ثقافة» فنحن نتوقع أن المحادثة تكون عن بعض نواحى الفنون –

الموسيقى، الرسم، الأدب. وإذا ما سمعنا عن شخص يوصف بأنه «مثقف» فلابد أن نعلم أنه أو أنها قد وصلت إلى مستوى معين من التعليم، وقادرة على أن تُقدر وتناقش، وأكثر تذوقاً لنواحى الحياة.

على أية حال، بالنسبة لعلماء الإجتماع لكلمة «ثقافة» معنى مختلف. الثقافة سلوك متعلم كغريزة من السلوك الغريزى أو «عمل ما يأتى طبيعياً». يمكنك من أن تقول أن الثقافة مجموعة حلول جاهزة لكل من المشاكل العديدة التى يمكن أن يتخطاها الأفراد المقيمين معاً فى المجتمع. فمعظم المواقف قد تكون سبباً فى الشك والإرتباك من قبل. فإن طرق مواجهة المشاكل التى تثار قد تكون عولجت إما سريعاً أو على مدى طويل. و«الإجابة» أن معالجة المشاكل تنتقل بين أعضاء المجتمع وليس عليهم أن يجربوها على أنفسهم.

على أية حال، لا يوجد قواعد صارمة وسريعة عن كيف تواجه كل المشكلات التى تثار. وقد يكون هناك أنواعاً من الحلول المحتملة لنفس الصعوبة. لذا فإن المجتمعات المختلفة تتحدث عن طرق مختلفة لعمل نفس الشىء، وكل مجتمع سوف يكون لديه مجموعة تقليدية من الحلول. هذا يعنى أن الثقافات تختلف تماماً بين مجتمع وآخر. فكل مجتمع سوف «يتلذذ» بنكهته الخاصة.

فاللغة، والدين، والزى، والغذاء كلها أمثلة لظاهرة الثقافة التى تميز أعضاء المجتمع عن غيره، وهناك العديد والعديد من المجتمعات. وهذا المدى من العلامات والإشارات نسبياً مثل طرق التحية بين الأفراد، هز الأيدى والتقبيل على الخدين، ولربما حك الأنوف، أو المهم جداً مثل ضبط السلوك الجنسى، بالزواج بالواحدة أو مختلف أنواع الزواج المتعدد.

وإذا ما حدث إتصال بين أعضاء مجتمعات مختلفة، فقد يجدون أنهم مختلفون فى الإتجاهات التى تولدت عن خلفيات ثقافية منفصلة، يُصَعب من

تعاملهم بسبب نزاعاتهم الثقافية. وعلى الجانب الآخر قد يجدون أن حياتهم أصبحت أكثر قبولاً إذا ما جربوا الأفكار الجديدة التى تقدم لهم. وهناك حدود، طبعاً، إلى أى حد يمكن للتبادل الثقافى والتجريب أن ينهمك دون أن تصبح تهديداً للمجتمعات التى ينتمون إليها. فمثلاً لا يمانع أحد من المحتمل أن يأكل رجل بريطانى وجبة صينية أو هندية إذا ما أراد ذلك، ولكن ستبقى القصة مختلفة إذا ما تخيل محاولة لتعدد الزوجات لمجرد التغيير.

٧- الثقافة الفرعية:

ولو أن لكل مجتمع ثقافته العامة، ففى هذا المجتمع سوف نجد عدداً من الثقافات الفرعية. فى المقام الأول سوف تعكس الثقافات الفرعية الإختلافات الإقليمية، والتى توجد فى المجتمع. وتأخذ الإختلافات اللغوية شكل لهجات محلية، والتى قد تكون معظمها إن لم تكن كلها غير مفهومة لشخص فى جزء آخر من القطر. فلكل إقليم طابعه التقليدى – الحساء الاسكتلندى، سجق يوركشير وغيرها. الزى الموسيقى، الأدب أنماط المنازل التى يعيشون فيها، وكثير من المميزات الثقافية تعرض لنا قوة التأثير المحلى.

ولو أن تنمية الإتصالات قد قادت إلى قدر كبير لمزيد من التفاعل بين الناس من مناطق مختلفة، فلا يوجد على أية وجه ثقافة قومية واحدة فى بريطانيا. لقد تقدمت المعيارية إلى حد ما، لأن الناس من ناحية من الإقليم إلى الآخر منه قد يتمكنون من الشراء من فرع من سلسلة المتاجر على مستوى الوطن، ويشترون نفس الصنف من البضاعة. وبعض اللغات سريعة سارت للفناء – مثلاً لغة الغال أو الويلس، الفطير يمكن شراؤه فى اسكتلندا، والسجق فى لندن. على أية حال، قد صار هناك أخيراً تفاعلاً ملحوظاً ضد تآكل الثقافة الفرعية الإقليمية، وصار كثير من الناس يشتركون بنشاط فى محاولة تأكيد الإنتاج الكبير، والإستهلاك الكبير، والإتصال الكبير ولم تقود المجتمع إلى الثقافة الجماهرية الشاملة.

إلى جانب الثقافات الفرعية الإقليمية فإن هناك ثقافات فرعية مجتمعية والمؤسس على إختلافات أخرى بين أعضائها. مثلاً نحن نسمع ونقرأ فى هذه الأيام ما يسمى «ثقافة العقاقير» و «ثقافة الشباب» و «ثقافة الجريمة» وتلك تشمل أن بعض الأعضاء فى المجتمع لأسباب عديدة يشعرون بأنه قد شاع بينهم «نوع» فى المجتمع العام.

بتطور هذا النمط من الثقافة الفرعية، إذا ما كان الناس ممن يعتبرون منحرفين، وغير منتمين بالنسبة لغالبية أعضاء المجتمع الذين يسعى كل منهم إلى تدعيم الآخر. عليه فإن «الإحساس» «بالتآلف» بين الذين يتقاسمونه يساعدهم على أن يسلكوا بطريقة ما، تلك الطريقة التى بدونها يصير التآلف غير ممكن.

الفصل الثاني

الـــــزواج

- الإتجاهات الحالية في الزواج في بريطانيا .
- الأدوار المتغيرة في الزواج .
- الطـــلاق.
- العوامل المؤثرة على الطلاق .
- النتائج الإجتماعية للطلاق.

الفصل الثاني

الـــــــــــزواج

تمهيد:

تبلغ Ngalen الثامنة عشر، وكانت مخطوبة لمدة سبع سنوات لشاب يدعى Manoi. لقد رأته ذات مرة كطفل صغير، عندما أخذت أمها أطفالها لقرينها Peri. وهى تتذكر أن له أنف مُضحك وَحَوَل فى عين واحدة، وقد ارتدى قبعة قديمة غير نظيفة. ولكنها قد حاولت ألا تفكر فى تلك الأشياء، لأن أمها علمتها أنه من الحياء أن تفكر فى زوجها شخصياً..... لقد مُنعت من الذهاب إلى Peri بلدة أمها، فيما عدا المناسبات الهامة مثل موت أحد أقاربها، ثم يجب أن تذهب فى حذر، ملفوفة فى عباءة من القماش حتى تتخطى والد أو أخ خطيبها. إذا مرت بالقرب من قارب والدها فى البحر، فإنه يجب عليها أن تخفى نفسها فى جناح السفينة، أو فى قاعها. (النمو فى غينيا الجديدة Margaret Mead).

وقد نجد فى فكرة زواج أجنبى أمراً غريباً، لأن فى بريطانيا «الحب الرومانسى» صار الآن ينظر إليه كأساس سليم للزواج، ولو أن الأمر ليس كذلك دائماً.

فكر فى ذلك بإهتمام، على أية حال، فستجد ولو أنه قد يبدو لأول وهلة أن إختيار شريك الزواج، يعتمد فقط على الإجتذاب الرومانسى، فالناس حقيقة مدفوعين بطرق عديدة لأن يقعون فى الحب مع واحدة «مناسبة إجتماعياً» لهم.

ولا توجد فى إنجلترا قوانين تمنع الزواج بين أناس من أجناس مختلفة كما يحدث فى بعض المجتمعات مثل جنوب افريقيا. على أية حال، أى فرد يقع فى حب من خلفية جنسية مختلفة ويريد أن يتزوجها، سوف يكتشف سريعاً أن عليه

أن يتغلب على الحدود الإجتماعية التى توضع فى طريقهم. وسوف يجدون فى الحقيقة صعوبة فى أن يتجاهلوا شعور العداء الذى يبديه الآخرين. وسوف يجدون أيضاً أن ما يريدون عمله ينظر إليه عادة كأمر شاذ وغير طبيعى. وفى عدد من الطرق؛ عائلاتهم، الأصدقاء، والأصحاب سوف يبدون عدم موافقتهم، وسوف يجد الزوجان أن الأمر يتطلب قدراً كبيراً من قوة العزيمة وقوة الهدف، وإحتقار تلك الضغوط.

بالمثل، توجد طرقاً عديدة يشجع فيها الفرد على إختيار شريك الزواج كأن ينتمى لنفس الطبقة الإجتماعية، ويتقاسم نفس الدين، ونفس فئة العمر.

إلى جانب القواعد ذات التأثير الغير رسمى، والتى تؤثر على إختيار شريك الزواج، يوجد أيضاً عدد من القوانين الرسمية، والتى تضع حدوداً على سلوك الأفراد بخصوص الزواج.

فى بريطانيا، الزواج أحادى كما هو فى غيرها من المجتمعات الصناعية الحديثة، ونعنى بذلك أن يكون غير شرعى أن يمارس أى شكل من تعددية الزواج، أى يقيم الزواج مع أكثر من قرين. ولكن إلى جانب القوانين الملزمة بأحادية الزواج، توجد قواعد أخرى لتنظيم الزواج، وتشمل القوانين المتعلقة بالفسق، سن الزواج، والطلاق والزواج مرة أخرى.

أولاً: الإتجاهات الحالية في الزواج في بريطانيا:

غالباً ما يعطى التليفزيون، والجرائد، والمجلات الشائعة إنطباعاً بأن الزواج صار أقل أهمية فى بريطانيا اليوم،وأن مزيداً من الناس يميلون إلى العيش مع أعضاء من الجنس الآخر دون الدخول فى حفلات الزواج. وحقيقة هناك قدر كبير من ظهور أناس يتحمسون إلى كسر التقاليد ويعيشون معيشة غير تقليدية.

والشواهد الإحصائية المتاحة تدل على عدد عقود الزواج لأول مرة هبط من

قــمــة ٣٥٧,٠٠٠ فى سنة ١٩٧٠ إلى ٢٩٦,٠٠٠ فى سنة ١٩٧٥ . وفى نفس الفترة كان هناك هبوطاً ملحوظاً فى نسبة الفتيات ممن يتزوجون تحت سن ٢٥ سنة، وفى المجموعات العمرية الأعلى بقيت النسبة كما هى أو صعدت قليلاً.

ولقـد هبط السن الذى يتـزوج فيـه الناس بانتظام منذ بداية القـرن الحـالى. ومتوسط العمر الذى يتزوج فيه الأعزب من الرجال وغير المتزوجات من النساء فى سنة ١٩٧١ كان أقل ثلاث سنوات عما كان عليه سنة ١٩٠٠ . على أية حال، هذا الإتجاه نحو الزواج المبكر قد إنعكس الآن، ولو أننا لا يمكننا الجزم بأنه إتجاه ثابت أم أنه تقلب مـعـاصـر. The Social Commentary in Social Trends 1977 التفسير الإجتماعى فى مجلة الإتجاهات الإجتماعية ١٩٧٧ أشار إلى :

لقـد حدث الهبوط فى معدل الزواج فى بلاد عديدة غيرها فى غرب أوربا. وكـان الإتجاه الأكـبر فى السـويد، ويليـهـا الدانمارك، ففـيـهـا نسـبـة المعـاشرة بين الزوجين وحمل الأطفال خارج الزواج..... على أية حال فإن معدل الزواج فى المملكة المتحدة عالٍ نسبياً وبخاصـة فى الأعـمـار الصغيرة مقارنة بمعظم دول غرب أوربا.

فى المقام الأول، إحتمال الزواج بين الناس يعتمد على المتاح من الشركاء بين السكان. وهذا يتحدد بين الجنسين والعدد النسبى للذكور والإناث. ولو أن هناك عدد أكبر قليلاً بين الذكور عن الإناث الذين ولدوا فى الماضى، ووفيات الذكور دائماً يقلل من الزيادة، ومن عمر حوالى عشر سنوات فما فوق تفوق الإناث على الذكور. هذا التفاوت زاد مرة أخرى نتيجة للهجرة، والحمل الكبير على الذكور الذين عاشوا قد حكمته الحرب العالمية الأولى.

ومنذ سنة ١٩٤٦ تغير هذا النمط، وأصبح الآن زيادة فى الذكور عن الإناث حتى سن حوالى ٤٣ سنة عند وصول المساواة؛ فقط فى أعضاء الجماعة فى

الأعمار الكبيرة وسوف يبقى النساء أكبر من الذكور، وهذا يعنى أن النساء فى سن الزواج اليوم لديهم فرصة أفضل فى وجود زوج أكثر مما كان عندهم فى الماضى وأصبحت النساء الآن فى موقف يمكنهم من إختيار مرتب عما إذا كانوا يتزوجن أم لا.

عندما يقرر الزوجان أن يتزوجا فإن من الأسهل أن يقوموا بمثل هذا العمل فى سن مبكرة. وموانع الحمل أصبحت موثوق بها وتمكن الزوجان من تخطيط وصول أول مولود، وأصبح من المقبول عادة أن هذا يحدث فى خلال السنة الأولى من الزواج.

الشباب فى هذه الأيام أكثر نضجاً، جسمياً وإجتماعياً - فى سن مبكرة أكثر من آبائهم وأجدادهم. هذا النضج فى صالح الزواج فى الصغر، وبخاصة بين الناس من جماعات الحرف اليدوية. وعامة، فالزواج المبكر لا يزال قليل الحدوث حيث يطيلون من دراستهم والتقدم إلى الجامعة أو غيرها من مؤسسات التعليم العالى بعد ترك المدرسة.

الضغوط الإجتماعية نحو الزواج المبكر جسيمة، بالرغم من التقدم الهائل الذى حدث فى القرن الحالى لتكريم المرأة وتحريرها وإعطاء حق النشر للمرأة، ودعم حركة تحرير المرأة، فإن أغلبية البنات يربون على فكرة أن الزواج هو أهم مهنة للمرأة. ولايزال ناظرات المدارس يرون فى وظيفة مدارسهم أن يدربوا البنات على أن يصبحوا «أمهات جيل المستقبل». لذا فإن البنات يوجهون إلى القيام بالأعمال التى غالباً ما ينظر إليها أنها وقفة بين ترك المدرسة والزواج. وفكرة أن بعض النساء لا يرغبون فى الزواج لا تزال بعيدة القبول، وكثير من البنات بأن هناك خطأ ما معهم إذا ما كان وجود قرين لا يقابل طموحهم عند ترك المدرسة.

العديد من مختلف وسائل الإعلام مثل الإعلانات، التليفزيون وسجلات

السيدات، أيضاً تشجع فكرة أن تجميل الفرد ليصبح جذاباً لأفراد الجنس الآخر والزوج هي من أهم مهام الحياة.

والملاحظ في الحقيقة أن واحدة من ثلاث زيجات تحت سن العشرين يحملون في يوم زفافهم. ولو أن البنت غير المتزوجة التي تصبح حاملاً، أقل في هذه الأيام أن يجبرها والدها على أن تتزوج والد طفلها عما كان عليه الأمر من قبل. ومع ذلك قد يكون الحمل يقود الزوجين إلى زواج مبكر. وكلما زاد الإتجاه في المجتمع نحو الجماع قبل الزواج، فإنه لاشك يعتبر عامل هام. هناك عدد متزايد بين الشباب يرفضون القانون التقليدي للعفة الجنسية فلديهم قدر كبير من الحرية عما كان عليه آبائهم، وفرصاً أكبر في إقامة علاقات جنسية، ومن ثم فإن خطر أن تحمل البنات غير المتزوجات صار كبيراً عما كان عليه في الجيل السابق. وكثير من الشريكين ممن اعتزموا الزواج في وقت قريب يُقربون يوم الزفاف عندما تشعر البنت بأن تتوقع طفلاً.

ثانياً: الأدوار المتغيرة في الزواج :

في المجتمعات الجادة حيث تكون حياة الناس مركزة حول نشاطات تتعلق بتحصيل الطعام والكساء، يكون دور كلاً من الزوجين مختلف. وهناك تقسيم تام لعمل. سوف يريد الرجل زوجة قادرة ماهرة في المهام العائلية، والمرأة تأمل في أن تتزوج من رجل يكون مصدراً لتمويل نفسها وأولادها.

هناك وصف ممتاز للمرأة المثالية ذكر في العهد القديم وجد في كتاب الأمثال، يقول الكاتب أن مثل ما تستحقه هذه السيدة هو «حجر كريم» أو «مرجان» طبقاً للإنجيل الإنجليزي الجديد الذي يستمر:

> ثقة زوجها التامة فيها وأطفالها غير معوزين. وتجازيه بالحسنى لا بالشر طوال حياتها. وتختار الصوف والكتان وتكدح في عملها.

كسفينة محملة بالبضائع، تحضر الطعام من بعيد. تستيقظ بينما لا تزال الدنيا مساء، وتضع اللحم أمام أهل المنزل. وبعد تفكير بعناية تشترى حقل وزراعات العنب من داخلها. وتسعى لأداء واجباتها بقوة وتشمر عن سراويلها للعمل. وهى تراعى أن شغلها يسير سيراً حسناً، ولا تطفئ مصباحها بالليل. وتحمل مغزلها فى يدها وتقبض بأصابعها على المغزل..... لا تخاف على أهل بيتها عندما تسقط الثلوج لأنهم ملفوفين فى عباءتين وتقبض بأصابعها على المغزل..... لا تخاف على أهل بيتها تنسج الكتان وتبيعه، وتمد التجار بالأوشحة.... تلتفت بعينها على أداء أهل بيتها ولا تأكل خبز الكسل. (أمثال ٣١ : ١١ - ٢٧).

والتأكيد هنا، طبعاً، على دور الزوجة التى تلعبه فى تأكيد رفاهية أهل بيتها، وهو بذلك دور إقتصادى.

دور النساء الهندوس توضح ببساطة: واجبهم الوحيد فى الحياة وهو خدمة رجالهم بلطف، ولا تبقى أبداً مستقلة. وقواعد حياة الزوجة موضح فى آداب التعليم Padmapurana.

لا يوجد إله آخر على الأرض للمرأة غير بعلها. والعمل الممتاز بين الأعمال الجيدة التى يمكنها أن تعمله، وهو السعى على إسعاده بإعلان الطاعة التامة له. هنا تتبع قاعدتها الوحيدة فى الحياة.

ليكن قرينها، كبير السن، عاجز، خبيث فى أخلاقه، حاد الطبع، فاسد، فاجر، سكير، مقامر، سيء السمعة، يعيش الخطيئة مع نساء أخريات، غير ودود فى عائلته، يهذى كالمجنون، يعيش دون كرامة، أعمى، أصم، أبكم، كسيح؛ فى كلمة واحدة، دعى عيوبه تكون ممكن قد، يجب على الزوجة أن تعتبر كإلاه خاص بها، يجب أن تسرف بكل

عطفها ورعايتها له، لا تلتفت مهما كان لأخلاقه ولا تعطيه سبباً مهماً كان لعدم الإستحسان.

فالزوجة لابد وأن تأكل بعد أن يكون قرينها قد إمتلأ. إذا صام الأخير فسوف تصوم أيضاً؛ إذا لم يلمس طعاماً فهى أيضاً لا تلمسه؛ إذا أصابه غمّ فهى ستكون كذلك، إذا كان مبهجاً فسوف تقاسمه إبتهاجه. وفى حالة وفاته تسمح لنفسها بأن تحرق وهى حية فى نفس حطب الجنازة؛ ثم سوف تبنى عليه كل شخص على طهارتها.

عادة إحراق الزوجة مع زوجها المتوفى والمشار إليها فى الفقرة السابقة قد مُنعت بقوة القانون فى الهند، والتى كانت شائعة. على أية حال، فإن الشرطة لا تستطيع دائماً أن تمنع النساء التى لا تزال تتمسك بهذا السلوك من الإنتحار عند موت أزواجهن.

وهناك عاملاً تقليدياً يميز دور النساء – إنشغالها بالمهام العائلية لرعاية الطفل والأعمال المنزلية، ومكانتها المساعدة بالنسبة للرجل. هناك، حقيقة، أن من المجتمعات التى يصعب فيها تفسير الفرق بين الزوجات والعبيد. أمثلة لهذه الأنماط من المواقف توجد حيث يكون تعدد الزوجات هو العرف، ويكون للرجال القوة على إحتكار عدداً من النساء لأنفسهم. فالنساء فى المناطق البعيدة فى شمال إفريقيا حيث يكون لبعض الأديان تأثيره، تكون مكانتهم منخفضة فى الحقيقة. حينما تكون النساء معتمدة تماماً على الرجل، وليس لديهن الفرصة خارج عائلات آبائهن أو أزواجهن، ويكون موقعهن منخفضاً وذليل.

وأثناء المائة سنة أو نحو ذلك فى المجتمعات الصناعية تغير دور الرجل والمرأة فى بناء الأسرة تغيراً ملحوظاً، حيث عملية تحرر الإناث قد تقدمت، وتبادلت العلاقات بين الزوج والزوجة، وأصبحت المرأة أكثر مساواة وشريك فى الزواج.

فمن المحتمل أكثر من ذى قبل يكونا من العاملين خارج البيت من أجل مزيد من الإسهام فى دخل الأسرة. وأيضاً أكثر إحتمالاً تبعاً لذلك أن يساهما فى إتخاذ القرار مع الأزواج، وفى حاجة لمزيد من الإنضباط فى مصادر الأسرة.. وفى المقابل، نجد الأزواج فى هذه الأيام يلعبون دوراً أكبر من ذى قبل فى إنجاب أطفالهم وقد يقومون بمهام متصلة بأعمال المنزل وترتيب البيت.

الدور الذى كان واضحاً منفصلاً أصبح متقاسماً بين الزوجين فى بريطانيا اليوم، وبخاصة عندما يكون الزوجان يعملان. بعض الناس يتوقعون أن العملية سوف تستمر، وأن فى المستقبل عندما ينظر للرجال والنساء من حيث المساواة الحقة، فسيكون دورهم متبادلاً تماماً. وهذا من المؤكد، ويبدو أن هذا ما يجاهدون من أجله.

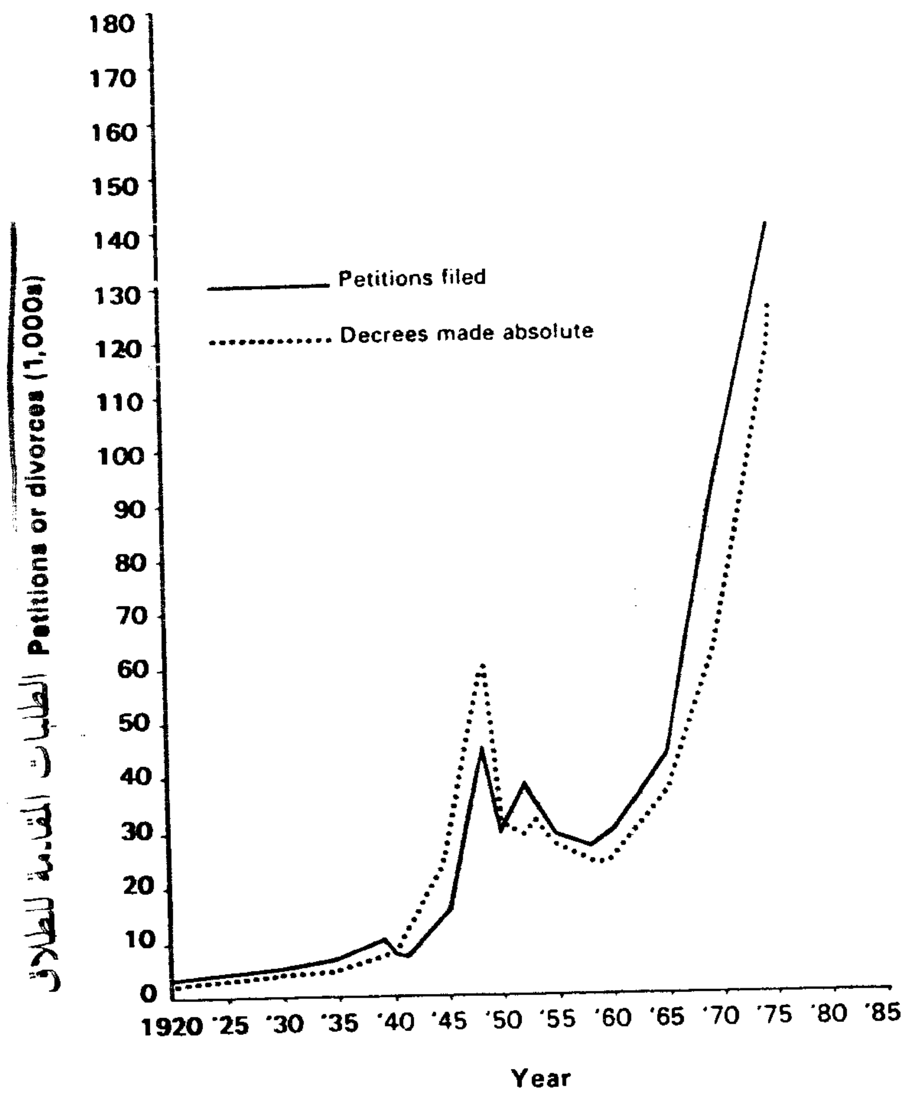
ثالثاً: الطلاق:

شىء لا يمكن إنكاره هو الميل المتزايد للزواج فى كثير من المجتمعات الحديثة أن ينتهى بالطلاق.

فى بريطانيا كما تلاحظ فى الرسم البيانى (١)، كان عدد مرات الطلاق فى إرتفاع بإنتظام منذ ١٩٦١، بعد ذلك كان هناك هبوطاً تدريجياً من القمة التى وصلها فى عام ١٩٤٧ عندما كانت الزيجات الكثيرة والتى اتخذت على وجه السرعة أثناء الحرب صارت إلى نهايتها.

معظم التأرجحات التى حدثت فى معدل الطلاق قبل ١٩٦٠ تحسب على التغيرات التى أحدثها القانون المتعلق بالطلاق وإتاحة المساعدة المالية للناس الذين يتقدمون للقضاء. قوانين برلمانية عديدة قد تركت آثارها على إحصاءات الطلاق حيث جعلت الأمر ممكناً للناس الذين لم يتمكنوا من قبل من الطلاق فى ضوء

الطلبات المقدمة ————
الوثائق النهائية ....



شكل (١): إتجاهات الطلاق ١٩٢٠ - ١٩٧٥

التشريع الجديد. وفى كل حالة، على أية حال، هناك إرتفاع مفاجئ بسيط فى إعداد ما يحدث من الزواج الفاشل، ثم استقر المعدل من نفسه مرة أخرى.

منذ ١٩٦١، على أية حال، زاد المعدل بإنتظام، وقد يبدو أنه سوف يرتفع حتى إذا استبعدنا أرقام ١٩٧١. تلك كانت متضخمة لأنها تعكس أول عام كامل للعمل فى ضوء قانون إصلاح الطلاق فى سنة ١٩٦٩ الذى وضع أساس أن يرجع الطلاق إلى إنهاء الزواج الذى لا يعوض، ويسهل عملية الحصول على الطلاق.

رابعاً: العوامل المؤثرة في الطلاق:

لقد دلت الأبحاث على أن عقود الزواج فى مرحلة مبكرة من المحتمل أن تنتهى بالطلاق عند تلك العقود التى قامت بين أناس أكثر نضجاً، وقد نمت شخصياتهم تماماً. حيث أن السن الذى يتزوج فيه الناس قد هبط فنحن نتوقع زيادة الزيجات التى تنتهى بالطلاق فى المستقبل.

١- إستدامة الزواج:

عامل هام أيضاً. دلت الإحصاءات أن هناك فترتين يبدو فيهما الزواج قد أصابه العطب ومن المحتمل أن ينتهى بالطلاق. تلك بين الخمس سنوات الأولى إلى ١٠ سنوات فما فوق عشرين سنة.

وقد لوحظ أيضاً تغيّراً فى الإتجاه نحو الطلاق فى المجتمع البريطانى والوصمة التى كانت موصولة بالطلاق قد إختفت إلى حد كبير، ورغم أن الطلاق يمثل إهتمام الأفراد بالمشاكل العاطفية، أصبح الطلاق مقبولاً عامة ماعدا بين قطاعات دينية خاصة.

قد يكون هذا عاملاً يسهم فى زيادة عدد الكبار الساعين للطلاق فى هذا

الوقت. فزواجهم لم يكن قط مَرْضِياً لمدة طويلة، ولكن قد اعتبروا الطلاق وصمة عار تلحق بجماعتهم.

٢- تداعي أهمية الروابط الدينية للزواج:

قد يؤثر أيضاً على الإتجاهات نحو الطلاق. وقد أشارت البحوث إلى أن الإناث ممن يمارسون المسيحية ومن ثم ينظرون إلى الزواج كَسِرٍ مقدس إلى جانب أنه عقد دنيوى، أقل إحتمالاً للطلاق عن غيرهم ممن لا يملكون عقائد دينية قوية. هناك قليل من الشواهد، وتقول أن الناس ممن يتزوجون فى الكنيسة أقل إحتمالاً للطلاق عن هؤلاء ممن يتزوجون فى مكتب تسجيل. يفسر ذلك الحقيقة أن كثيراً من الناس ممن يتزوجون فى الكنيسة يفعلون ذلك بأنهم يحبون الإحتفالات المبهجة من أجلها أكثر من التورطات الدينية. وبالمثل، كثير من الزيجات المختلطة بين الكاثوليكى والبروتستانتى قد يحدث فى مكتب التسجيل.

٣- إختيار شريك الحياة الزوجية:

يؤسس فى هذه الأيام على «الوقوع فى الحب». لأول وهلة سيكون إنتباه كثير لفكرة الحب الرومانسى، الذى يشمل وصال عاطفى لشريك يكون نموذجياً، وسيكون إنتباه قليل إلى الأكثر واقعياً من الصفات الضرورية بعد الزفاف. تتسبب الإعلانات، المجلات الشائعة، الروايات، والأفلام فى الضغط على الشباب للبحث عن الرومانسية، وهناك إفتراض عام أنه بعد الزفاف سيعيش الزوجان فى سعادة دائمة.

قد يكون لهذا الإتجاه بعض التأثير على توقعات الناس للزواج، وقد يكون سبباً فى أن يصبحوا وقد زال الوهم عندما يتضح للزوجين أن قدرة على مواجهة الروتين اليومى سعياً وراء الكسب وإدارة بيت، تلك أمور هامة جداً. والفشل فى

مواجهة مع تلك الشئون الدنيوية ينقشع بسرعة عن المشاعر العلمية التى هى عند كل واحد نحو الآخر.

على أية حـال، بالرغم من أن الطلاق يشـيع فى هذه الأيام عن أى وقت مضى، فلا يوجد أساس للنظرة الشائعة نحو الزواج كنظام فى طريق زوال أهميته. كثير من الناس ممن إنتهى زواجهم الأول يميلون اليوم إلى الزواج مرة أخرى فى خلال وقت قصير. وهذا يشير إلى أن فكرة الزواج نفسها هى المكررة ولكن ببساطة الكراهية كانت للشخص فى محاولة إختيار الأول.

خامساً: النتائج الإجتماعية للطلاق:

بالرغم من أن المطلقين، يتزوجون بعد ذلك، فإن الرجال أكثر ميلاً من النساء للدخول فى زواج ثان.. هذا يعنى أن – يضع الفشل فى الزواج حملاً ثقيلاً ملحوظاً على المجتمع – لا يمكن تقدير التكلفة، ولكن من المحتمل تكون فوق ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه تصرفها الدولة كل عام على دعم الزوجات المطلقات والمنفصلات، على رعاية الأطفال من بيوت محطمة وعلى معاشات الأرامل ومن يعولون. وهذا لا يشمل القدر الذى يصرف على دعاوى الطلاق الشرعى وإجراءات الزواج، فصدرت فى عام ١٩٧٥ – ١٩٧٦ (١٥٤,٠٠٠) شهادة مساعدة قانونية لمثل هذه الحالات.

وتداعيات الطلاق بالنسبة للأطفال خطيرة جداً. فقد تأثر فى عام ١٩٧٥ ما يزيد على ١٤٥,٠٠٠ طفل بالطلاق بين أبويهم، بينما أفاق بعضهم من الإضطرابات التى تسببت فى عدم التكامل فى بيوتهم، وهناك شواهد واضحة أن أغلبية ساحقة سوف تتأثر إلى حد كبير وقد لا يشفون منها تماماً.

ومن المحتمل ألا يكون أطفال المطلقات والمنفصلات من المتفوقين فى مدارسهم، وقد يدخلون فى مشاكل سلوكية. فيوجد بينهم المنحرفين من

الأحداث، ويزداد خطر إنجاب البنات من تلك الخلفيات من إتصال غير شرعي. هؤلاء الأطفال غالباً ما يعانون من أمراض الكآبة، وقد يصلون إلى الإنتحار في نهاية المطاف.

إن الأطفال من عائلات يعانون من إضطرابات بسبب إنفصال الأبوين من المحتمل أن يصادفوا صعوبات في تأسيس علاقات مستقرة مع الآخرين في حياتهم المستقبلية. والمخاطرة بزواجهم غالباً ينتهي بالطلاق.

ومع تكلفة الدولة في شكل إعانات مادية لحالات الزواج المتحطم والمعاناة الشخصية للأفراد، فإن تكلفة الطلاق والزواج في الأسر المتحطمة يمكن قياسها بطرق أخرى. في الصناعة مثلاً قد تقل الكفاءة وتفقد ساعات من العمل نتيجة للضغط والنزاع والإنشقاق في البيت. وبالمثل هناك وقت كبير والجهد بالإضافة إلى النقود تصرف في الخدمات التطوعية التي تتعلق بالإرشاد الزواجي والإرشاد والمساعدة.

وزيادة الإتجاه نحو الطلاق مسألة مزعجة باستمرار. ومن سوء الحظ في وقتنا الحاضر هذا الإتجاه الخاص لا يبدي أي إشارة للإنعكاس وتأتي بمشاكل لا ينتظر لها حلولاً سهلة.

الفصل الثالث

الأســــرة

- تعريف الأســـرة .
- الأسرة والنظام الاجتماعي .
- بدائل الأســـرة .
- الزوجات والأمهات العاملات .

الفصل الثالث

الأســــــــرة

تمهيد :

رغم أن أحداً لا يمكنه أن يتذكر الشعور إزاء ميلاد طفل جديد، فلا يمكن أن تكون خبرة سعيدة. فبعد أن يحفظ فى دفء، وراحة، وأمان، وإطعام جيد فى داخل جسم أمه، يجد الطفل نفسه مدفوعاً إلى عالم بارد، مزعج، جائع حيث عليه أن يعتمد كلية على الناس من حوله لبقاء حياته ورفاهيته.

وكغيره من المخلوقات الجدد، يعتمد الطفل على البشر وقتاً طويلاً للوصول إلى المرحلة التى فيها يمكنه أن يرعى نفسه، وأثناء هذه الفترة من التنشئة يحتاج إلى من يرعاه ويحميه، ويحتاج أيضاً إلى تعلم كل الأشياء التى تمكنه من أن يعيش عيشة مرضية للكبار. ولبلوغ ذلك كل هذه الحاجات، يكون من الضرورى لكل رضيع أن يكون مسؤولية كبير خاص أو جماعة من الكبار. هناك مجتمعات مختلفة قد إتبعت طرقاً مختلفة لتقديم رعاية لأعضائها الرضع، وأصبحت مؤسسة فى أشكال مختلفة من التنظيمات الأسرية والموجودة الآن.

ان ترابط جمعيات الزواج والأسرة له أهميته الكبرى فى المجتمع، لأنه يضع أساس الضبط الإجتماعى. فكل فرد مربوط فى المقام الأول إلى المجتمع الأكبر الذى هو عضو فيه من خلال أسرة خاصة. وغالباً ما سوف يكون عضو فى جماعات أخرى – خلال جيرانه، ومدرسته، وعمله، ونشاطه الترويحى – ولكن أول مدخله إلى المجتمع سوف يحدث من خلال أسرته. ومن الأمور الهامة أن نعرف أن الأسرة سوف يكون لها تأثيرها الذى يحدد المجموعات التى يلتحق بها عندما يكبر، وكيف سيكون لائقاً فى النظام الإجتماعى ككل.

أولاً: الأسـرة:

عندما تفكر حول النظام الإجتماعى للأسرة، يجب أن تميز بين الأسرة الأولية أو الأسرة النووية التى تشير إلى الوالدين وأطفالهم. والأسرة الممتدة Extended Family. الأخيرة هى أوسع شبكة القرابة، والتى تكون الأسرة الأولية هى فقط جزء صغير، وتشمل الأجداد والأحفاد والخالات والعمات، أبناء الخال وبنات الخال والعمات.

فى المجتمعات غير الصناعية والمجتمعات التى على نطاق صغير، تكون مجموعة الأسرة الممتدة هامة جداً لأنها تقدم لنا أساساً لكل النظام الإجتماعى. كتبت Elizabeth Bott فى كتابها Man in Society عن التونجانز القاطنين مملكة جزيرة صغيرة فى جنوب الباسفيكى :

> فى تونجا، يكون الفرد محاطاً ومدعماً بالأقارب من الميلاد إلى الشيخوخة. هناك نظام للقرابة بحقوق قوية والواجبات التى تنطبق على الأقارب الأباعد. مثلاً، لا يوجد تونجانز يرفض أن يعطى وجبة - أو بيتاً - لقريب محتاج، بصرف النظر عن مسافة تحركه. إذا ما طلب تونجان، نقوداً أو حتى «استلاف» ماكينة خياطة الأسرة لا يمكن رفضه.
>
> إذا ما تيتم، يتبناه قريب مباشرة - بصرف النظر عن التعب أو المصاريف. إذا لم يوجد أعضاء أسرة قريبة، فإن قريب بعيد سوف دائماً يكون مستعداً أن يأخذ الطفل. وعلى صورة مختلفة لنظرائهم من الأمريكان أو المدن الأوربية يكون التونجو الكبير أبداً منعزلاً ووحيداً، يعيشون اوتوماتيكياً مع أطفالهم أو (إذا لم يكون لديهم) مع إخوتهم وأخواتهم، أو ابن الأخ وابن الأخت. فى الحقيقة، المرأة الكبيرة للتونجو

تلعب دوراً باهراً فى مجتمعهم. كرعاة لعادات التونجو، فإنهم يتمرنون على إعطاء سلوك الجيل الأصغر عناية فائقة، ولا يهزأ الأولاد أو البنات من «قوانين» المرأة الكبيرة.

قارن الموقف فى تونجا مع خبرته للتنشئة فى بريطانيا الحديثة. بعضكم لديه أجداد وأعضاء آخرين من أسرتك الممتدة ممن يقطنون بالقرب منكم، ولكن الكثير منكم عليهم أن يقطعوا رحلات طويلة لزيارة الأقارب، وقد تراهم فى مناسبات قليلة. وقد تعرف الكثير عن عملك الأول ومنه، ولكن هل تعرف أعمامك الآخرين وهل تعرف أسمائهم؟

هناك ملامح حديثة، فى المجتمعات الصناعية إلى إنحدار مستمر فى أهمية الأسرة الممتدة، والحاجة الملحة للأسرة الدنيوية كوحدة إجتماعية هامة. وهذا الإنحدار ليس مستمراً فى كل أجزاء بريطانيا بنفس المعدل. فى المناطق الريفية فإن أغلبية الناس يقومون بالأعمال الزراعية، فلا يوجد الكثير من النزوح من منطقة إلى أخرى. وعندما يتزوج الشباب فإنه على الأرجح، يقيمون بيوتهم الجديدة بالقرب من بيوت آبائهم، لذا فإنهم يستبقون إتصالهم مع كثير من أقاربهم. وليس من المستغرب أن نجد أن السكان فى القرى النائية فى بريطانيا تتكون من أناس وأقاربهم على نحو ما. فى مثل هذه القرى يحمل كثير من الناس نفس الاسم، وذلك لاحتفاظهم بالهوية فى البيئة وأن نستبعد الألقاب ويستعمل بدلها شعار مختلف. وفى القرى النائية الأراضى الاسكتلندية، مثلاً، نجد الأسماء الأول عادة يليها اسم الحقل أو البستان الذى يعيش فيه الشخص.

على أية حال، ما يزيد عن ٨٠٪ من الناس فى بريطانيا يعيشون فى المدن، وهنا يختلف الموقف. فى مناطق الطائفة العمالية تجد مناطق الطبقة العمالية فى المدن الكبرى حيث تسود صناعة واحدة لمدة طويلة – مثل إنتاج الصلب، بناء

السفن أو ترسانة - لا تزال تعيش الأسر الممتدة. وقد تابع الأولاد عادة نفس مهنة آبائهم، واستقر الزوجان الصغيران بالقرب من آبائهم بعد الزواج. ولكن فى تلك المناطق فقط حيث يجرى نظافة المناطق القذرة، وإقامة مشاريع واسعة للتنمية. تلك المشروعات مع غيرها من الأبنية الخاصة بالمدن الجديدة والتى أخذت كثير من الناس بعيداً عن المناطق المزدحمة من المدن البريطانية الكبرى، تميل إلى تشجيع إنقسام الأسر الممتدة.

هناك عوامل أخرى وهامة فى هذا الشأن، نمو الصناعات الجديدة، والتوسع العام فى التجارة والمتاجرة منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية، كل ذلك يعنى أن المدى فى الأعمال المتاحة زاد بشكل واضح. وحدث أيضاً توسع فى التعليم ومشاريع التدريب من كل الأنواع. وهذا يعنى أن كثيراً من الأزواج الآن يقيمون بيوتهم حيث يجد الزوج عملاً مناسباً.

بالنسبة لكثير من الناس مثل المدرسين، والعاملين فى الخدمة المدنية أو هيئة العمل فى المستشفى، فإن التطلعات للترقية تعتمد كثيراً على إعتزامهم التحرك إلى مناطق مختلفة، ولربما حتى من طرف من القطر إلى آخر. هذا يجعل للقطاعات المتحرك جغرافياً من السكان التى كانت لهم روابط مع جماعات الأسر الممتدة يجعل تلك الروابط.

ثانياً: الأسرة والنظام الاجتماعي:

١- الوظائف الإقتصادية:

كانت جماعات الأسرة فى أيام الثورة الصناعية، تؤلف وحدات إقتصادية من نوع الإعتماد الذاتى، قادرة على إنتاج معظم ما يطلبه أفرادها فى شكل طعام، ملبس، وسكن. وفى أيامنا هذه إختلفت الأشياء، ولكن هذا لا يعنى أن هذا بسبب تغيرهم، فلا تزال الوظيفة الإقتصادية للأسرة فى غاية الأهمية.

على العائلات أن تعد لنفسها نفس المتاع كما كانوا دائماً يفعلون، بالإضافة إلى الأشياء الإضافية المتاحة فى شكل معدات البيت، السيارات، وكل الأشياء الأخرى التى تكون من الرفاهية ومن الأمور اللطيفة أن تقتنى. ولكن، طبعاً، لا تصنع العائلات هذه الأشياء لأنفسها؛ إنهم يعتمدون على دخولهم فى شراء ما يريدون. وهذا يعنى أن مستوى المعيشة التى تتمتع بها الأسرة تعتمد على كم من المال لدى الأسرة، وكيف تستعمل هذا المال بكفاءة.

على أية حال، فإن الأسر لم تعد تعتبر وحدة إقتصادية مستقلة تماماً فى بريطانيا فى هذه الأيام.. لقد تولت الدولة مسؤولية أن تكفل إذا ما كان لسبب أو آخر، لا يتوفر للأسرة مالاً كافياً لمقابلة حاجاتها الأساسية، وسوف لا تكون أبداً معدمة. هناك قدر كبير من المعاونة أصبحت الآن متاحة للحاجات الحقيقية فى المجتمع فى شكل منافع إجتماعية مؤكدة، مشاريع تزيل قيمة الإيجار، ومساعدات دخل الأسرة، للأطفال وجبات مجانية فى المدارس وفى بعض الحالات قد يعطى للأبوين منح لمساعدتهم على شراء الزى المدرسى لأطفالهم.

٢- وظائف وقائية :

إن العناية ووقاية الصغار، والمعوقين، وكبار السن والعجزة هى عادة مسؤولية الأسرة فى بريطانيا كما كانت ولا تزال فى كثير من الدول النامية. لقد حدثت تغيرات كثيرة فى هذه المنطقة، على أية حال، لقد أوكلت الأسرة إلى حد كبير مسؤوليتها إلى مؤسسات خارجية. ولكن فقط الرعاية والوقاية للصغار لاتزال تعتبر أساساً من إهتمامات الأسرة، وحتى هنا يعطى قدر كبير من المساعدة فى شكل دواء مجانى ورعاية أسنان الأطفال، ومدارس رخيصة، ووجبات، وخدمات ترويحية للمدارس.

لقد آلت العناية للمعوقين ذهنياً وعضوياً إلى أيدى مؤسسات ومعاهد مختصة.

حيث تقدمت المعرفة العقلية وفنونها زادت مدة حياة الأعضاء سيئوا الحظ في المجتمع، وأصبحت مشكلة كيف يمكن استيفاء حاجاتهم الخاصة بصورة كبيرة جداً، وفي كثير من الحالات يمكن إشباع هذه الحاجات على صورة أفضل في دور الإيواء، حيث يوجد مختصون مدربون يقدمون لهم أسباب الرقابة والعناية المطلوبة.

وبنفس الطريقة نجد كبار السن والعجزة ورعايتهم تشكل مشاكل للصغار، وفي الأسر الحديثة. في كثير من العائلات، نجد كلا الأبوين قد يعملون طول اليوم خارج المنزل، بينما يكون الأطفال في مدارسهم، لذا لا يوجد أحد في البيت لرعاية الأجداد ممن يحتاجون إلى قدر كبير من الإنتباه. ونمط المنزل المصمم حالياً لا يسع أكثر من عائلة صغيرة، ولا تنشأ مشاكل عندما يشارك الأقرباء الكبار، ثلاث حجر للنوم، منزلاً من غرفة معيشة واحدة فيه إبن أو إبنة متزوجة وأطفالهم الصغار.

وفي الوقت الحالي، أقل من ٢٠٪ من الكبار ممن لهم أطفال يعيشون وحدهم، وكثير منهم يقوم بزيارة منتظمة من وإلى أطفالهم. على أية حال، حيث الحركة الجغرافية للأسرة الأولية التي زادت أصبح من الصعب ممارسة إتصال منتظم مع الأجداد وغيرهم من الأقارب. ومن المحتمل في المستقبل أن تصبح العزلة والوحدة للكبار مشاكل في المجتمع.

٢- الوظائف التعليمية:

في الأيام السابقة لجعل التعليم إجبارياً للأطفال فوق سن الخامسة، كانت الأغلبية من الأطفال يستطيعون تعلم كل ما يريدونه لدعم أنفسهم عندما يكبرون بالتقاط الحرف والمهارات من آبائهم. ومعظم التعليم، ماعدا الذى تكتسبه الفئات العليا والوسطى فهم يكتسبوه في إطار جماعة الأسرة.

ورغم أن الأطفال يجبرون على الذهاب إلى المدرسة لتلقى تعليمهم الرسمى.

فلا تزال وظائف التعليم الخاص بالأسرة مهماً جداً. ويبدأ الأطفال فى التعليم، بمجرد مولدهم، وبمرور الوقت يذهبون إلى المدرسة، حيث يتعلمون قدراً كبيراً من المعلومات. وعلى الأسرة دور كبير يجب القيام به فى التنشئة لصغارها، ويتعلم الأطفال فى إطار الأسرة الكثير عن العادات، والأعراف، والقيم فى المجتمع الذى ينتمون إليه، وعلى أية حال، فأهم الأشياء يتعلم الأطفال الكلام فى إطار عائلاتهم. وعلى الآباء هنا مسؤولية كبيرة، لأن كثير مما يحدث فيما بعد فى الحياة يتأثر بسهولة أو صعوبة الإتصال بين الناس الآخرين.

إذا أردت أن تشير إلى الفصل الرابع الذى فيه يناقش التعليم، سترى أن ما ينجزه أثناء أيام الدراسة يعتمد إلى درجة كبيرة على نوع الأسرة التى ينتمى إليها. فالأطفال ممن يهتم آبائهم بما يفعلون فى المدرسة، ويدعمونه. وذلك بتزويدهم بالكتب ويشجعونهم على تنمية إهتماماتهم الخلاقة وهواياتهم، يتميزون على الأطفال ممن لا يهتم آبائهم بذلك.

٤- الوظائف القانونية:

يتحمل الآباء مسؤولية أطفالهم حتى بلوغهم سن الثمانية عشرة هناك عدد من القوانين التى سنت لتأكيد أن الآباء يقدمون لأطفالهم ويرعونهم كما يجب.

الإرث – تتحدد الطرق التى تنتقل بها ملكية من جيل إلى التالى – من خلال الأسرة. وتؤكد القوانين التى تنظم الإرث أن حق الملكية مؤكد، وأن العائلات لديهم بعض الضمانات عند وفاة الآباء.

كثير من الناس قد اكتسبوا مكانات خاصة فى المجتمع من خلال التعاقب التى هى الوسيلة التى بها تنتقل الألقاب والرتب. والأسرة فى بريطانيا من النوع الوراثى، لذا فإن الأطفال يأخذون اسم أبوهم والتتابع يكون خلال خط الذكور. والتتابع أقل أهمية اليوم عما كانت عليه فى الماضى، ولو أنه لايزال وجود عدد

من الناس ممن يحتلون مراكز مؤثرة فى المجتمع الذى نجح له أكثر من إنجازهم نهائياً بجهودهم الخاصة.

٥- الوظائف الدينية :

بعض الأديان يتطلب من الأسرة، كجماعة، أن تلعب جزءاً هاماً فى رؤية مغزى الشعيرة والحفلات. اليهودية. مثلاً، متمسكة جداً مع الحياة العائلية للأسرة، والمناسبات الدينية الهامة مثل عيد الفصح يحتفل به داخل البيت.

ويقول T. B. Bottmore فى كتاباته عن الأسرة والنسب عند هندوكى الهند:

> ..... كان الدين قوة هامة توحد الأسرة المتماسكة لأعضائها بما فى ذلك الموتى والسقط إلى جانب الأحياء..... الأعضاء الأحياء من الأسرة يعتبرون أمناء على المنزل الذى ينتمون إلى Pitris، السلف، فى إهتمامات Putras،أعضاء المستقبل فى الأسرة.... الفكرة المركزية هنا أن عبادة الأسرة (Kula) كمعبد مقدس التقاليد (Prampara). ومن أهم واجبات أعضاء الأسرة أنها كانت تبقى النار المقدسة حية.

المسيحية لا تضع مثل هذه المطالب على الأسرة. ولو أن حياتها قد تتعاظم إذا ما مارس أعضاؤها المسيحية، فإنه ليس للأسرة وظائف معينة تمارسها. فالكنيسة الوحيدة ذات الأهمية فى وقتنا هذا، والتى تسعى إلى التأثير وضبط الأسرة إلى حد كبير هى الكنيسة الكاثوليكية. فهناك عدد متزايد من العائلات أصبحوا ينظرون إلى مقولات الكنيسة التعسفية على مثل هذه المواضيع مثل تنظيم الأسرة، الطلاق، التعليم الدينى للأطفال أنها غير واقعية وغير مناسبة. لذا يوجد جهود كبيرة من الجدال حول إلى أى مدى على الكنيسة أن تحشر نفسها فى مسائل الأسرة التى يتزايد عدد من يرون أن هذا ليس فى إهتماماتها.

٦- الوظائف الترويحية :

منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية فقط صارت الأسرة لأن تكون وحدة ترويحية. فأصبح فى هذه الأيام من المسلم به فكرة أن للأسرة عطلة مدفوعة الأجر لمدة ثلاثة أسابيع فى كل سنة، وعطلة نهاية الإسبوع لمعظم الناس تعتبر فترة إسترخاء ومتعة. وهناك إتجاه هام فى المجتمع هو زيادة عامة فى كمية وقت الفراغ المتاحة للناس.

ومع الفراغ المتزايد نلاحظ فيض متزايد من الأنشطة. هذا يعنى أن كثير من الناس الآن ليس لديهم فقط مزيد من الوقت الذى فيه يمكنهم عمل أشياء بعيداً عن الشغل، بل أيضاً لديهم المال الذى ينفقونه على الهوايات والأنشطة الترويحية. ولهذا التأثير الواضح على حياة الأسرة. فالآباء والأطفال خاصة عندما يكون الأطفال فى عطلة من المدارس، يمكنهم قضاء مزيد من الوقت فى صحبتهم، والذى يعنى أنه سوف يعرف كل واحد الآخر بشكل أفضل كأفراد. ستؤسس علاقاتهم على نسبة أقل من السلطة الأبوية ومزيد من الصداقة المتبادلة.

لمحة واحدة نلقيها على طريق رئيسى على شاطئ العطلة أو حتى بعد ظهر يوم أحد لطيف، تكون كافية لتدلنا إلى أى حد يخرجون للنزهة والزيارات إلى الشواطئ أو أماكن المتعة. ومن المؤكد أن إمتلاك سيارة والمزيد من الحركة قد أضافت بعداً جديداً إلى نشاط الأسرة فى وقت فراغها.

وكثيراً من الأسر تأخذ على الأقل يوماً عطلة بعيداً عن البيت كل سنة، ولقد إمتدت بسرعة الصناعات المتعلقة بإعداد مطالبها - الفنادق، التموين، منتجى القوافل، ومعدات المعسكرات، وعمال السفريات.

لقد صار البريطانيون كجمهور متمركزون حول البيت. فالناس بعامة، لديهم المال الذى ينفقونه على أشياء لبيوتهم، وإنتشار إتجاه «عملها بنفسك»

يعنى أن كمية من الوقت والجهد يمضونه فى تحسين المنزل. وباعتبار أن معظم البيوت صارت أكثر بهجة وراحة عما قبل، فمن المدهش أن ترى الناس يرغبون فى تمضية وقت أطول فيها.

ويجب ألانتغاضى عن التغيير الذى حدث فى العلاقات بين الأزواج وزوجاتهم. ومع الإتجاه نحو مزيد من المساواة بين الجنسين، فالأزواج والزوجات فى هذه الأيام ينظر كل واحد للآخر نظرة الرقيق. وحيث أنهم الآن يتقاسمون الأدوار التى كانت منفصلة، فإنهم يتقاسمون مناشط وقت فراغهم. والأزواج الصغار أقل ميلاً كما كان يفعل آبائهم على ترك زوجاتهم للإشراف على الأطفال بينما يذهبون إلى أصدقائهم.

ثالثاً: بدائل الأسرة:

قال Dr. Edmund Ieach عالم علم الأجناس البشرية فى محاضرة ألقاها فى Reitl فى عام ١٩٦٧ . «ان العائلة، مع عزلتها الضيقة وأسرارها المزخرفة، هى مصدر عدم رضانا». وكمثله هناك من الناس من يتعجب هل الأسرة حقيقة هى أحسن نظام لتنشئة الأطفال. لقد قامت بعض المجتمعات بتجربة أنظمة بديلة، لذا فلدينا شواهد يمكن أن ننظر إليها بعين الإعتبار.

فى روسيا ما بين عامى ١٩١٧ و ١٩٣٣ قام برعاية الأطفال فى دور حضانة إشتراكية بدلاً من رعايتهم بمعرفة آبائهم. وكان الغرض من هذا إضعاف الروابط الأسرية وتقوية نفوذ الدولة، حيث تكون الأطفال أكثر تأثراً بالتعاليم الشيوعية. تعلم الأطفال ألا ينظرون إلى ما علمهم آباؤهم إذا كان الأمر نزاع مع سياسة الحكومة.

تلك المحاولات لتغيير النموذج التقليدى لرعاية الطفل ليكون فى صالح النظام الجديد كان فاشلاً، لأنه صار واضحاً أنه إذا لم يحترم الأطفال سلطة آبائهم

فـلا يكون هناك إحتـرام لسلطة الدولة أيضـاً. فى هذه الأيام، ولو أن هناك نفس الإهتمام بتعليم أسس الشيوعية، فللآباء إحكام وسيطرة على أطفالهم الصغار أثناء سنوات تشكيلهـم. وتكون دور الحضـانة مكان يتيح للأمهـات أن يتركـوا أطفـالهـم أثناء وجودهم فى العمل، أما الأطفال الأكبر فيمكنهم الإلتحاق بمدارس داخلية للدولة، ولكن لا تزال الأسرة نظام إجتماعى هام.

وفى إسرائيل لأسباب مختلفة، وكبديل لنظام الأسرة لرعاية الطفل، تطور إلى Kibbutz (مزرعة جماعية تعاونية إسرائيلية) كتب طبيب نفسانى فى مجلة The Sunday Times (١٠ نوفمبر ١٩٦٨) يصف ذلك كالآتى :

> خُصصت الكويوتز لإيجاد مجتمع غير طبقى، دون تمييز بين العـامل والمثـقف، أو بين الجنسين. وليس للمـال دور فى الإقـتـصـاد الداخلى، وبطرق عديدة للبيئة الأسبقية على الحقوق الخاصة للفرد، وبخاصة حقوق الملكية وتنظيم الأسرة. الآباء يعيشون وينامون معاً، ولكن يأكلون إشتراكياً.
>
> ترى الأمهـات أطفـالهن لبضـعة الأشهر الأولى فى حياتهم، ثم تتدرج فى الهبوط بالرعاية اليومية ثم تعود إلى العمل، بينما يبقى الرضيع فى الحضانة مع من فى سنهم، هنا تكون جماعة من أربعة أو خمسة أطفال تحت رعاية Metapelet المدرس (وهى مزيج من الممرضة وأم بيت)، وعند حوالى سن السابعة ينضم لهم مدرس.
>
> وعندما يكبرون يتغير الموقف إلى جماعات أكبر، كل مع ميتابلت ومدرس مختلف. ويرى الأطفـال أباءاهم ساعتين أو ثلاثة كل مساء، ولكن ينامون إشتراكياً، ويستريحون ويرعون إذا تطلب الأمر بمعرفة مربية ليلية. ويشبه دور الآباء دور الأجداد المنهمكين، فهم غير مختصين بالتدريب، والتعلم، والنظام، الخ.

وبطريقة ما تكون عيشة الأطفال تشبه هؤلاء الأطفال الموهوبين والمتفوقين فى إنجلترا قبل الحرب العالمية الأولى - ينشأوا، فى دار الحضانة بواسطة دادة ويرون أباءاهم لفترة قصيرة قبل العشاء مساءاً. فى الكابنز الأب ليس هو رئيس العائلة كما كان فى العهد الفكتوزى فى إنجلترا.

أعد Dr Bruno Bettelheim دراسة عن الأطفال الذين نشأوا فى كيبوتز وهم: The Children of the Dream أطفال الأحلام فقال :

أظهرت لى خبرة الكيبوتز جلياً أن الطفل الذى ينشأ بمعلمين فى جماعة منزلية يمكنه أن يعمل بصوره الأحسن عن كثير من الأطفال الذين نشأوا بمعرفة أمهاتهم فى بيوت مصابة بالفقر، وأفضل عن بعض من نشأوا فى بيوت مع آباء من الطبقة الوسطى..... المعيشة فى كيبوتز ليست إلا لتعليم الطفل... حتى مع أسوأ الحاضنات وحتى مع أسوأ الإختلاف بين الحاضنات، والمدرس، والآباء فهم أينما ذهبوا بالقرب من الطفل - على الأساسيات. كل يوافق على أن الحياة، تنظيماً ونظماً فى الكيبوتز كما يجب أن تكون، ولو أن التفاصيل فى حاجة إلى التحسين، قارن تلك مثلاً، مع الشقاق فى المناطق القذرة بين كثير من الآباء ونظام المدرسة الذى يأتمونه على أطفالهم والذى من المفروض أن يستفيدوا منه، رغم عدم ثقة الآباء فيها، أو يختلفون منه.... التعاون الضرورى من وجوده فى كيبوتز... فهو يوجد فقط عندما يكون إجماع من المجتمع على أنه هو المثالى الشائع، ويتضمن هذا تقبل كبير من الشخص فى المجتمع، وله الحق فى تشكيل حياته الخاصة وحياة طفله..... أطفال الكيبوتز يتعلمون وفى رأيهم أنهم سوف يخلدون الحياة والمجتمع الخاص بآبائهم. أى أنهم انشئوا من أجل مجتمع مغلق

وليس مجتمعاً مفتوحاً.... ويبدو أن نظام الكيبوتز ناجحاً جداً فى تنشئة الأطفال فى مجموعات غير أمهاتهم، وأن هذا منذ الطفولة. ولكن حتى الآن فإن هذا النجاح ظهر فقط فى المجتمعات الصغيرة نسبياً، حيث يكون هناك إجماع، وحيث يكون القليل من الإختلافات فى نمط الحياة أو حقوق الملكية، وأن المجتمع ككل يمثل الأسرة الممتدة.

رابعاً: الزوجات والأمهات العاملات:

واحد من الأسباب لماذا تطور النظام الإشتراكى لرعاية الطفل فى كيبوتز كان لأن النساد ممن كانوا من بين الأعضاء المؤسسين لا ينظرون إلى تربية الطفل، وأن التربية كمهام هامة لهم. انهم يرفضون دور الأبوية ويضعون جانباً الأمومة لأنهم مشغولين فى بناء المجتمع الجديد فى إسرائيل.

ولو أن الظروف تختلف كثيراً فى إتجاهات النساء فى بريطانيا نحو دورهم التقليدى فقد تغير أيضاً. ففى عام ١٩٧٦ كان ثلثى السكان العاملين من النساء متزوجات، والحقيقة أن كثيراً من النساء المتزوجات الآن موظفات خارج بيوتهن وهذا كان أهم عامل يؤثر على حياة الأسرة اليوم.

فأغلبية هؤلاء من الزوجات العاملات من طبقة عمالية ويعملون فى الصناعة. ولقد أُعدت دراسات عن التداعيات الإجتماعية للنساء المتزوجات العاملات وأشارت إلى أن معظمهن يعملون لكسب مزيد من المال ينفقونه على بيوتهن وعائلاتهن، وأيضاً لأنهن يتمتعن بالرفقة مع زميلاتهن. على أية حال، رغم أن العمل أصبح شائعاً، فهو لا يشكل إهتمامات الحياة المحورية لهؤلاء النساء. لذا فإن البيت وشئون العائلة ذات أهمية كبرى. وهذا يعنى أن هناك معدل عالٍ من الغياب بين الزوجات العاملات فى أعمال روتينية فى المصانع.

على العموم، نجد النساء من الطبقة المتوسطة المهنيات من الأمور الهينة أن

تستمر فى مهنة بعيداً عن قيامها بدورها العائلى كزوجة وأم. وهن أقل من غيرهن من الطبقة العاملة محاولة لحث أزواجهن على الإسهام فى الكورال العائلى، حيث يستطعن بسهولة أكثر تقديم مساعدة مدفوعة مع عمل المنزل والإشراف على الأطفال.

وهناك شواهد قليلة تقول أن الأطفال من أمهات يذهبن إلى العمل يعانون من مغبة ذلك. فالنساء من ذوات الإلتزام المنتظم خارج البيت يرتبن إشراف كاف على أطفالهن، والمشكلة الخاصة «مفتاح السقاطة» تكون الأطفال شيئاً خرافياً فى خيال التقليديين الذين يعتقدون أن مكان المرأة هو البيت. بعد كل ذلك، لا يوجد ضماناً أنه بسبب عدم ذهاب الأم للعمل فى الخارج سوف تكون أطفالها دائماً فى رعاية وإشراف مستمر خارج ساعات المدرسة.

بعض المشاكل التى تنتج من أمهات تخرج للعمل قد يمكن حلها إذا كان المجتمع ككل عليهم أن يتقبلوا المرأة المتزوجة سوف يذهبون إلى العمل خارج البيت بصورة عادية. ومن ثم قد يعد أصحاب العمل ليكونوا أقل صلابة فى الساعات للمشتغلات، حتى يعطون وقتاً من وقت المدرسة والعطلات. ويمكن عمل الكثير للتخفيف من المشكلة لمثل «مفتاح السقاطة» بوجودهم فى دور الحضانة، ومراكز للعب تصبح متاحة. ويمكن للأطفال الإلتحاق بتلك المراكز بعد المدرسة حتى يقابلون الأمهات فى طريقهم إلى البيت بعد العمل.

وعلى الجانب الآخر، هناك بعض الشواهد تدل على أن الأطفال من أمهات مشتغلات يثقون فى أنفسهم وأكثر إستقلالية عن الأمهات ممن يكون فى البيت كل اليوم. وهناك أيضاً إحتمالاً أقل للبقاء بعيداً عن المدرسة إدعاءً تافهاً وأقل معاناة من آثار الأمومة والرعاية الزائدة.

الفصل الرابع

التعليم

- الوظائف الإقتصادية .
- الوظائف المتكاملة والراسخة .
- قطاع الدولة .
- العوامل البيئية في التعليم .

الفصل الرابع

التعليم

تمهيد :

في الأنماط المختلفة للمجتمعات توجد طرق متنوعة ضمن الطرق التى يتعلم بها الأطفال المهارات، الحرف، والمعرفة التى سوف يحتاجونها كى يأخذون مكانهم كأعضاء كبار مستقلين فى بيئاتهم الإجتماعية.

ويصف Professor Lauwerys فى كتابه Man In Society (الرجل فى المجتمع) التعليم عند أطفال الزولو فى جنوب افريقيا.

على الأمهات أن تُدّرس بناتها ما يحتاجون أن يعرفوه. يعلمون البنات كيف يفلحون الحقل، كيف يصنعون أوانى الطهى، وكيف يعدون ويقدمون الأطعمة. ويوكلون برعاية الأولاد للرجال عند بلوغ السادسة. ومن المتوقع أن يعتنوا بالخراف والماعز حتى يبلغوا سن الثالثة عشر، وعندما يتخرجون يربون الماشية. وقد يتعلم الولد أيضاً ممارسة الحرف بمعرفة والده أو عمه، من خلال الرقابة والمحاكاة يتعلمون طريقة نقش الخشب أو تشكيل المعادن.

ويلتقط الأطفال المعلومات عن الشئون الإجتماعية صدفة، ولكن أعطى لهم معلومات عن حقوقهم وواجباتهم كأعضاء فى عشيرتهم. وطرق التعليم سهلة: يرى ويحكى الكبار، تقوى الدروس بابتسامة أو تعنيف أو قطعة من الطعام. كل هذا من التعليم الإبتدائى غير رسمى، ولكن يأخذها الآباء مأخذ الجد، عند الذين يقضون وقتاً كبيراً مع أطفالهم.

المرحلة الثانية من التعليم لولد من زولو أو بنت متصلة بالإحتفالات التى تعطى خطوة نحو الشباب. كل واحد من تلك الإحتفالات لها طقوس معينة تساعد فى ربط الشخص الصغير مع الإله. ويعد الصبى والبنت فى مجموعات منفصلة لنقطة تحول فى حياتهم. يؤجر آباؤهم مدربين يقيمون مع الأطفال فى أكواخ منعزلةلمدة ثلاث شهور أو أكثر يراقبون فى صرامة تدريبهم.

ويأخذ الصبيان دروس فى الأخلاق فى شكل أساطير وأمثال، ويدرسون الفولكلور والأمثال التى يجب أن يعلمها كل زولو. وتؤدى الشعائر المقدسة، ومن خلالها يتعلم الأولاد والبنات الطريقة الصحيحة لتقديم وشكر إلى أرواح السلف..... ويتأكد مدرسوا الأطفال أيضاً أن التلاميذ يحافظون على المحرمات المطلوبة للإحتفال الأصلى، مثل تجنب بعض أنواع الأطعمة، ونتيجة كل هذا التدريب أن الصبى يتعلم تدريجياً كيف يجب أن يشعر ويسلك عندما يصير زولو كبير. إنهم يؤدون دورهم الإجتماعى من خلال تعليم عميق دينياً وتقليدياً.

طبيعياً ليس كل المجتمعات القبلية تعالج مهمة تعليم أطفالها بنفس الطريقة، ولكن الطرق التى يستعملونها متشابهة. لذا فإن تعليم الزولو يكون مثلاً للنظام الغير رسمى للتعليم الذى نتوقع أن نجده فى أى مجتمع غير متعلم.

وفى المجتمعات الصناعية، والدول التى تُبذل فيها الجهود من قبل الحكومة لتحديث النظام الإقتصادى بأسرع ما يمكن، يكون التعليم الرسمى، والذى يجرى فى المدارس، الكليات، والجامعات، فى غاية الأهمية. ويعتبر اليوم الأول فى المدرس علامة فى طريق عملية تنشئة الطفل فى تلك المجتمعات، وغالباً ما يشتمل على بعض ما يمثل طقوساً تميز أهميـة الحدث - إرتداء ملابس جديدة، وأحذية، عبوة من الأقلام الجديدة، أقلام ألوان، مسطرة، أستيكة فى شنطة كتب،

أو حقيقة مدرسية، معاملة جديدة مختلفة من الآباء، ولربما وعد بما يدهشه عند العودة فى نهاية اليوم.

لقد حظى الأطفال فى بريطانيا من البيت إلى المدرسة منذ سنة ١٨٧٠ فى سن الخامسة. واختيار الخامسة كسن عندها يجب أن يبدأ المدرسة بالصدفة، وهى سن أقل قليلاً عن السن التى يلتحق بها التلاميذ فى معظم المجتمعات الحديثة، حيث يكون الإنتقال من البيت إلى المدرسة فى السادسة أو السابعة.

وعند أى سن يبدأ الطفل المدرسة، على أية حال، فإنها تكون علامة لبداية السعى من الإعتماد على العائلة، وإلى مزيد متنامى من الإستقلالية. وهو أيضاً علامة نهاية فترة كان يتعلم فيها الطفل تعليم غير رسمى فى داخل العائلة، وبين أقرانه فى اللعب مع جيرانه، وبدء إكتساب المعرفة والمهارات فى شكل أكثر إنتظاماً فى مكان مؤسس.

وتعكس كل المدارس وجهة نظر المجتمع، أو قطاع من المجتمع، عن الطريقة التى يجب أن ينشأ عليها الأطفال، ويكونوا أعضاء هامين فى عملية التنشئة الإجتماعية، ساعين إلى لياقة الأطفال فى مجتمعهم.

لذا، فالنظام التعليمى جزءاً هاماً من كل النظام الإجتماعى، ويؤدى وظائف خاصة ضرورية فى داخله.

أولاً: الوظائف الإقتصادية:

لأن التعليم من الأمور المسلم بها فى بريطانيا، ومعظم الناس ينظرون إليه كجزء من خبرتهم العادية فى حياتهم المبكرة، يكون من الصعب أحياناً أن ينظر إليه ليس كعملية طبيعية ولا مناص منها، ولكن كشىء هو نتاج قوى خاصة فى المجتمع. أى أن قانون التعليم الأولى صار نافذ المفعول فى عام ١٨٧٠، على أية حال، نظر لمسألة المدرسة بأن تكون هامة فقط للأطفال اللائى عجزت الأسرة

وحدها عن تدريبهم على نمط العمل الذى يتوقعونه عندما يكبرون. وهذا يعنى أن التعليم كان مقصوراً على أطفال آباء الطبقة المتوسطة.

أوضح لنا إنتشار التصنيع أنه من الضرورى للأعداد النامية من العمال فى المصانع أن يكون لديهم المعرفة الأساسية للمهارات الأولية من القراءة، الكتابة، والحساب. لذا كان النظام الإقتصادى مسئولاً عن إيجاد الطلب لبعض التعليم الرسمى الذى يقدم لكل الطلبات فى المجتمع، والروابط بين النظام الإقتصادى والنظام التعليمى كانت دائماً فى علاقة حميمة.

الإقتصاد الصناعى الحديث، مثل الذى يوجد فى بريطانيا مؤسس على تقسيم العمل، ودرجة عالية من التخصص، وهى تتطلب قدراً كبيراً من التخصص، وهى أيضاً تتطلب قدراً كبيراً من القوى البشرية. واحد من أهم وظائف النظام التعليمى هو أن تبحث عن حاجات المجتمع وأنها تشبع، وذلك بتأكيد أن كمية كافية من النوع الصالح للعمل متاح. إذا ما كان المجتمع فى حاجة إلى مزيد من العلماء، إذن يوضح ضغط على الجامعات والمدارس لتقديم مزيد من العلماء، وإذا كان مزيد الفنيين مطلوب، إذن على أقسام الهندسة فى الجامعات عليها أن تتوسع، ولذا سوف تشجع الكليات والجامعات على وضع تأكيد أكبر على الموضوعات التكنولوجية.

وجدت بريطانيا بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية العالم وقد صار مكاناً للتنافس، وأن إقتصادها صار ضعيفاً. ولكى تبقى منافسة ومقتدرة، يكون التوسع التجارى، والتقدم العلمى والتكنولوجى من الأمور الأساسية. ولذا نظر المجتمع إلى معاهده التعليمية على أنها إستثمار إقتصادى، الذى عليه يتوقف كثير من أمانيه فى المستقبل، والفترة منذ ١٩٤٥ تستحق الذكر وبخاصة بالنسبة تطوير وتطويل التعليم العالى.

ولمواجهة الطلب المتزايد على الخريجين، زاد عدد الأماكن المتاحة فى الجامعات زيادة دراماتيكية منذ ١٩٤٥ حيث كانت سبعة عشر جامعة فى بريطانيا. وهى الآن أربعة وأربعين، ولو أن عشرة من السبعة والعشرين المضافة قد أوجدت من الصفر. والآخرون كانوا كليات فى جامعات أو جامعات للتكنولوجية المتقدمة التى قد منحت مكانة جامعية تماماً.

وبالرغم من التوسع، على أية حال، صارت الجامعات غير قادرة وحدها على مواكبة الطلب على دراسات تعليمية متقدمة وصار هناك نمواً هائلاً فى كل ميدان التعليم الإضافى. قانون التعليم لعام ١٩٤٤ طلب من السلطات المحلية أن تقدم التسهيلات للتعليم الإضافى فى مناطقها، وكان نتيجة ذلك إنفجار فى مؤسسات مختلفة مثل كليات التكنولوجية وكليات التعليم الإضافى من طرق الدولة إلى آخر، كان هناك ٢٣٢,٠٠٠ طالب يتبعون دراسات متقدمة فى مثل تلك المعاهد فى ١٩٧٥ – ١٩٧٦، بعض تلك الكليات أصبحت متعددة التكنولوجى، وتقدم درجات ودراسات دبلوم فى تنوع كبير من الموضوعات.

ولو أن الصلات الإضافية بين النظام الإقتصادى والنظام التعليمى حيث زيفت فى عام ١٩٦٤ مع صدور قانون التدريب الصناعى. وحتى صدور هذا القانون كانت مسؤولية تدريب العمال فى الصناعة والتجارة ملقاة تماماً على المستخدمين، وهناك نسبة صغيرة جداً من تاركى المدارس قد أعطوا تدريب مهارى – أقل من ٢٠٪ من الأولاد و ٣٪ من البنات. من بين هؤلاء ممن اعطوا تدريباً، ٥٠٪ فقط من الأولاد توظفوا فى صناعات هندسية، بناء السفن، بضائع كهربائية، منحوا يوماً لحضور دراسات فى الجامعات. فتاركى المدارس شغلوا فى الزراعة، التأمين، والبنوك والبضائع المتجولة وكان عددهم ١٠٪.

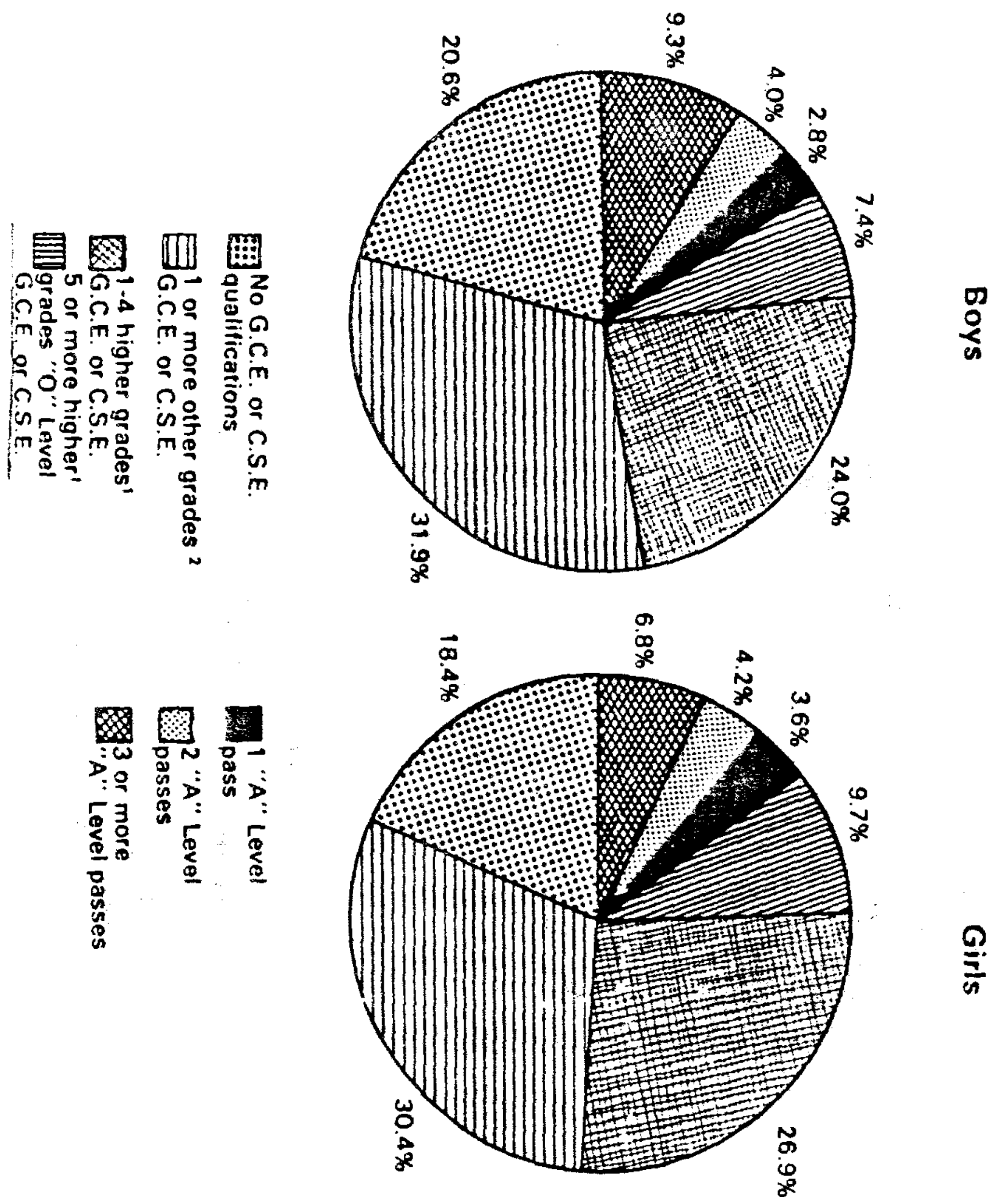
هذا يعنى أن هؤلاء الذين دخلوا الحرف أو مشروعات تدريب كانوا غير كافين. رأى كثير من مستخدمى الحرفيين كمصدر للعمال الرخيصة؛ مصانع

صغيرة كانت تتوانى فى إنفاق النقود على تدريب عمالهم إذا ما تركوا المصانع سعياً وراء عمل وأجر أفضل بمجرد تدريبهم؛ كان الإتحاد التجارى متحمساً لتجنب العدد الكبير من العمال المهرة الصغار القادمين إلى الصناعة من العمال الأكبر.

نمط التدريب على الصناعة الذى ظهر واضحاً صار له تأثير هام ليس فقط على التعليم الإضافى، حيث زاد عدد الطلبة فى الكليات باستمرار بعد إقرار قانون التدريب الصناعى ولكن أيضاً على نظامنا التعليمى ككل.

من الواضح أن النواحى المهنية فى التعليم لها أهميتها الكبرى. يكون غير واقعى أن ندعى فى مجتمع حيث يوجد ٢٠٠ مهنة يمكن الدخول إليها فقط بالمرور فى إمتحان كتابى عن جمعياتهم التى أهلتهم، وأيضاً عدد أكبر تكون فيه الترقية تعتمد على الحصول على شهادة أو دبلوم تمنح من قبل المؤسسات مثل المدينة ونقابات معهد لندن أو جمعية الفنون الملكية.

الطلب المقدم من النظام الإقتصادى على التعليم قد أحدث إعادة للشعور ليس فقط فى ميدان التعليم الإضافى والعالى، ولكن أيضاً فى المدارس الثانوية. وشواهد فى التميز المهنى فى التعليم قد أوضحت معدل التكاثر فى الإمتحانات (أنظر شكل ٢). الإنتشار السريع فى إمتحانات فى المدارس الثانوية يمكن قياسه بالعدد المتزايد بعد نتائج الإمتحانات بواسطة أناس خارج المدارس كوسيلة لتأكيد مناسبة الفرد للوظيفة أو تدريب إضافى. يقدم لنا نظام الإمتحان بوسيلة لتصنيف وتدريج الأفراد طبقاً للياقتهم لعدد كبير من الأعمال التى يتطلبها المجتمع من أعضائه. وهذه الوسيلة الواحدة التى يمكن إدارتها مع سهولة مناسبة، وهى التى تعتبر التوصية الوحيدة. هناك من يقول أن الإمتحانات تسبب قلقاً وضغطاً، لذا لا تعطى لكل المرشحين فرصاً عادلة. نتائج الإمتحانات غالباً ما لا تكون موثوق بها فى الإشارة إلى قدرة الفرد.


Boys
Girls
9.3%
4.0%
2.8%
7.4%
24.0%
31.9%
20.6%
6.8%
4.2%
3.6%
9.7%
26.9%
30.4%
18.4%
No G.C.E. or C.S.E. qualifications
1 or more other grades ² G.C.E. or C.S.E.
1-4 higher grades¹ G.C.E. or C.S.E.
5 or more higher¹ grades "O" Level G.C.E. or C.S.E.
1 "A" Level pass
2 "A" Level passes
3 or more "A" Level passes

شكـل (٢)

العلاقة بين النظام الإقتصادى والتعليم علاقة متينة، ولكن يجب أن نتذكر أن المدارس ليست مهتمة فقط بالمساعدة فى تجهيز الأطفال لتحصيل معيشتهم عندما يكبرون. وكثير من التربويين مهتمون جداً بأن الضغوط الإقتصادية لها تأثير قوى على التعليم، لأن أهداف الإقتصاد والتعليم ليست واحدة. يهتم الإقتصاد بإنتاج السلع والخدمات وفى النظام الإقتصادى الناس حقيقة إن هم إلا وسيلة إلى هذه النهاية؛ الأفراد هم وحدات لواحد من عوامل الإنتاج - العمل. التعليم على الجانب الآخر تعتبر الأفراد كنهاية فى أنفسهم، وتعلم أن على الأفراد أن يتعلموا كيف يكونوا أعضاءً فى المجتمع وكيف يستعملون وقت فراغهم بكفاءة كما يعرفون كيف يكسبون حياتهم.

ثانياً: الوظائف المتكاملة والراسخة:

إذا كان على الأفراد أن يصبحوا أعضاءً متكاملين ومساهمين فى المجتمع، فيجب أن يتعلموا عن المجتمع الذى ينتمون إليه. وعلى المدارس دور مهم يلعبون فى عملية التنشئة، لأنهم مندوبون مهمون فى نقل الأعراف، الإتجاهات، والقيم، ويساعدون فى المحافظة على ثقافة المجتمع.

تقدم المدارس كل جيل جديد بخبرته الأولى طويلة الأجل للمجتمع خارج حدود الأسرة، وهم لذلك مسؤولون إلى حد كبير إلى تعريض الفرد للمدركات والأسس التى ينى ويؤسس التركيب الإجتماعى. النظام التعليمى ليس نظاماً ثابتاً، لأنه يسعى ليس فقط على المحافظة على ما يعتبر عامة يستحق المحافظة، ولكن فى نفس الوقت عليه أن يقدم بيئة فيها تثار أفكاراً جديدة ويصبح التقدم محتملاً.

يوجد فى هذه الآونة قدر كبير من الجدال داخل المجتمع خاصاً بالنظام التعليمى. كثير من الناس المتحمسين لتغيير النظام الإجتماعى الحالى يعرفون أنه

لإنجاز أى تعديل، يجب تغيير النظام التعليمى. لأسباب أيديولوجية، إنهم هم ينتظرون نظاماً يعكس أوامر تقليدية كأدوات لتثقيف الصغار، ومرتكزاً لنظام إجتماعى قائم. كثير من الناس يعتبرون أن النظام مكون أساسى فى أى شكل للحياة الإجتماعية، ويعتبرون النظام الإجتماعى كدعم هام لوظائف الأداء. وهم يفضلون الإستقرار الذى يقدمه الإجماع للفوضى العقلية التى يخافون أن تنتج من التقلب أكثر من دعم النظام التعليمى.

ولو أن كثير من التغييرات قد حدثت داخل النظام التعليمى، عاكساً للتغير فى الإتجاهات، فكثير من الفروض التقليدية والقيم التى عليها تأسيس المجتمع تنتقل من خلال المدارس. النظام الإقتصادى البريطانى مؤسس على الرأسمالية التى تعتمد فى نجاحها على المشروعية والإنجاز. تلك المميزات تتبناها المدارس باستعمال الإمتحانات ورسم الخطط التى تشجع المناظرة، لأن النجاح يقاس بالنجاح فى الإمتحانات والحصول على درجات عالية.. النظام بوضوح يؤكد النجاح فى هذا النوع ويميل إلى استبعاد الفاشلين. التفاخر بعمل «جيد» الكؤوس، الإنتصار إلى جانب لوحات العرض العالية التى تدل على إنجاز الطلبة السابقين، المنح الدراسية التى نالوها فى اكسفورد أو كمبردج، رموز واضحة للطريقة التى تشجع بها المدارس المنافسة وتؤكد نجاح الفرد أو الفريق. هذه الحوافز حقيقية لمن لديه القدرة واللياقة للنجاح فى نظام تنافسى.

التكوين السلطوى التقليدى للمجتمع مع الترتيب الهرمى والمكانات المحددة والأدوار جاءت لصالح التطور فى المدارس لنظام صارم مع تأكيد واضح على النظام والمحافظة على العلاقات أثناء لعب الأدوار. ولقد زاد التحدى للتكوين التقليدى فى الأعوام الحالية، وأن التغير فى الإتجاه الذى صار واضحاً فى المجتمع ككل، بدأ التأثير على النظام التعليمى. ولقد حدث بشكل ملحوظ فى نهايات النظام – فى الجامعات والمدارس الإبتدائية. نظام الإمتحانات، قانونية الرسوب،

إستعمال العقاب البدنى، العلاقة بين المدرس والتلميذ، إرتداء الزى المدرسى، هل تلك أمور أصبحت موضوعات للمناقشة وإعادة النظر. وهناك عدد متزايد من النظار والناظرات يدخلون أنظمة أكثر ديمقراطية وأقل سلطوية فى المدارس المسؤولون عنها.

طريقة التدريس التى بها تدرس كثير من الموضوعات مثل الأدب، التاريخ والجغرافيا تؤكد ثقافة المجتمع وتؤكد على نوعية الشخصية التى تعتبر مرغوبة إجتماعياً. ففى المدارس لا يتعلم فقط عن كُتّاب المجتمع، الشعراء، والفلاسفة ولكن أيضاً عن الأبطال، والبطلات والقواد العظام. وهذا يشجع الشعور بالولاء والوطنية، ويلقن فى الأجيال المتعاقبة الإحساس بالإنتماء إلى مجتمع الذى يشتمل على الكثير مما يستحق الإعجاب. وهو أيضاً يأتى بالمثل التى تمد الأفراد بمعيار يمكن أن يقيسون به مقدار إسهاماتهم، وسلوكهم، وللمدارس جزءاً كبير تلعبه، فى نقل الإتجاهات والقيم.

الدين المؤسس للمجتمع يعتبر من ملامح ثقافته، والمعلومات الدينية فى وقتنا الحالى هو الوحدة الوحيدة الإجبارية فى المنهج المدرسى. الحقيقة أن مكان المعلومات الدينية فى المدارس تؤدى إلى قدر كبير من جدال خطير. ومكان الدين المنظم فى المجتمع نفسه قد هبط من حيث الأهمية وفى مجتمع متدين من الصعب أن نصدق أن كثير من الناس يعتبرون أن هذا أمر لا يلائم حياتنا المعاصرة وأن نعطى أهمية للدين فى المدارس. ففى قانون التعليم لعام ١٩٤٤، يحق للآباء سحب أطفالهم من حصة المعلومات الدينية، ولكن المدارس الحكومية فهى مجبرة على أن تتيح تعليم تلك المعلومات وأن تمارس العبادة يومياً.

فى المدارس الكنائيسية المدعمة بحصانة خاصة، يعطى الأولوية للمعلومات الدينية، ولكن المدارس المقدسة، بسبب الضغط المتزايد لوجود وقت للتوسع الجديد

فى الأنظمة، فإنه من المحتمل أن تعطى مكانة منخفضة. فى كثير من المدارس يكون الوقت المكرس للمعلومات الدينية يستعمل غالباً للدراسات الإجتماعية، الشئون الجارية أو المناقشة العامة. الإنصراف العام لتأثير الدين فى النظام التعليمى يعكس التغيّر فى إتجاهات المجتمع ككل نحو الدين.

ثالثاً: قطاع الدولة:

لعل التطور البعيد المنال فى النظام التعليمى هو التغير من نظام تعليمى إختيارى إلى نظام شامل فى التعليم الثانوى.

وحتى السبعينات كان الأطفال تقسم عند الحادية عشر – وغالباً على أساس الإمتحان – إلى مجموعتين. المجموعة الأصغر (عادة أقل من ٢٥ ٪) يذهبون إلى مدرسة متوسطة والآخرين يذهبون إلى مدارس ثانوية حديثة. وفى نهاية سنة ١٩٧٧، على أية حال، صار التغير من نظام الإختيارى المبكر أكثر ثباتاً، وفوق ٧٥ ٪ من الأمم تمسك بالمدارس الثانوية وصار جهودها فى المدارس الشاملة.

وواحد من الجدال القوى ذهب إلى مناصرة الإعتراف بالشمولية، حيث يقدم لنا نظاماً مرناً الذى فيه لكل الأطفال الفرصة لتطوير مواهبهم وقدراتهم الخاصة، ولقد اتضح أن الإختيار عند سن الحادية عشر كان ناضج، وغالباً ما قاد الأطفال إلى «سوء التسكين» فى المدارس التى سكنوا فيها. لم يكون ذلك محرجاً للأفراد المعنيين، ولكن أيضاً كان مضيعة لمواهب البشر فى المجتمع ككل.

المجادلات الأكاديمية كانت تساوى فى القوة المجادلات الإجتماعية. اعتقد كثير من الناس أن إذا كان الأطفال من كل المستويات فى القدرة، ومن عائلات مختلفة الخلقية عليهم أن يختلطوا فى حرية فى مدارسهم الثانوية، فكثير من الأقسام القائمة فى المجتمع الأوسع – وبخاصة أقسام الطبقات الإجتماعية – سوف تنهار، ووجود ثقافات فرعية سيكون إلى درجة من الإنتشار يصعب قمعه.

سرعان ما يفرض الآثار طويلة الأمد للتسليم بها، والمدى الذى تصل إليه آمال المصلحين سوف تتحقق ونحن ننظر للموقف فى المجتمعات الأخرى حيث يتلقى الأطفال التعليم الثانوى فى المدارس الشاملة.

فى الولايات المتحدة، مثلاً، حيث الأطفال فى كل أنواع الخلفيات ومن كل مستويات القدرة تلتحق بالمدارس الشاملة العمليات وتدل الشواهد أن الأطفال يتبعون الدراسات التى تقدم فى المنهج التى سوف فوراً تقودهم إلى نفس النوع من المهن كتلك التى كان عليها آباؤهم. الأطفال من ذوى الآباء الذين فى مكانة عالية يتبعون دراسات التى تعدهم لدخول الكلية، بينما الأطفال من عمال يدويين من المحتمل إتباعهم الدراسات غير الأكاديمية، وتلك هى المخصصة للأطفال الذين يتوقعون أن يدخلوا العمل بمجرد تركهم للمدرسة.

ومن المدهش أنه، بالرغم من التقاليد الطويلة للمساواة بين الفرص التعليمية والتى هى فى قلب التعليم الأمريكى، ووجود المدارس الشاملة العليا، فإن الأطفال من آباء الطبقة الدنيا يتمون تعليمهم فى سن مبكرة عن أطفال من آباء من الطبقة العليا. والواقع كل الأطفال من الطبقة العليا والوسطى يتمون دراساتهم ويتخرجون من مدارس العليا، بينما كثير من أطفال طبقة العمال اليدويون يفشلون فى عمل ذلك. لقد قدر أن فى بعض المناطق المحرومة، حوالى نصف الأطفال من طبقة العمال يتركون المدرسة قبل إنتهاء دراستهم.

فى مايو من عام ١٩٧٨ تكلم Ms. Willic Hamilton فى مجلس العموم عن العدد القليل من الأطفال من طبقة العمال الذين كانوا يتقدمون نحو الجامعة ويدخلون المراتب العليا فى الخدمة المدنية. وأشار أن النسبة من دون التخرج فى الجامعات البريطانية من ذوى الآباء العاملين فى أعمال يدوية بقيت فى الواقع دون تغير أثناء الخمسين سنة الماضية. وزير الدولة وزير التعليم أيد أن ٢٤٪ من

الناجحين من طالبى مكاناً فى الجامعة للعام الأكاديمى ١٩٧٧ - ١٩٧٨ كان أطفالاً من عمال يدويين، وأن النسبة قد مالت إلى الهبوط هبوطاً حقيقياً فى السنوات الحالية.

وقد يكون من الواقع أن المدارس الثانوية كانت قادرة بشكل أفضل على أن تساعد لعى الإنتقال إلى أعلى عن طريق السلم التعليمى للأطفال من طبقة العمال. هناك شاهد يقول أن المدارس الشاملة كانت ناجحة فى تشجيع الأطفال الأذكياء من عمال يدويون على توسيع أفقهم وتغير مستوى تطلعاتهم.

كثير من الناس يعبرون عن إهتمامهم بالنظام المتغير للتعليم الثانوى، المستوى العالى الأكاديمى التى إحتفظت المدرسة الثانوية القديمة قد كان الضحية. وأكيداً «المجادلة الكبرى» حول التعليم الذى ابتدعته الحكومة كان عن مشكلة هبوط المعايير، والإستمرار فى إهدار قدرة وجهد أطفال الأمة. كثير من القصور الظاهر لنظام التعليم هى، على أية حال، نتيجة لعوامل فى المجتمع والخارجة عن نطاق الإحكام، ولها تأثير كبير على نجاحها - أو إحتياجها للنجاح.

رابعاً: العوامل البيئية في التعليم:

لقد عُملت العديد من الدراسات التى تسعى إلى معرفة كيف تتأثر سنوات المدرسة بالعوامل خارج المدرسة. ولقد زادت الشواهد التى تشير إلى أن المحاولات لتوجد المساواة فى فرص التعليم لأن فرص حياة الفرد تتحدد إلى حد كبير عند الميلاد.

لسوء لاحظ، الطفل لا يقدر على إختيار أبويه، ولا يمكنه أن يقرر أين يعيش، حجم دخل أسرته، أو ما عدد أخوته وأخواته. مع أن كل هذه الأشياء سيكون لها تأثير جسيم على حياته. الإختلافات فى ظروف الأسرة تحسب على كل عدم المساواة التى توجد فى مجتمعنا. أكيدا، ولد بعض الناس محرومين

بشكل ملحوظ مثل العيوب العقلية والعضوية التى تتضح مباشرة ويشار إليها عامة «المعوقين» فى لغة كل يوم، ولكن يوجد عدد من المعوقات التى يمكنها أن تضع الفرد فى ضرر خطير. تلك المعوقات الإجتماعية تشل طالما الأفراد يعانون منها، وقد تؤثر قدرة على الإستجابة، وتستغل الفرص التى قد يقدمها المجتمع.

ولكى نبدأ يوجد شاهد يؤخذ فى الإعتبار يدل على أن الفقر يمكنه أن يؤثر سلبياً على البيئة التعليمية. الفقر يؤدى إلى قيام المنزل المزدحم والأمراض المصاحبة، وهو أيضاً مع وجود النقص الغذائى، التعب المزمن، والعجز العضوى. توجد عيوب النظر والسمع، وتلف الأسنان وإنخفاض مستوى الصحة شائعة بين الأطفال من أسر منخفضة الدخل، وهى عامل مسهم فى الحرمان التعليمى.

يجب ألا يفترض من هذا أن كل الأطفال من بيوت التى يمكن وصفها «فقيرة» سوف تعانى من معوقات خطيرة. فى كثير من مثل هذه البيوت قد يتمكن الآباء من وضع موازنة بعناية تصل على أفضل المحتمل من إستعمال المال الذى يمتلكونه، ويعطون أطفالهم قدر كبير من العناية والرعاية. وتدل الإحصاءات المتعلقة بالفقر بوضوح أن هناك علاقة أكيدة بين حجم الأسرة والفقر – خطر الفقر يزداد مع زيادة الأطفال. الدراسات التى أجراها J. W.Douglas وغيره تدل على أنه أيضاً إرتباط بين حجم الأسرة ومعايير الذكاء، التى تكون مستقلة إجتماعياً أو من حيث الدخل.، حتى أن الأطفال من العائلات الكبرى من الطبقة المتوسطة قد تعانى من معوق تعليمى كما هو الحال فى الأطفال من بيوت طبقة العمال.

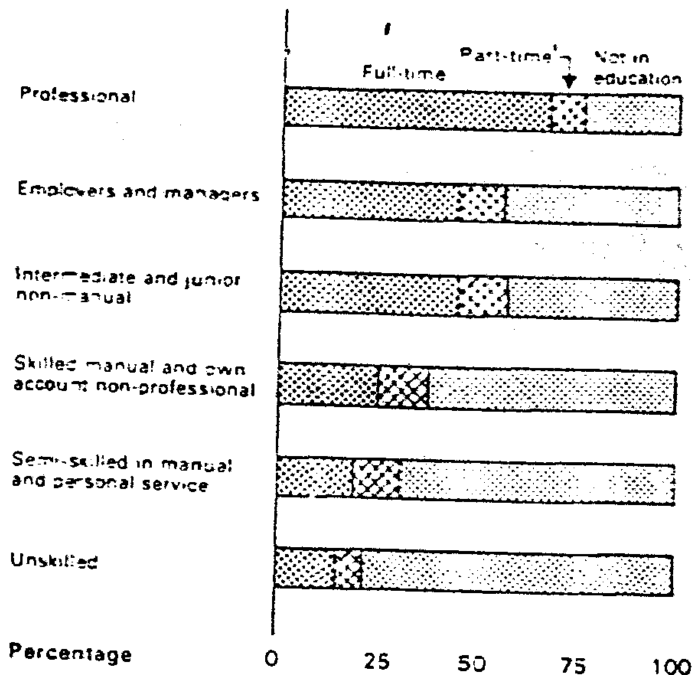
العلاقة بين حجم الأسرة وقياس الذكاء ليست واحدة لكل الطبقات الإجتماعية. يتأثر الأطفال فقط فى الطبقة الوسطى إذا كانوا من أسر مكونة من أربعة وأكثر، بينما بين العائلات من طبقة العمال، نجد أن الأطفال يعوقون فى كل مرة يزداد فيها حجم الأسرة.

حيث تكبر الأسرة، لا تستطيع الآباء إعطاء أطفالهم نفس القدر من العناية الفردية، ولا يمكنهم عادة مدهم بكثير مما يساعدهم على إستعمال أحسن ما لديهم من السنوات فى المدرسة، مثل الهدوء، الحجرات المريحة التى فيها يؤدون واجباتهم المنزلية دون إزعاج بالتليفزيون، الخروج إلى الأماكن المحببة، التشجيع بممارسة الهوايات واستغلال وقت الفراغ، وفرص الترحال. وما هو أهمها، على أية حال، هى أن حقيقة فى الأسر الكبرى لا يستطيع الآباء الكلام مع أطفالهم إلى نفس الحد الذى يستطيعه الآباء فى الأسر الصغرى، ولقد أوضحت الدراسات التى أجريت على أن الإنجاز التعليمى مرتبط بالقدرة الكلامية.

ومن حيث القدرة الكلامية، هناك أيضاً إختلافات كبيرة بين الطبقات الإجتماعية. لدى الآباء من الطبقة الوسطى مفردات واسعة، يتعرض لها أطفالها باستمرار. وبواسطة تلك المفردات الشاملة، يمكن التعبير عن الأفكار المعقدة، والتنوع الهائل فى العواطف، وظلال المعانى، ومن ثم نقلها. وعلى الجانب الآخر نجد اللغة محدودة جداً فى بيوت الطبقة العمالية. قليل من كلمات الشتائم، مثلاً، قد تحل محل العديد من الأهداف التى قد تستعمل لحمل المشاعر المتنوعة مقترنة بالرفض والفشل.

الطرق المختلفة التى تستعمل فيها اللغة فى البيت سوف تؤثر على قدرة الأطفال على تعلم المهارات واستيعاب الأفكار. وسوف تؤثر على التعلم فى المدرسة. وبالنسبة لطفل الطبقة الوسطى، تكون المدرسة إستمراراً وإمتداداً للتعلم، وعمليات التنشئة التى تحدث فى الأسرة، لذا فإن النظامين يتمم ويدعم الآخر. على أية حال، للكثير من أطفال الطبقة العمالية لا يدعم البيت والمدرسة كلاً منهما الآخر بهذه الطريقة، ولكن نتوقع وجود نزاع بينهما. لذا كان أطفال طبقة العمال فى حالة من الضرر بالنسبة للقدرة على الإستفادة من الفرص التعليمية المتاحة لهم فى هذا الخصوص.

وسواء التحق أم لم يلتحق الطفل بمدرسة بانتظام والبقاء فى المدرسة بعد الوصول إلى سن الترك الرسمى، سواء حصلوا أم لم يحصلوا على التعليم التعالى بعد ترك المدرسة، والتقدم إلى الكلية أو الجامعة، لا تزال تعتمد على خلفية أسرهم. مثلاً من المحتمل أن يبقى الأطفال فى المدرسة بعد سن السادسة عشر حتى يقوم واحد على الأقل بإطالة تعليمهم بهذه الطريقة (أنظر شكل ٣).



شكل (٣) المكانة التعليمية للأشخاص الصغار، بجماعة الأب الإقتصادي - الإجتماعي (١٩٧٤ - ١٩٧٥)

كذلك الفرص التعليمية المتاحة للأطفال تعتمد أيضاً إلى حد كبير على أين يقيمون، والذى يتحدد بظروف آبائهم، أصبح هناك قدر كبير من الشواهد الإحصائية المتاحة والتى تشير بشكل واضح إلى أى حد تكون المعينات التعليمية التى تقدم من إقليم إلى آخر ومن سلطة محلية إلى أخرى.

التعليم هو أكبر خدمة مكلفةً على السلطات المحلية، وسوف يعتمد مستوى ما يقدم على كمية المال المتاح. يختلف دخل كل سلطة محلية وهو مجموع دخول الأفراد، وبالرغم من المحاولات التى عملت لمساعدة السلطات الفقيرة ومساواة المصادر، بقيت السلطات الثرية والسلطات الفقيرة بقيت فقيرة بالمقارنة، حتى مع حصولهم منح من الدعم من الحكومة لتعويض دخلهم من الضريبة. هذا يعنى أن الطفل الذى يعيش فى Bournemouth، وهى من أغلى السلطات فى الجنوب – الشرقى، سوف يحصلون على مزايا تعليمية على طفل يعيش Middlesbrough التى هى من بين أفقر السلطات فى الشمال.

ولو أن نوعية التعليم المقدمة لا يمكن قياسها فى ضوء كمية المال الذى يتفق عليه، فمن المعقول أن نفرض أن السلطات المحلية التى تنفق المزيد بالتلميذ على بناء مدارس جديدة، وصيانة وتحسين المدارس الموجودة، وتمثل أجور المدرسين، والكتب المدرسية، والخدمات المعاونة، حالة الأطفال فى مناطقهم فإن هذه المميزات هى موضع معارضة.

لا يوجد حلولاً بسيطة للمشاكل المتصلة بعدم المساواة فى الفرص التى تنشأ من الأسرة والإختلافات البيئية. ولو أن كثير من التربويين يقيمون آمالهم على إنتشار المدارس الشاملة، فالحقيقة أن نظام الإختيار يميل إلى تبنى أن عدم المساواة لا يعنى أن هذه الإختلافات سوف بالضرورة تتقلص إذا ما إنمحى الإختيار.

الفصل الخامس

التمايز والتدرج الإجتماعي

- الأنساق الطبقية .
- النظام الطبقي أو النظام الإقطاعي .
- النسق الطبقي .
- بعض نظريات التدرج الاجتماعي .
- الطبقة الإجتماعية في بريطانيا الحديثة.
- تغيرات الحياة.
- الحراك الإجتماعي.

الفصل الخامس

التمايز والتدرج الإجتماعي

تمهيد :

الملك يمكنه أن يشرب أفضل الخمور
هكذا أنا أستطيع :
وعنده الكفاية عند تناول الطعام
هكذا أنا عندى
ولا أستطيع أن آمر المطر أو السطوع
وهكذا أنا لا أستطيع
إذاً أين التفاضل - دعنى أرى -
بين ربى والملك وأنا
«التباين» (Charles Mackay)

لا يستغرق منا وقتاً طويلاً لنكتشف كلما تقدمنا فى المجتمع أن الناس لا يتعاملون متماثلين - المال، المكانة - الميزة - وكل الأشياء غير المرغوبة غير المتكافئة هى سمة الحياة فى كل المجتمعات، ولو أن الفجوة بين «الإمتلاك» و«اللاإمتلاك» كبيرة بشكل ملحوظ لدى البعض عن البعض الآخر.

فهناك قدر من عدم المساواة ينبع من الحقيقة أن فى الأسباب الطبيعية وغير المتاحة أمر يختلف فيه الناس عن بعضهم. فالتباين فى الجنس والسن، والنسب أو القدرة السمنية والعقلية هى مميزات لا يمكن أن تتعادل. على الجانب الآخر كثير من عدم المساواة ليست طبيعية، ولكن من صنع الإنسان، وتنبع من الحقيقة أن

قيماً مختلفة متفقة مع مميزات خاصة. ولربما الناس ممن يملكون المميزات الأكثر قيمة، يثابون بإعطائهم مكانة أكبر، أكثر قوة وأكثر إمتيازاً. مثلاً، إذا ما تكون «العقول» أكبر علواً فى القيمة عن «العضلات»، قد يكون للأعضاء النجباء فى المجتمع حق الثناء عن ما تكون مَلَكتهم هى القوة البدنية - ويتمتع الفيلسوف الإغريقى بأن ينال ميزة أكبر عن ما يعملون فى حفر الأرض.

لا تقيّم كل المميزات بنفس الطريقة. فى بريطانيا، مثلاً، لا يُقْدَر الناس عالياً أو يُحترم ببساطة لأنهم حدث أن يكونوا أكبر أو أطول أو وسيم أو رياضى. يوجد العديد من الطرق التى فيها يختلف الواحد عن الآخر دون أن يكون هناك عدم مساواة إجتماعياً.

التدرج الإجتماعى (Social Stratification) مصطلح يستعمل للإشارة إلى تباين أعضاء المجتمع على أساس المميزات الخاصة التى تُختار للتقييم. هكذا يصنف الناس إلى مراتب الفائق والوضيع، كل من كان فى نفس الرتبة يتمتعون بنفس الدرجة. هذا التدرج بين الناس يثير (على مدى زمن) الإعتراف، والمكانة الثابتة نسبياً. تلك المكانة قد توصف على أنها «عدم المساواة النظامية».

فالأنماط المختلفة من التدرجات الناتجة عن التدرج الإجتماعى، مميزة طبقاً للطرق التى تقترح بها مختلف الدرجات، إلى حد أن الناس يمكنهم التحرك من رتبة إلى أخرى والحق الخاص المصاحب للدرجة. وأكثر الأشكال شيوعاً وأهمية للتدرج الإجتماعى هى الطائفة، المنزلة أو الأنظمة الإقطاعية، وأنساق الطبقة.

أولاً: الأنساق الطبقية:

فى النظام الطائفى كهذا الذى يوجد على أتم تعبير فى الهند، ولد الناس فى مرتبة معينة، ولا توجد فرص للتحرك من طائفة إلى أخرى. وهذا يعنى أن البناءات المتدرجة كانت صارمة، والإختلافات بين مختلف الطوائف من حيث التميّز

كانت ملحوظة. وتقسيم السكان إلى طوائف كان ينظر إليه باعتباره فرض مقدس، وأن هذا الدعم الدينى للنظام زاد من صرامته. ولم يكن للناس أن يخاطرو بالتعرض إلى الجزاء المقدس بمحاولة الإنتقال إلى طائفة مختلفة.

استمسك النظام الطائفى عن طريق مراقبة الطقوس والتى قصد بها تأكيد الطهارة، وكرس أفراد الطوائف العديدة كثير من إنتباههم لتجنب التدنيس. هذا يعنى أن العرف والقواعد تضبط الإتصال بوضع ما يسمح به أولا. وتحدد الطائفة نوعية الحرفة التى تتبع، والغذاء، والزى وإختيار الرفيق عند الزواج. وحقيقة تأثرت طرق الحياة كلها بالطائفة التى ولد فيها الفرد.

ثانياً: النظام الطبقي أو النظام الإقطاعي:

فى إطار نظام المنزلة نجد أن الطبقات المختلفة التى تشكل السلطة كانت واضحة التفاضل. ففى الأعلى كانت الحراكية أو الارستقراطية، وفى القاع الفلاحين أو الخدم مع طبقة متوسطة تشمل من بين غيرها التجار والحرفيين.

لقد اعتقد الناس فى اوربا بأن هذا النظام هو أمر من الرب، ولكن تمسك به كثير من القوانين الوضعية، والعادات، التى لها تأثير على التقليل من الحراك من رتبة إلى أخرى. يرث الأفراد رتبتهم من آبائهم، وطبقاً للمنزلة التى عليها ولدوا، تفتح لهم عدداً من المهن، على غير ما لنظام الطائفة التى تحدد أى الأعمال الخاصة يمكن للأفراد ممارستها لكل طائفة. ولو أن الزى، والكلام، وإختيار القرين عند الزواج تأثر كثيراً، بالمنزلة الخاصة التى ينتمى إليها الشخص، ولا يوجد قواعد صعبة، وممارسة للطقوس يمكن مشاهدتها فى تلك الأمور.

كان من الممكن للفرد أن يحسن رتبته فى إطار نظام المنزلة. وما أدى خدمة خاصة وهامة إلى السلطان وذلك بإعطائه أرضاً ولقباً، ولكن يمكن الحصول على

رتبة، وذلك بالدخول فى خدمة الكنيسة، حيث ينـال رجـالها إحتراماً فى إطار نظام المنزلة.

ثالثاً: النسق الطبقي:

ينطبق مصطلح «النسق الطبقى» على أى نظام رُتبى غير نظام الطبقة أو المنزلة. ولو أنه لا يوجد دعم دينى أو قانونى لنظام طبقى، والمعيار الذى أُسس عليه الطبقية ميل للتفرقة من مجتمع إلى آخر، فمعظم الأنظمة الطائفية يتأصل من الفروق الإقتصادية.

يجب أن يكون الفرد قادراً على تحسين موقفه فى إطار السلطة وذلك بجهوده الخاصة ورغباته. لذا يجب وجود مرونة وحراكية فى النظام الطائفى. وعملياً، على أية حال، تكون كمية الحراك ليست كبيرة. فالناس المولودون فى طائفة واحدة معرضون لتلك التأثيرات ستساعد إيجابياً أو تعوق هؤلاء الأفراد الساعين إلى تحسين موقعهم الطائفى. الطوائف الإجتماعية هى إلى حد كبير إختيار شخصى ومخلد شخصى، وهو مدعم بعدد من القواعد التى تأتى بضغوط على الأفراد غير مشجعة على محاولة عبور حدود الطائفة.

رابعاً: بعض نظريات التدرج الإجتماعي:

من المحتمل ألا يكون هناك ناحية فى المجتمع قد تسببت فى مزيد من النقاش أكثر مما أثاره التدرج الإجتماعى. فلدى أعضاء مرتبة خاصة تورطات هامةللفرد وبعيدة المنال فى تحديد ومؤثرة على «الفرص - الحياتية» والتأثير عليها. والنمط العام للحياة - إنجازاته التعلمية - ومهنته، وآرائه السياسية، توقعاته وطموحاته بالنسبة لأطفاله. وهكذا مثل الجنس. حقيقة التدرج الإجتماعى هى ملامح الطموح فى حياة المجتمع.

لتبسيط موقف معقد نوعاً ما، من الممكن وضع النظريات التى كانت ولا تزال موجودة لتفسير التدرج الإجتماعى فى رتبتين أساسيتين - نظريات «الصراع» ونظريات «الوظيفيين».

وباختصار، يسعى أصحاب نظرية الصراع لشرح التدرج الإجتماعى من حيث صراع القوى. مثلاً، إهتم Karl Marx الطبقة الإجتماعية كملمح أساسى للتطور الإجتماعى. يعتقد أن الطبقة التى تمتلك وسائل الإنتاج قادرة على بقاء الطبقات الأخرى فى موقف مساعد، واستبقت لنفسها أى زيادة مما ينتج. وتعطى القوى الإقتصادية للناس، عند ذلك لتمارس الضبط السياسى وتشكيل طبقة حاكمة لديها إهتمام ثابت بوجود موقفها المميز. ويعتقد ماركس أن هذا يمكن إنجازه بالقدرة على تأكيد سيادة الطبقة، وأن كل الأنظمة الإجتماعية الكبرى - الزواج، التعليم، النظام السياسى، الدين وهكذا تدعم وتخدم أغراضها الخاصة.

ويعتقد ماركس أيضاً، أن أخيراً يمكن للجماعات الثانوية أن تتحد وتُنظم بطريقة المواجهة بين المُلاك لوسائل الإنتاج - البورجوازية (الطبقة المتوسطة المحافظة) - والفلاحين أو العمال - البروليتريا - وسوف تحدث. وفى كفاح ثورى، سوف تهدم ويأتى للوجود مجتمع غير طبقى.

لم تحدث الثورة فى الأمم الرأسمالية المتقدمة. وهذا يرجع إلى التغييرات التكنولوجية التى لم ينتبه لها ماركس. ونتيجةلتلك التغيرات التى تسببت فى توسع إقتصادى كبير. ارتفعت مستويات المعيشة للطبقات العاملة إرتفاعاً نشطاً، وفعلت الإتحادات التجارية الشيء الكثير لتخفيض قوة الطبقة الحاكمة التقليدية. وفى نفس الوقت، جعل النظام التعليمى من الممكن لمزيد من الناس أن يتحركوا إلى أعلى سُلم الطبقة، وامتدت (اتسعت) الطبقة الوسطى. والإختيارات الجديدة

والسعى لمزيد من المواقع المتميزة قد طورت إهتماماتها فى إستبقاء النظام الذى يبدو أن فيه فائدة لهم شخصياً. لذا فإن الأحوال التى كانت إلى جانب الثورة قد اختفت تماماً.

نظريات الوظيفيين للحراك الإجتماعى من الواضح أن وضعها Kingsley Davies و Wilbert E. Moore فى مقالهم بعنوان «بعض أسس التدرج» المنشور فى (American Sociological Review, April 1945) قالوا أنه لا مناص من التدرج حيث لا يوجد مجتمع يخلو منه.

كل المجتمعات تعتمد على تقسيم العمل، ولكن من الواضح أنه ليس كل الأعمال التى تؤدى سوف تكون متساوية فى الأهمية. وتحيا المجتمعات إذا الناس المناسبين يتطلعون إلى التواجد فى المواقع المتعددة والإضطلاع بالمسؤوليات المصاحبة لها. كما أن الحوافز الضرورية تقدم بوعود فى المكافأة، والتى هى فى ذاتها غير متساوية. وتمنح المكافآت وتقدم للناس ممن يحتلون المواقع الهامة. وإذا ما كانت المكافآت مناسبة فسيكون الناس فى المواقع الهامة جداً هم أحسن المؤهلين للوجود فيها.

لقد فشل المدخل الوظيفى أن يأخذ فى الحسبان الحقيقة بأنه مهما كانت القدرة والطموح لدى الفرد، قد لا يقدر على إنجاز ما يكون كفأ له. هناك العديد من العوائق التى يضعها المجتمع (من خلال النظام الطبقى ذاته) فى طريق كثير من الناس. كثير من الأقوال المبتذلة المستعملة يومياً تشير إلى الطرق العديدة التى فيها بعض الناس، غالباً وبصرف النظر عن قدرتهم الحقيقية، لديهم ميزة من الميلاد عندما يأتون موقعاً ذو أهمية وتأثير فى المجتمع. معرفة الناس «الصح»، قادرون على «جذب الخيوط» و«نسيج الولد - الكبير» كلها أمثلة عن هذا الوضع.

وفشل أيضاً Moore و Davis، فى نظريتهم التى اقترحوها أن يؤخذ فى

الحسبان وجود جماعات الضغط والتنظيمات التى تقتحم فى شكل ممارسات معوقة، ولها التأثير فى خلق «الدكاكين المغلقة» فى كثير من المهن. وهذا يعنى أن الدخول فى مثل هذه المهن لا تعتمد كلياً على القدرة فى الدخول إليها. وأن معظم المهن الهامة تكون مجزية فى صورة المال أو المكانة. ولا يمارسها القادرين من الناس فى وقتنا الحالى.

خامساً: الطبقة الإجتماعية في بريطانيا الحديثة:

قبل الثورة الصناعية، كان البناء الطبقى فى بريطانيا من النوع الارستقراطى التقليدى. والتقسيم بين الطبقات كان مؤسساً على الميلاد، ملكية الأسرة، وأثارت فروقاً واضحة فى الثروة والهيبة. على أية حال، ظهور بناء الطبقة الجديدة نتيجة للثورة الصناعية وقيام الفروق الطائفية التى هى الآن معترفاً بها فى صورة «نماذج حياتية» و «إتجاهات عقلية».

فى ظل النظام التقليدى، كان من الممكن الإشارة للظاهرة التى تأسست عليها الفوارق الطبقية، ولكن الموقف حالياً أكثر تعقيداً، وهذا لا يعنى كمجتمع، أن بريطانيا صارت أقل وعياً لوجود الطبقات الإجتماعية. فلربما لا تزال بريطانيا أعظم وعياً طبقياً عن كل المجتمعات الصناعية. فالحقيقة أن كل العوامل التى تستعمل كمؤشرات للطبقة – الدخل – الزى – الكلام، الإقامة وهكذا – لم تعد مدركة على هذا النحو. فالعامل الذى يبدو مقيّماً غالبياً فى بريطانيا فى وقتنا الحاضر هو المهنة، والكثير من الإتجاهات الإجتماعية والمناشط التى تدعو إلى التباين الطبقى المتعلقة بها.

فى عام ١٩٥٠ J. Hall and D. E Jones أعد مقياساً للجماعات المهنية (مقياس Hall-Janes) الذى قسم الناس إلى سبعة مراتب تعكس طبقتهم الإجتماعية. تلك إمتدت من أناس فى مواقع إدارية أو مهنية عالية فى جماعة ١

إلى العمال غير المهرة اليدويون فى مجموعة ٥ . ومنذ عام ١٩١١ ، ومن أجل إجراء إحصاء تحليلى، قسّم المسجل العام السكان إلى جماعات مهنية والتى هى الآن تعتبر كطبقات إجتماعية. تصنيف المسجل العام أنتج خمسة طبقات كالآتى:

- **الطبقة الأولى:** حرفاً مهنية وما شابهما. مثل الضباط الإداريين فى الخدمة المدنية، المحامين، الأطباء، والمهندسين المهنيين.
- **الطبقة الثانية:** الحرف الوسيطة مثل، الفلاحين، بائعوا القطاعى، ضباط السلطة المحلية، والمدرسين.
- **الطبقة الثالثة:** الحرف المهرة مثل عمال مناجم الفحم، كثير من عمال المصانع.
- **الطبقة الرابعة:** الحرف النصف مهرة مثل كمسارى الاوتوبيس، الخدم ومنظفوا الشباك.
- **الطبقة الخامسة:** الحرف غير المهرة مثل، العمال، الفاكهى المتجول، والخفر.

بالرغم من أن الطبقات الخمسة تستعمل فى أغراض التعداد، حدثت تغيرات باستمرار فى تسكين كثير من الجماعات الحرفية فى طبقات خاصة. وهذا جعل من الصعوبة إستعمال تصنيف المسجل العام لأغراض الدراسة ومقارنة البناء الطبقى وتوزيعات السكان على فترة زمنية.

وفى عهد قريب مثل هذه التنظيمات فى مكتب البحث فى السوق البريطانية ومعهد المهنيين فى الإعلان قد ابتدعوا طرقاً لطبقية السكان. تهتم تلك التنظيمات طبعاً بالحاجات لتوجيه إنتباهاتهم إلى القطاعات الخاصة للسكان الذين من المحتمل أن تقدم للسوق كل المفردات التى تقدم للبيع. والتغطية الشاملة لكل السكان تبرهن على أنها غالية أو ترفع الأسعار للمستهلك الحقيقى فوق المستوى المقبول.

قسم معهد العاملين فى الإعلان السكان الكبار لبلدة إلى ستة درجات أو مجموعات إقتصادية إجتماعية كالآتى فى جدول (١):

جدول (١) مجموعات الإقتصادية الإجتماعية للسكان الكبار

الدرجة	المكانة الإجتماعية	النسبة المئوية التقديرية
أ	الطبقة المتوسطة الأعلى	١٢
ب	الطبقة الوسطى	
جـ١	الطبقة المتوسطة الدنيا	٢٢
جـ ٢	طبقة العمال المهرة	٣١
S	الطبقة العمالية	٣٥
E	أدنى مستوى مثل أرباب المعاشات	

هناك العديد من المحاولات، حقيقة، قد عملت لتوضيح الموقف، ولكن لا يوجد حتى الآن ما هو ناجح تماماً حيث أن نظام الطبقة البريطانى معقد جداً وشخصى جداً – يختلف الناس فى المهن المشابهة إلى حد كبير فى التقدير للطبقة الإجتماعية التى ينتمى إليها وغيرهم من الناس. على أية حال، وجود نظام طبقة شاملة يعترف بها وآثارها لا تزال بعيد المنال.

سادساً: تغيرات الحياة:

عضوية الطبقات الإجتماعية المختلفة يصاحبها فى المقام الأول فرصاً مختلفة للحياة مع التمتع بالصحة الجيدة أو التمريض. وكما يتضح من جدول (٢)، تلك الفروق فى فرص الحياة العضوية موجودة منذ الدقيقة الأولى للميلاد، ولكنهم سوف يجدون فى الطرف الآخر فى دورة الحياة رجالاً فى الطبقة الرابعة

والخامسة من المحتمل وفاتهم قبل الوصول إلى سن الرابعة والستين عن رجال فى الطبقة ١ و ٢.

جدول (٢) معدل وفيات الأطفال بالألف من المولودين أحياء شرعياً بالنسبة «للطبقة الاجتماعية» ١٩٢١ و ١٩٣٩ و ١٩٥٠

	١٩٢١	١٩٣٩	١٩٥٠
١- المهنى والإدارى	٣٨	٢٧	١٨
٢- الوسيطة (السكرتارية والأقل مهنية).	٥٥	٣٤	٢٢
٣- المهرة	٧٧	٤٤	٢٨
٤- شبه المهرة (يدوى).	٨٩	٥١	٣٣
٥- غير المهرة (يدوى).	٩٧	٦٠	٤١

الطبقة بالأرقام غير متاحة منذ ١٩٥٠ وليس من المحتمل أن تتاح فى المستقبل. تتعلق الفروق الطبقية أيضاً بإحتمالات تقلص كثير من الأمراض الجسمية والعقلية. الأمراض الخاصة مثل أمراض الشريان التاجى، وتلك المصاحبة بارتفاع الضغط تزعج الناس فى الطبقة العليا بينما الشكاوى من الصدر وروماتزم القلب بالإضافة إلى الأمراض الخاصة بالصناعة تسود الطبقة الدنيا.

هناك شواهد واضحة تشير إلى أنه عندما يصبح الناس مرضى، فهؤلاء فى الطبقة العليا يسعون إلى مشورة الخبرة الطبية، ومن المحتمل أيضاً أن تعالج بأطباء وجراحين مؤهلين على مدى أطول. والنمو فى تأمين العلاج الطبى، فى حدوث المرض، تقدم للمريض خصوصية أكبر وإهتمام شخصى أكبر عن المحتمل تحت الخدمة الطبية القومية، صار أمراً ملحوظاً بين أعضاء الطبقات العليا فى السنوات الأخيرة.

الفروق فى فرص الحياة العضوية تلك، ليست هى وحدها فقط مصاحبة

للطبقة الإجتماعية التى تؤثر على الفرد. ومصطلح «فرص الحياة» يستعمل للإشارة إلى كل الفرص التى تقدم لأعضاء المجتمع حيث ينمون.

حيث أن مستوى المعيشة للشخص يعتمد على الدخل الذى يستلمه من مهنته، فإن مهنته سوف تكون مهمة له، وسوف تحدد أى نوع من المهنة سوف يقوم بها بعد إتمام تعليمه بالفرص التى تقدم له فى إطار النظام التعليمى.

وتأثرت الإتجاهات نحو التعليم كثيراً بالطبقة الإجتماعية. نتيجة لذلك فإن الأطفال من آباء الطبقة الوسطى، سوف تنتهز الفرص التى تقدم لهم فى كل من التعليم الثانوى والعالى. أكثر من أطفال من آباء الطبقة العمالية وبخاصة فى المدن الصناعية الكبرى.

وفى كلمات أخرى الرغبة فى «إستمرار» الحياة هى كل طموح الطبقة الوسطى ومعظم الأطفال والناس الصغار فى هذا النظام سوف يندفعون بقوة نحو التمسك والإفادة من أى فرصة تواتيهم.

سابعاً: الحراك الإجتماعي:

يشير الحراك الإجتماعى Social mobility إلى مقدار المرونة التى توجد فى إطار بناء الطبقة، والتى تشير إلى المدى المحتمل الذى إليه يمكن للفرد الإنتقال من طبقة إجتماعية إلى أخرى. لقد صارت دراسة الحراك الإجتماعى موضع إهتمام كثير من علماء علم الإجتماع منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية، لأنه قد حدث عدد من التغييرات فى المجتمع والتى قد تكون نتيجة للتغير فى بناء الطبقة.

لقد حدثت تغيرات فى البناء المهنى للسكان. ولقد خلقت التنمية التكنولوجية والعلمية مدى جديد فى الأعمال للناس، وإمتداد للتعليم الثانوى والعالى مما مكن كثير من الناس من الدخول إلى مهن لم يكن ليدخلوها من قبل لعدم كفاءتهم لها. لقد حصل تقلص فى كثير من المهن اليدوية التقليدية – من

أوضحها الزراعة، التعدين أحواض السفن - ونمواً فى أعداد «ذوو الياقات البيضاء» والحرف المهنية (أنظر الجدول ٣). وهذا يعنى أن كثيراً من الناس يدخلون اليوم إلى مهن مختلفة من تلك التى كانت أملاً عند آبائهم بعد ترك المدرسة.

جدول (٣) التركيب المهني للسكان العاملين

عام ١٩٦٧ - ١٩٧٦ (بالألف)

	١٩٦٧	١٩٧٠	١٩٧٦
- الصناعات التحويلية.	٨,٣١٩	٨,٣٣٩	٧,٢٤٦
- الزراعة، زراعة الغابات، صيد الأسماك.	,٥٤٢	٤٦٨	٣٩٥
- التعدين، إستخراج الأحجار.	٥٤٥	٤١٠	٣٤٨
- البناء.	١,٥٥٦	١,٣٣٥	١,٣٨٠
- الغاز، الكهرباء، الماء.	٤٣٤	٣٩١	٣٥٣
- النقل والمواصلات.	١,٦١٧	١,٥٧٣	١,٤٧٥
- توزيع التجارة.	٢,٧٩٥	٢,٦٧٦	٢,٧٢٣
- المال، التجارة، الخدمات المهنية العلمية.	٣,٥٣١	٣,٨٥٣	٤,٧٥٨
- التموين، الفنادق.	,٦٩١	٦٩٨	٨٥٠
- خدمات متنوعة أخرى.	١,٣٠٨	١,٢٤٩	١,٤٤٩
- خدمات حكومية قومية.	٥٩٥	٥٨٩	٦٦٠
- الخدمات الحكومية المحلية.	٨٧٦	٨٩٠	٩٦٧

على أية حال، أشار علماء علم الإجتماع إلى أن الحراك الإجتماعى غالباً ما يحدث بين الطبقات التى تكون متقاربة. فليس من المنتظر أن يتحرك الأفراد

بسهولة أو سريعاً من قاع السلم الإجتماعى إلى القمة، والشخص الذى يبدأ من القاع يرنو إلى صعود ما إلى أعلى.

لا يزال إلى وقتنا الحاضر تُختار العديد من صفوة المجتمع من يحتلون مناصب ذات قوة كبيرة وتأثير من بين قطاع صغير نسبياً من السكان ولو أن ميدان الإختيار لمثل هذه المناطق مثل الخدمة المدنية العليا ومواقع الإدارة فى الصناعة إمتدت على نحو ما فى السنوات التالية للحرب العالمية الثانية، فلا نزال بعيدين عن تَكُون مجتمع يتصف بتكافؤ الفرص وامتدت الفرص للجميع. ولقد تم الحراك الإجتماعى وكثير من دعامات النظام الطبقى التقليدية - التعليم الخاص، موانع الإقتراب من الجامعات اكسفورد وكامبردج، وهكذا - لا تزال حية.

مادام أن إحتمال الحصول على الدخول إلى الصفوة فى المجتمع تحيط به الموانع بالنسبة للأعضاء من الطبقة العليا، ستستمر فكرة «الطبقة الحاكمة» فى بريطانيا. بينما لم تعد الارستقراطية التقليدية تتمتع بمكانها، فقد أخذت الطبقة الحاكمة، وكثير من التغيرات مكانها فى تركيبة المجتمع أثناء المائة سنة الماضية، ولا يزال النظام الطبقى هو عامل التأثير الوحيد فى النظام الإجتماعى ككل.

الفصل السادس

السياسة والنظم السياسية

- المجتمعات اللامركزية.
- المجتمعات المركزية.
- النظم الديموقراطية.
- النظم الشمولية.
- النظام السياسي في بريطانيا.
- دور وسائل الإعلام في السياسات.

الفصل السادس

السياسة والنظم السياسية

تمهيد:

السياسة مصطلح يمكن إستعماله للتعبير عن مدرك واسع جداً. فهو معنى بالعمليات التى بها تحل المنازعات بين إهتمامات مختلف الأفراد، ومختلف الجماعات، والمجتمع ككل. وتتضمن السياسة دائماً إستعمال الكفاح من أجل القوة والسلطة. على أية حال فعندما نعنى النظام السياسى للمجتمع، فنحن نعنى العمليات السياسية فقط، التى تصبح نظاماً ويشكل جزءاً من البناء الإجتماعى.

أولاً: المجتمعات اللامركزية:

وجد علماء الانثروبولوجيا الإجتماعية أن فى المجتمعات التى يعوزها أى شكل من أشكال الحكومة المركزية، من الممكن تمييز مراتب عريضة من النظام السياسى – ولو أن النظام السياسى قد يكون مصطلحاً كبيراً إذا ما أُستعمل فى هذه الحالة.

ففى المقام الأول، يوجد الشكل البسيط لمجتمع الصيد والتجميع التى فيها تكون جماعة الأسر والقرابة هى أكبر الوحدات الإجتماعية. وهذا يعنى أنه لا يوجد بنية سياسية رسمية على هذا النحو، ولكن نجد أن الأعضاء الأكبر سناً عادة يتحملون مسؤولية وضع القرارات المهمة، وفض المشاجرات فى الجماعة. ولأنهم أكبر سناً وخبرة، يكون لديهم الحكمة الضرورية للقيام بهذه المهام.

ونجد ما هو أكثر تقدماً فى تلك المستوطنات المسماة مجتمعات «القرى

الصغيرة» كتلك التى توجد بين كثير من سكان إفريقيا فى وقتنا هذا وتعتبر كل قرية وحدة منفصلة ذات حكم ذاتى، ولو أن أعضائها يمارسون التجارة مع الخارجين ومن المحتمل أن تكون لهم معاملات مكثفة مع أناس من قرى أخرى. وتجرى شئون القرية بنوع من أنواع «المجلس» الذى يتكون من أعضاء رسميين يعينون من الجماعة. وعادة يكونوا من الأعضاء الأكثر شهرة فى البيئة بسبب ثروتهم، مهارتهم الخاصة أو القدرة أو العصبية.

طراز ثالث للضبط السياسى يوجد فى المجتمعات التى تقوم على أساس المجموعة العمرية. تهيئ لنا إفريقيا وبخاصة شرق إفريقيا يقوم على الزراعة، معرفة مع خصائص هذا النظام. الماساو أو قبائل الحمر بدويين رعاة لماشية وإقليمهم يمتد من كينيا والجماعة العمرية جزء هام من تنظيمهم الإجتماعى. وصف John Beattie فى كتابه «ثقافات أخرى» كيف يعمل هذا النظام :

القواعد الأساسية هى أن كل الرجال المولودون فى عدد معين من السنوات المتوالية يقبلون فى قوم واحد. عدد السنوات التى فى أثنائها بلغوا السن المناسبة (هذا يختلف فى المجتمعات المختلفة، وعادة ما يكون حول المراهقة) يقبلون فى القوم، هذا العدد يختلف؛ قد يقترب من ست أو سبعة سنوات أو يصل إلى الخامسة عشر. وفى نهاية هذه الفترة، يقفل الإختيار لهؤلاء القوم، ويبدأ الإختيار لقوم جديد. ويشمل الإلتحاق إلى قوم عادة بعض تعليم أولويات الطقوس، غالباً ما تشمل الختان أو بتر بعض الأعضاء الأثر الأساسى لتلك الطقوس أن تدل على نضج الفرد منذ طفولته، وتخيله للعضوية الكاملة للقبيلة، هؤلاء القوم يبقون مع بعضهم بواسطة شبكة من الحقوق والإلتزامات المتبادلة فيما بينهم، والرجل يظل مع الجماعة الكبرى من أقرانه فى نفس السن تقريباً يبقون فى نفس القوم طوال حياته. وعادة نجد أن الأعضاء من

الفئة العمرية، ملتفين حول شبكة من الحقوق والواجبات، ويتمسكون عادة بالصداقة الحميمة طوال حياتهم.

في معظم المجتمعات التي بها طوائف عمرية هامة، نجد كل رجل ليس فقط عضواً في طائفة خاصة، ولكن يكون مستعداً في أي وقت أن يحتل، مع أقرانه مرتبة خاصة. وهذه الرتب تتميز بوضوح من واحد إلى آخر، حيث يحتل الرجل مرتبة واحدة في وقت ما. والرتب المثالية (بعد الطفولة) نجد سلسلة من المحاربين الشبان، المحاربين من الرجال، صاحب ذلك قواعد معينة مع كل رتبة، لذا يحارب المحاربون ويدافعون عن القبيلة من أي هجوم، وفض المنازعات، وصنع القرارات الهامة والتعلق مع بأرواح السلف.

إبن العم The Ibn' amme – جماعة من الأحفاد من الجدود – من قبيلة ريواللا من البدو مثلاً جيداً عن الوحدة السياسية والتي توجد في الطراز الرابع من المجتمعات اللامركزية. هذا المجتمع القائم على العصبية تشكل الأحفاد من رجل بعينه، وأعضاء من هذه الجماعة تتقاسم الشعور بالشخصية العامة، والتي تنفصل من كل الجماعات الأخرى. هناك نزاع مستحكم طويلاً بين جماعات بعينها التي تساعد على تقوية الشعور بالتماسك الداخلي بين أعضاء التوجه المضاد. حيث الجماعات المحلية في إطار إقليم ما تؤسس على العصبية، والعلاقات بين تلك الجماعات قد تصبح شعائرية حيث يكون هناك شكل من أشكال الضبط الإجتماعي الشامل. فكل واحد يعي بما يتوقع من الآخرين وكيف يكون سلوكه في مقابل ذلك.

ثانياً: المجتمعات المركزية:

يهتم علماء علم الإجتماع وعلماء علم السياسة عادة بدراسة الأنظمة

السياسية فى المجتمعات الصناعية الحديثة. هنا نجد أيضاً فروقاً ملحوظة تعتمد، فى المقام الأول على نوع النزاع القوى فى كل مجتمع.

قد لا يكون هناك إتفاق على ملكية وتوزيع ثروة المجتمع ووسائل الإنتاج؛ قد يكون هناك عدم إتفاق على الأديان أو مجالات التطرف؛ ومن المؤكد أن يوجد نزاع بين من هم متحمسون لإحداث تغييرات سريعة على النظام الإجتماعى ومن يفضلون إستبقاء النظام القائم - بين الراديكاليين والتقليديين.

هناك فروق أبعد من ذلك حيث توجد بين الأنظمة السياسية طبقاً للطرق التى يتم عليها توزيع الثروة، مستوى مشاركة أعضاء المجتمع، كمية المنافسة التى توجد وهكذا. على أية حال تسعى معظم الأنظمة السياسية، والتى يمكن تصنيفها طبقاً لمميزات خاصة لعدد قليل من الرتب العامة.

ثالثاً: النظم الديمقراطية:

كلمة ديمقراطية كانت شائعة الإستعمال لوقت طويل، إلا أنه لا يزال من الصعوبة الوصول إلى تعريف مقنع عنها. وطبعاً للتعريف الشائع «حكم الناس» بالناس، وللناس وهو أكثر فائدة من الترجمة الحرفية للكلمة اليونانية «حكم الأغلبية». وكلا التعريفين، لا تقول لنا أى شىء عن الأسس والمميزات عن الأنظمة الديمقراطية الحديثة السياسية.

أولاً: هناك شأن هام من المنظمات السياسية وآلياتها، حيث من الواضح أن كل الناخبين لا يمكنهم الإجتماع للمناقشة والتصويت على موضوع يحتاج إلى قرار. لذا فإن الحكومات تُختار للقيام بذلك نيابة عن الناس، ولكنهم يعتمدون دائماً على مشيئة الأغلبية. وفى بعض البلاد الديمقراطية تقوم الحكومات بإنتظام باستشارة الناس بواسطة إجراء إستفتاءً عاماً أو إستفتاء بين الناخبين. على أية

حال، وفى بريطانيا بدلاً من الإسهام المباشر بهذا النوع من الناس، يعين الناس من يكون لديهم القوة على إتخاذ القرارات نيابة عنهم بواسطة ممثلين لهم.

ثانياً: الديمقراطية أكبر من أن تكون شكلاً من أشكال الحكومة: فهى أيضاً طريقة للحياة. وهذا يعنى أنها توصف فى صورة الإتجاهات والقيم التى تتمسك بها. فعليهم أن يفعلوا ذلك بالبحث عن «الحياة الجيدة» التى يحقق كل فرد إسهاماً وتحقيقاً لقدراته كاملة. وعليه فحرية الفرد وإستقلاليته تكون أمراً أساسياً وهاماً فى مجتمع ديمقراطى.

حرية الفرد لا يحول دون أى من أنواع القمع، على أية حال. الحرية لا تعنى أن للفرد الحق للقيام بما يُحب، أين يحب ومتى يحب دون قيام إعتبار للآخرين. ولا يوجد من يعيش فى مجتمع ويكون فى حرية تامة، لأن مهما كان للفرد الحق فى عمله، فهو أيضاً عليه واجبات وإلتزامات نحو أناس آخرين ونحو المجتمع ككل.

يوجد فى النظام الديمقراطية قدر كبير من الإستغراق النشط فى السياسة. إلى جانب التصويت فى الإنتخابات، فنجد الناس يبحثون عن طرق التأثير على السياسة. وأهمها هو فرصة تكوين الجماعات، ومع الإشارة إلى جماعات الضغط أو الجماعات ذات الإهتمام الخاص. جماعات الضغط هى جماعات من الناس يتقاسمون إهتماماً خاصة لربما يكون مستوى يسعون إلى ترقيته أو الرغبة فى حماية أنفسهم من تغيير أو إختراع يهددهم. ويحاولون عن طريق تنظيم أنفسهم التأثير على القرارات التى تتخذها الحكومة وهيئات عامة أخرى. أحياناً تكون تلك الجماعات غير رسمية وذات بناء مخلخل؛ وأحياناً تكون كبيرة جداً وعلى مستوى عال من التنظيم ويوضع تحت تصرفها إعتمادات مالية كبيرة. قد تنشأ جماعات الضغط فجأة، ثم تختفى بسرعة إذا بلغت أهدافها أو إذا ما وجدت أن سبب

قيامها لا أمل فيه، وفى بريطانيا توجد جماعات للضغط «وقائية» وتعرف غالباً بأنها ضد الإتفاق، ضد السوق المشتركة، ضد القياس المترى، ضد التلوث، ضد الإجهاض.. وهكذا، ولا تندهش حينما تعلم بأنه يوجد إلى جانب الجماعات «الوقائية» نجد غالباً وعلى نفس المستوى من يتحمس لقيام «جماعات التقدم». يمكن وصفهم بالحقيقة أنهم يعرفون عادة بمصاحبة «قبِل» هذا أو ذاك. لذا فإن عنصر التنافس فعال جداً، ولكن تساعد فى التأكيد على الإسهام العام والمفاضلة بين الشئون العامة الخاصة بالسياسة التى قد يكون لها تأثير طويل الأجل. أحياناً نجد أن إهتمامات الجماعات المختلفة يتطلب تمثيلاً مستمراً، وفى تلك الحالات يتواجد تنظيم مستقر. الإتحادات التجارية، الجمعيات المهنية، جماعات المستهلكين، تنظيمات سائقى السيارات، كلها تعتبر أمثلة لذلك، وتعمل بنشاط زائد نيابة عن أعضائها.

هناك ملمح هام للنظام الديمقراطى وهو أن يكون الدخول إلى الجماعة الحاكمة يجب أن يكون مفتوحاً ما أمكن ذلك. لا يجب منع أى شخص من إدارة مكتب سياسى على أساس النسل، أو الدين، المكانة الإجتماعية. فقوى القادة السياسيين محدودة فى الديمقراطية؛ فهناك كثير من الساحات فى الحياة الإجتماعية ينظر إليها غالباً على أنها خارج الساحات السياسية، حيث تقاوم كل المحاولات من قبل السياسيين للتدخل فيها. وتتميز الديمقراطية بوجود عدد من الصفوة المنفصلة.

الصفوة هى جماعات من الناس فى مواقع تمكنهم من التوجيه والتأثير فى مجريات الحياة، وسلوك الناس وإتجاهات الآخرين. فهم قادة فى أجواء الحياة الإجتماعية، ولديهم قدرة كبيرة على تشكيل السياسة وتوجيه الرأى العام، فى مجالات الدين، الفنون، الطب، وسائل الإتصال، الرياضة وهكذا خلال كافة الأنشطة الإجتماعية، يمكن التعرف على الصفوة.

ووسائل تواجد الصفوة متعددة؛ قد ينتخبون كقادة سياسيين، قد يعينون كفاءة فى الكنيسة أو القضاء؛ قد يعينون على وجه الخصوص بفضل مواقفهم المهنية التى يحتلونها، مثل أعضاء فى مؤتمر نظار المدارس وأعضاء معهد المدراء.

الديمقراطية نظام سفسطائى، لأنه إذا ما أرادت أن توظف بكفاءة هذا يتطلب من أعضائها أن يسلكوا بطريقة معقولة وأخلاقية. على الأقلية أن تقبل سلطة الأغلبية، ولكن على الأغلبية أن توطن نفسها على الصبر على الأقليات وتأخذهم بعين الإعتبار. مثلاً، أبدى S.M. Lipset (رجل سياسة) فى عام ١٩٦٠ أن الإنجازية والإستقرار فى النظام الديمقراطى تتعلق إلى حد كبير بالتعليم الذى وصله المجتمع.

يدل نمط النظام السياسى فى المجتمع على القيمة التى يضعها المجتمع على الأهمية النسبية لحالة الفرد والدولة. يعتقد فى المجتمعات الديمقراطية أنه على الفرد أن يسعى لمنفعة الجميع ويضعها فى المقام الأول – وما قام المجتمع فقط إلا لترقية الإنسانية وسعادة الفرد. فى مجتمعات كثيرة غيرها يعتقد أن الدولة أكثر أهمية من الفرد، الذى سوف يكون سعيداً مادام إنسانية الدولة تكون مؤكدة.

هذا الإختلاف بين إتجاهات مجتمع وآخر أساسياً، وله آثار. بعيد المنال. يعتقد معظم الناس أن نظامهم هو أفضل نظام، ويكرهون فكرة أنهم مغلبون على أمرهم، الأمر الذى يكون سبباً فى النزاعات والتوتر فى العالم فى وقتنا هذا.

رابعاً: النظم الشمولية:

النظم الإستبدادية تقوم على أساس من الأيديولوجيات المتقبلة مثل الشيوعية والفاشية، ولا يسمح بمعارضة أى أيديولوجية. ويعتبر عادة أى شخص يُعَبِر عن معارضته يجب أن يكون إما مجنون أو سيء، وفى الحكومات الإستبدادية نجد

المستشفيات العقلية، والسجون ومعسكرات العمل وقد ضمت العديد من المسجونين السياسيين.

ويستعمل مصطلح إستبدادى للإشارة إلى حقيقة أن الكل أو مجموع الحياة الإجتماعية إنما تأتى من خلال ضبط المناخ السياسى. لذا نجد فى النظم الإستبدادية، يوجد صفوة متحدة تشمل كل أشكال وسائل الإتصال مثل، الصحافة، الإذاعة، والتليفزيون، حيث نجد قدراً كبيراً من القوة تساس بجماعة صغيرة.

النظم الإستبدادية قد تأخذ أشكالاً مختلفة. فمثلاً فى روسيا، الشيوعية قائمة على أسس جيدة، ولكن النظام هناك يختلف عن النظام فى الصين أو كوريا والتى هى من المجتمعات الشيوعية. فى روسيا الاستالينية يوجد قدر كبير من القوة مركزة فى أيدى شخص واحد، وأن هذا النظام أحسن ما يوصف بالشيوعية الإستبدادية. على أية حال، بعد إستبداد ورعب نظام ستالين أصبح الروس فى حالة من الخوف من النظام الذى يسود فيه شخص واحد، وطور نظاماً تكون فيه القوة والتأثير أقل تركيزاً. وتكون القوة فى يد جماعة من الطفيليين، إذا ما بدى أن فرداً يكتسب أهمية خاصة، فمن المعتاد أن يستبعد من المكتب – وأحياناً يطرد بتهمة فضيحة حيث تقل فرصته للظهور فى ثوب الضحية أو يحوز عطف العوام. لذا فإن فى روسيا تستأثر الدولة بالنظام الشيوعى، لذا فهو مثل النظام الديمقراطى، ينظم مدنياً ويدعم شعبياً.

وبالمقارنة، نجد أن الإستئثار قدم لوقت ماهية القيادة فى اليونان الحديث، كان جماعة تستولى على السلطة العسكرية، التى اضطلعت بالمهام عن طريق الصدام وأجبرت القادة التقليديين على النفى. فى هذه الحالة كان هناك دعم أقل للنظام، واعتمدت الصفوة على إستعمال القوة العسكرية والشرطة لإقامة الإنضباط

وتأكيد تطبيق سياساتهم. وادعى القادة أنهم يكرسون أعمالهم لتحديث، ويعدون بهجر قوتهم، وإدخال نظام ديمقراطى بالإنتخابات الحرة بمجرد بلوغهم أهدافهم.

خامساً: النظام السياسي في بريطانيا :

يأخذ النظام السياسى فى بريطانيا الشكل الديمقراطى البرلمانى، وهو أساساً يقوم على أساس الحزبين – المحافظين والعمال – ولو أن هناك أحزاب صغيرة، تخص بالذكر الأحرار الممثلة فى مجلس العموم. ويشكل أى حزب ينال أكبر عدد من المقاعد فى الإنتخابات الحكومة، وقائد هذا الحزب يصبح رئيساً للوزراء.

ولا تقام الإنتخابات فى بريطانيا كما يحدث فى غيرها من الدول الديمقراطية على فترات ثابتة. وأقصى فترة يمكن أن يقضيها برلمان واحد بين إنتخابين هى خمس سنوات، ولكن قد يُحل برلمان وتقام إنتخابات حقيقية فى الوقت الذى تختاره الحكومة، وهذا يعطى الجالسين على المكاتب ميزة ملحوظة. ونظرياً، يمكن تغيير القوانين المتعلقة بالإنتخاب فى أى وقت بقانون برلمانى، لذا فإنه من الممكن للحكومة أن تُعدّل تلك القوانين لتقوية مركزها وإحتمال إعادة إنتخابها. على أية حال، هناك ملمح هام للنظام هو أن كلا الحزبين الكبيرين عازمان على لعب اللعبة السياسية، وعدم إنتهاز الفرصة من وجوده فى الحكم لإصدار تشريعات تقلل من حرية الناخبين لإختيار أو تغيير حكومته. وحتى الآن لم يحاول الحزبين أن يمحى النظام البرلمانى من أجل أن يفرض سياسته أو يمنع منافسه من تنفيذ سياسته.

يمكن إستقرار النظام وتأكيده بمعرفة الناخبين أنفسهم، والمقسمة بالعدل فى دعمها للحزبين الأساسيين، ولذا فلا يوجد بينهما إعتداء فى إدارة الآلة السياسية. وجدول (٤) يدل على التقسيم بشكل واضح.

جدول (٤) النسبة المئوية لتوزيع الأصوات للحزب الناجح
في الإنتخابات ١٩٤٥ - ١٩٧٤

سنة الإنتخاب	الحزب المنتخب	النسبة المئوية للأصوات التي حصل عليها
١٩٤٥	العمال	٤٧,٨
١٩٥٠	العمال	٤٦,١
١٩٥١	المحافظين	٤٨,٨
١٩٥٥	المحافظين	٤٩,٧
١٩٥٩	المحافظين	٤٩,٤
١٩٦٤	العمال	٤٤,١
١٩٦٦	العمال	٤٧,٩
١٩٧٠	المحافظين	٤٦,٤
١٩٧٤	العمال	٣٧,٢
١٩٧٤	العمال	٣٩,٣

١- الأحزاب السياسية :

الأهداف المعلنة للأحزاب السياسية هى أن تنجح فى الإنتخابات وتشكيل حكومة، حيث تكون قادرة على ترقية إهتمامات من دعموها. كل الأجزاب السياسية تتكون من جماعات متعددة الإهتمامات، والفرق بينها يعكس الأوضاع المختلفة للإهتمامات التى تتمسك بها وتجعلها فى غاية الأهمية. وعلى وجه العموم فإن فى المجتمع البريطانى إهتمامات الطبقة هى العوامل السائدة فى سياسة الحزب. يعكس حزب المحافظين الإهتمامات الخاصة بالطبقات المتوسطة، بينما يكون حزب العمال هو الحزب الخاص بالطبقات العاملة. والتمايز بينها فى غاية

البساطة ومحدد حيث يبدو لأول وهلة، على أية حالة، لأن لدى حزب المحافظين عدداً كبيراً من المؤيدين بين طبقة العمال، وعندما يكونوا فى الحكم لا يهمل الحزب إهتمامات هذه الجماعة. وبالمثل، كثير من رجال المهن، الأطباء، المدرسين، والصحفيين، على سبيل المثال، تدعم حزب العمال، ولا يضمر حزب العمال عداء للطبقة المتوسطة باتباع سياسات تبدو ضرراً لإهتماماتهم. لهذه الأسباب فإن الفروق بين الحزبين الرئيسيين قليلة نوعاً فى الحقيقة، ولو أن هناك إختلافاً بيناً بينهما فى الآراء.

الأحزاب السياسية الحديثة ذات أبنية رسمية، وتنظم، وتدار بمعرفة موظفين يعملون طول الوقت؛ وتملأ المواقع الهامة منها عادة بمهنيين سياسيين. ولو أن الأحزاب تسعى إلى عضوية كبيرة، فإن نسبة ضئيلة ينضمون إلى عضويتها، وإذا ما تم لهم ذلك فإن دورهم لا يتعدى دفع إشتراك سنوى إلى حزب المحافظين أو دفع غير مباشر على أساس جماعى إلى الإتحاد التجارى إلى حزب العمال. ويضم حزب العمال ستة ملايين عضواً تقريباً، بينما حزب المحافظين تقدر عضويته بنصف هذا الرقم.

لذلك فإن الأحزاب يسيطر عليها وتدار بعدد قليل نسبياً، ولكنهم يؤدون وظائف فى غاية الأهمية. أولاً تكون مسؤوليتهم هى إنتاج النشرة التى هى الإسلوب السياسى الذى سينتهجه الحزب إلى العامة. وهذا هو ما يقلل من مقدار النزاع والإضطراب حول الموضوعات العديدة التى تقدم للمناقشة. إن الناخبين يستوحون الإختيار بين السياسة التى قدمت لهم كما هو الإختيار بين الأحزاب. ووظيفة أخرى للأحزاب هى تقليل المرشحين للإنتخابات ويسهلون نظام الإنتخاب. فكل حزب يقدم مرشحه لمعظم الدوائر الإنتخابية فى وقت الإنتخابات، وهؤلاء المرشحين سبق إختيارهم من بين العدد الكبير من الناس من المتحمسين لدخول الإنتخابات.

وللأحزاب دور كبير يلعبونه فى تعليم الناخبين وتكوين الرأى العام. فهم

يرفعون الموضوعات ذات الإهتمام العام، ويتخذون مواقف منها، وينشرونها عن طريق وسائل الإتصال، ويحثون على مناقشتها.

٢- سلوك التصويت :

النواحى السياسية والتى استولت على إهتمام خاص بعلماء علم الإجتماع هى تلك المتعلقة بسلوك التصويت – وهى محاولة لفهم العوامل التى تحدد كيف يصوت الشخص والعملية المتعلقة بالتنشئة السياسية.

عند بلوغ سن من الثلاثين إلى خمسة وثلاثين كثير من الناس يتكون لديهم درجة من الولاء إلى حزب معين، ويستمرون فى هذا الإنتماء أكثر من غيرهم من الفتيان فى المجتمع. لذا فإن عادة التصويت تُشكل أثناء الشباب، وقليل منهم قد يعدلون عن ذلك فيما بعد.

هناك شواهد ملحوظة تشير إلى أن هناك علاقة حميمة بين سلوك التصويت عند الآباء وتلك الخاصة بأطفالهم. وقد وجد Mark Abrams فى دراسة قام بها فى عام ١٩٦٠ أن ٧١ ٪ من الأطفال صوت آباؤهم للمحافظين، صوتوا لنفس الحزب، كما فعل ٦١ ٪ لمن صوت آباؤهم للعمال. ولقد دُعم ذلك بناتج دراسات أخرى وبخاصة تلك قام بها David Butler و Donald Stokes (التغييرات السياسية فى بريطانيا ١٩٦٩).

الإنتماء بالنسبة لعدد كبير من الناخبين إنما يتحدد فى ضوء الطبقة الإجتماعية – الكثرة من الطبقة الوسطى تؤيد حزب المحافظين، والطبقة العاملة أقل من ذلك. وجد Butler and Stokes أن ٨٥ ٪ من الأطفال الذين وجدوا أن آبائهم يؤيدون الحزب الخاص بطبقتهم قد يصوتون لهذا الحزب بأنفسهم. وقد يختلف الأطفال عن آبائهم إذا ما كان الأخير يؤيد الحزب الأقل. و ٨٥ ٪ فقط

من الأطفال من الطبقة العمالية، محافظين أو من الطبقة الوسطى أو الإشتراكيين يؤيدون نفس الحزب كآبائهم.

هناك إعتماد كبير على المناخ السياسى الذى ينشأ فيه الصغير. يشرح علماء السياسة العلاقة بين العمر والولاء للحزب فى ضوء «الجيل السياسى». فهم يسعتقدون أن هناك تفاوت بين عدد من الناس فى أعمار ٦٥ فما فوق يؤيدون حزب المحافظين لأنهم كانوا فى سن الإعتقاد بتنشئتهم السياسية فى وقت كان حزب المحافظين هو السائد وكان حزب العمال لا يزال فى طفولته. ولنفس الأسباب نجد أن الصغار فى وقتنا هذا يصوتون للعمال - لأنهم نشأوا أثناء فترة كان حزب العمال قد أحدث زخماً من الأعمال.

ولو أنه كما رأينا سابقاً، أن الدعم لحزب العمال بين طبقة العمال ككل، أقل صلابة عن دعم الطبقة الوسطى للمحافظين بين أعضاء الإتحادات التجارية، فإن الموقف مختلف نوعاً ما. الإتحاديون التجاريون أكثر ميلاً ثلاث أو أربع مرات يصوتون للعمال عن المحافظين. ومن الصعب طبعاً أن نكشف الطبيعة الحقيقية للعلاقة بين عضوية إتحاد التجارة ودعم العمال. فلقد كان من المفروض عامة أن الإنتماء للإتحادات التجارية يميل بالناس أن يصوتوا للعمال.

وهناك عامل آخر يؤثر على سلوك التصويت وهو الجنس - فالنساء يميلون إلى التصويت للمحافظين عن الرجال. ولا يوجد حتى الآن من يفسر ما يحدث وما يجب أن يحدث. ففى كل إنتخابات منذ ١٩٤٥، صوت الذكور باستمرار وكان التصويت لصالح العمال، وأن هناك مزيد من النساء ممن يصوتون وهم محافظون. وهذا يعنى أنه إذا كانت حكومة العمال يتم إنتخابها، فإن العمال من الذكور يساهمون بشكل ملحوظ فى تلك الإنتخابات.

وهناك مزيد من مشاهد الإعتماد على المنطقة التى يعيش فيها المصوتون.

وحيث نتوقع أن العمال العاملين فى الصناعات الثقيلة وكبار فى السن مثل التعدين، الصلب وبناء السفن يدعمون العمال بقوة. ووجد Butler and Stokes أن فى كل طبقة إجتماعية يوجد تنوع إقليمى يدعم أحد الأحزاب السياسية، مثلاً رجل الأعمال اليدوية الذى يعيش فى جنوب شرق إنجلترا يصوت للمحافظين مثل العمال اليدويين ممن يعيشون فى ويلز. وبالمثل اكتشفوا أن شخص من الطبقة الوسطى من الإحتمال خمس مرات أكثر أن يصوت للعمال إذا ما كان يعيش فى بيئة تعدين عما إذا كان يعيش فى منتجع ساحلى. لذا يوجد كمية ملحوظة من التصويت القطاعى والذى يميل إلى تفضيل المحافظين. حوالى ثلث الطبقة العمالية صوتوا للمحافظين فى الإنتخابات التى عقدت منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية، بينما فقط ١٠٪ من الطبقة الوسطى يدعمون العمال، والناخبين من طبقة العمال، طبعاً، أكثر عدداً من هؤلاء فى الطبقة المتوسطة.

سادساً: دور وسائل الإعلام في السياسة:

المصدر الرئيسى للمعلومات السياسية بعيداً عن الحملات المحلية فى فترة الإنتخابات هى الصحافة، الإذاعة، والتليفزيون، وأن من بين تلك أصبح التليفزيون هو أهمها.

١- التليفزيون والسياسة:

أثناء وبين الحملات الإنتخابية، يدخل قدر كبير من البرامج السياسية فى أغلب البيوت من خلال الشاشة التليفزيونية، ولكن ليس من الممكن فرض الدوافع لمشاهدتها. فكثير من المشاهد معتادة وغير مختارة والإذاعات السياسية التى تذاع فى نفس الوقت فى كل القنوات تحول دون إختيار المشاهد. وهناك شواهد تدل من خلال دراسات عديدة على أن أربعة أخماس الناخبين يلتزمون بحزب معين قبل قيام أى حملة إنتخابية. والباقى وهو خمس لا يبحثون عن معلومات

تفيدهم فى الإلتزام، ويعرفون «بالمتطوعين» فى رؤية الإذاعات ويسعون إلى تثبيت أفكارهم.

يبدو أن الزخم الأكبر الذى يفعله التليفزيون على السياسة هو أن يمون الناخب بمعلومات أفضل. ويساعد الناخبين على أن يصبحوا أكثر ألفة بالقادة السياسيين والشخصيات. وطبعاً أنه من الصعوبة أن نفرض تأثير التليفزيون على الإتجاهات السياسية والسلوك، لأنه ليس المؤثر الوحيد على من يدلون بأصواتهم، وأن مشاهدى التليفزيون ليسوا متجانسين. وبمعنى آخر إستعمال الناس للتليفزيون وغيره من المشاهدة تختلف كثيراً. وإلى حد ما فإن الزخم والبرامج الذى ينعكس على الفرد وأسباب المشاهدة – قد يكون مهتماً أو أنه يشاهد لأنه ليس لديه غيره.

وهناك شاهد آخر هو أن بعض «مقاومة المستهلكين» للإذاعات السياسية، سواء أكانت برامج تكون الأحزاب السياسية مسؤولة عنها، أو برامج ينتجها B. B. E و I. B. A أو تغطية بمادة سياسية فى النشرة الإخبارية العادية.

٢- الصحافة والسياسة:

معظم الصحف القومية والمحلية تبدى تفاخراً لدرجة كبيرة بتعصبها، وإنتسابها السياسى، يمكن التأكد منه دون صعوبة كبيرة. إذا كان للصحف تأثير أياً كان على السلوك التصويتى لقرائها فإن هذا ممكن أن يحدث بشكل أكبر بين الإنتخابات عنه أثناء حملة حقيقية.

كل الصحف تقدم تغطية مكثفة للمسائل السياسية، وبخاصة فى وقت الإنتخاب، ولكنه من المعروف أن أغلبية القراء يختارون الصحف التى تعبر عن وجهات النظر والآراء التى يتمسكون بها فعلاً. من بين الصحف اليومية القومية نجد فقط Daily Eppreas و Daily Mirror تجذب عدداً يمكن تقدير قيمته

من القراء السياسيين المعارضين. وعلى أية حال فإن الأحزاب تحاول أن تجذب ما أمكنها من الإعلان فى الصحف، وأثناء الحملات الإنتخابية، يود أن يظهر قادة الحزب فى المؤتمرات الصحفية التى تعقد يومياً. ومن المحتمل أن يكون ذلك فى أعمدة الصحف التى تستعمل ما يسمى باستطلا ع الرأى العام.

٣- إستطلاعات الرأي العام :

عدد إستطلاعات الرأى العام التى تنشر فى فترات منتظمة زاد زيادة مضطردة فى الفترة ما بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية. فى السنوات المبكرة من إختبارات الرأى كان الإنتباه لنتائجها قليل، ولكن بإنتهاء الستينيات تغيرت الصورة بشكل كبير. فلم يزداد فقط عدد الإستطلاعات ولكن زاد إفتراض دورها فى الحملات الإنتخابية أيضاً. إلى جانب إعتبارها مصدراً للمعلومات عن الأحزاب وقادتها وزيادة شهرتهم لدى الجمهور.

ومع بداية السبعينيات بدأت الحملة الإنتخابية، وبدأت إستطلاعات الرأى فى تثبت أقدامها. وبالرغم من تفاوت نتائجها منذ ظهورها، فإن الإتفاق حول إتجاهاتها أخذت تعكس الإعتماد عليها. ومن المؤكد أن يتحرى رئيس الوزراء نتائج الإستطلا ع عن قرب، ويختار الوقت المناسب فى ضوء نتائجها.

لقد سادت مختلف إستطلاعات الرأى معظم حملات الإنتخابات الحالية بنتائجها. لقد زاد الناشرون من جو السباق الذى أوجدته التقارير الصحفية عن الإستطلاعات وذلك بقبول البرهان على تلك النتائج وحيث يكون الشذوذ على أساس نتائج الإستطلاعات.

ومن الطبيعى أن هناك صعوبة فى تقدير الأثر، إذ وجد، على المدلين بأصواتهم. هناك خوف ونقد من أن نشر النتائج قد يشجع الناس على أن يسبقوا الحوادث ويصوتون للحزب الذى يأتى فى المقدمة. ولكن آخرون يعتقدون أن الناس

سوف يصبحون مسرورين عن النتائج إذا ما كان الحزب الذى يؤيدونه أصبح واضحاً أنه سيكون فى المقدمة؛ وقد يشعرون بأنه لا داعى للذهاب للإدلاء بأصواتهم. ونقد آخر إذ يشعر بأن البريطانيين يميلون إلى جانب غير الناضج، وأن الحزب يحتاج من يدعمه وقد يجذب أصوات «الإستعطاف». كل هذا يبقى أمراً للتخمين.

وعلى أية حال، فإن الأمر المؤكد، هو أثر الإستطلاع على السياسيين أنفسهم، وعلى نمط الحملة التى يخوضونها. وبينما لا يمكن قياس هذا الأثر، فإن لنتائج الإستطلاع أثر ملحوظ فى الروح المعنوية لعمال الحزب. ومن المؤكد أنه كان من الصعب على المحافظين أن يستمر فى إبداء التفاؤل ولا يظهرون أى علامة مع وجود شق فى الروح المعنوية أثناء حمله سنة ١٩٧٠، عندما دلت الإستطلاعات باستمرار على الدعم الذى يكتنف فوز العمال.

على أية حال، برهنت إستطلاعات الرأى على أن تكون خاطئة. فمنذ ١٩٦٥، كان هناك شاهد على المزيد من التطاير فى الناخبين، كما يوجد أيضاً مزيد من «لا أعلم» من سنة ١٩٤٥ إلى ١٩٦٥ كان الناخبون فى حال إستقراء نسبى، وكان يحسب ذلك للإعتماد الظاهر على نتائج إستطلاعات الرأى. على أية حال، أصبحت مهمة المستطلعين متدرجة فى الصعوبة منذ ١٩٦٥. ودل إنتشار الحزبين الأساسيين على تذبذب كبير أثناء الفترة بين الإنتخابين ١٩٦٦ و ١٩٧٠، ومن عدد كبيراً من الناس ينقلون دعمهم من حزب إلى آخر بطريقة فجائية. وكان هذا بمثابة إنذار للمستطلعين، ولكنهم إعتبروا أن النجاح فى التنبؤ بنتائج الإنتخابات السابقة. تشبع ثقتهم فى قدرتهم على التنبؤ بالنتائج فى إنتخابات سنة ١٩٧٠.

ومع مرور الأحداث تبين أن ثقتهم برهنت على أنها قائمة على غير أساس،

وأتت النتائج كصدمة للسياسيين والعامة أيضاً. وأصبح الناس فى حالة شك بالنسبة للإعتماد على آراء الإستطلاعات أثناء الحملة قبل إنتخابات فبراير ١٩٧٤ . فى هذا الوقت دلت الإستطلاعات على نتائج لصالح المحافظين، ومرة أخرى أخطئوا فى الحساب، ولو أنهم كانوا أكثر دقة فى التنبؤ عن النسبة المئوية للأصوات التى سينالها كل حزب. الأمر دون شك معقد بالحقيقة إن عدد المقاعد التى يحصل عليها حزب معين لا يعكس نسبة الأصوات التى كان ينتظرها وذلك يرجع «اترك الماضى» كنظمام لإختيار أعضاء البرلمان. وقد يكون فى الإتيان بتمثيل نسبى يسهل مهمة التنبؤ بالنتائج أسهل للقائمين على أبحاث الرأى العام.

ولا ينتظر أن تلعب إستطلاعات الرأى العام دوراً فى السياسة فى المستقبل – لقد كانت أقل تأكيداً فى الحملات الإنتخابية فى اكتوبر ١٩٧٤ . وفى غياب أى مصدر بديل للمعلومات عن إتجاهات الناخبين، على أية حال، فإن من المؤكد أن إستطلاعات الرأى ستبقى حية. كثير من الناخبين، فى الحقيقة يفتنهم نتائج الإستطلاع، ولهم طبعاً سامعيهم. «هل سيأتى الإستطلاع بالصحيح» يبدو أنه سؤال فى ذاته يضيف بهارات وإهتمام للحملة.

الفصل السابع

النظام الإقتصادي العمل والفراغ

- عوامل الإنتاج .
- التوزيع .
- نقابات العمال في بريطانيا .
- طبيعة العمل والإتجاهات نحوه .
- العمل والأسرة.
- العمل والفراغ.
- الإنتقال من المدرسة إلى العمل.

الفصل السابع

النظـــام الإقـتـصــادي

الـعـمـل والـفـراغ

تمهيد:

قد يوصف الإقتصاد بأنه «علم الثروة». وكما شرحنا فى الفصل الأول، يدرس الإقتصاديون الطرق المختلفة التى فيها تتراكم الثروة وتوزع والعوامل التى تؤثر على إنتاج وإستهلاك المنافع والخدمات. وطبيعى، **الأنظمة** الإقتصادية - أى الإجراءات المتعلقة بعمليات الإنتاج والتوزيع والتى تصبح مؤسسة وتشكل جزءاً من البناء الإجتماعى - تختلف كثيراً عن بعضها.

أولاً: عوامل الإنتاج:

العوامل التى يشتملها الإنتاج هى: (لا يدهشنا، أن نشير إليها كعوامل الإنتاج) وتشكل الأرض، رأس المال، العمل، والإدارة على أية حال، يستعمل الإقتصاديون تلك المصطلحات الأربعة بطرق مختلفة يستعملونها فى حديثهم اليومى.

١- **الأرض:** تستعمل للإشارة إلى كل المصادر الطبيعية المتاحة للإنسان، وليس ببساطة الأرض التى تستعمل فى الزراعة أو البناء. وهى تشمل الرواسب المعدنية، الأنهار والجداول، الخطوط الساحلية. ولدلك من الواضح، أنه طبقاً للأقاليم الجغرافية المختلفة التى تقع فيها، سيكون بعض المجتمعات أفضل عن غيرها.

٢- **رأس المال:** ويشمل كل الأشياء التى يصنعها الإنسان لمزيد من الإنتاج، وجعله أكثر كفاءة. مثل تلك الأشياء الأدوات، المصانع، الآلات ونظم النقل

تدخل فى هذه الفئة، لأنها غير مطلوبة لذاتها - تستعمل فقط فيما يمكن إنتاجه منها.

تراكم سلع رأس المال المجتمع فى شكل منافع لنفسه فقط إذا ما أتيحت المصادر الطبيعية على نحو يزيد عن أقل المطالب لأعضائها ولكن لمقابلة المزيد، إذا ما كان على الناس أن يكرسوا معظم وقتهم وطاقاتهم للحياة على التربة، سيكون لديهم فرصة قليلة لعمل أى شيء بأدوات بدائية. على أية حال، إذا كان هناك وقتاً قليلاً نسبياً لمقابلة الحاجات الأساسية، فإنه سيكون هناك وقتاً يمضيه الإنسان فى تراكم رأس مال المنفعة. تلك المجتمعات التى لديها مصادر جيدة طبيعية ومن السهل إستغلالها تكون فى موقف مميز لتكوين رأس المال وزيادة قدرتها على إستعمال مصادر أخرى بكفاءة زائدة.

٣- العمل: هو الجهد البشرى الذى يجعل من الإنتاج أمراً محتملاً. يعرف الإقتصاديون أن نوعية قوة العمل شأن أساسى. إن كفاءة عدد قليل نسبياً من العمال ممن يكونوا أصحاء، ذوى مهارة فائقة، ومتعلمين جيداً تكون أكبر من ممن يوصفون بسوء التغذية، وأقل مهارة وأميين من العمال.

يعتمد التقدم فى ميدان التكنولوجيا، العلوم، والطب على المستوى العالى للتعليم. ولكن هذا محتملاً لمجتمع يقدم الفرص للتعليم والبحث إذا ما تمتع أعضاؤه بمستوى معيشة يفوق مستوى الكفاف.

٤- الإدارة: وتشير إلى العامل الذى ينظم الأرض، ورأس المال، والعمل حيث يجعلها منتجة. بصرف النظر عن توافر المواد الخام، الجيد من المصانع والآلات، المستوى المهارى للقوى البشرية، فسوف لا ينتجون شيئاً ما لم يقوم فرد أو جماعة من الأفراد، يجمع بينها فى تزاوجات صحيحة. هذا الفرد أو الجماعة من الأفراد تأخذ على عاتقها القيام بهذه الوظيفة، وتتحمل المسؤولية والمخاطرة فى فرض طلب وتنظيم تلك المنافع ويعرف بمباشر الأعمال.

ويمكن لعلماء الانثروبولوجيا أن يحكوا لنا الكثير حول إقتصاديات المجتمعات الصغيرة، والتي يشار إليها عادة «إقتصاديات الكفاف»، هذا يعنى أن الناس يستهلكون كل ما ينتجونه ولا يتوقعون أن يكون لديهم فائض يستعملونه فى التجارة مع الآخرين. وكما يشرح Professor Luey Mair فى مقدمة الانثروبولوجيا الإجتماعية.

> يتوقع كل علماء الانثروبولوجيا أن يجدوا كيف يحصل الناس موضع دراستهم على أسباب الحياة، ما هى مصادر طعامهم، ماذا يفعلون بالمصادر الطبيعية فى بيئتهم، كيف تنظم العمالة، وتوزع المهام، ما هى المواقع التى يكافؤنها.... يحسب علماء الانثروبولوجيا الوقت الذى يمضونه فى العمل، الجدول الزمنى للنشاط الموسمى، أو على الأقل وصف أنواع الروتين على مدار السنة وهو أمر ضرورى للتقرير الذى يكتب عن إطار العمل.

ثانياً: التوزيع:

يوجد القليل. إن لم يكن لا يوجد - من المجتمعات التى لا يوجد بها شكل من أشكال المقايضة المقننة. فى المجتمعات الضاربة فى التخلف التكنولوجى، لم يعُد هناك مكان للنقود فى الإقتصاد، وتعتمد التجارة على المقايضة المباشرة المنفعة المتبادلة لصالح الطرفين المشتركين. هذا النوع من التجارة المباشرة أو المقايضة كما تسمى، تستدعى فى كثير من أجزاء العالم إلى قيام أمكنة للأسواق. ويجد الناس من يملكون المنافع فى ذلك أمراً مريحاً لتجمعهم فى مكان واحد فى وقت متفقون عليه حيث يقومون بمعاملتهم مع البعض. وغالباً ما يرتحلون إلى مسافات بعيدة للإلحاق بالأسواق، وهذا يعنى أن الأخير أصبح مركزاً هاماً لكل أنواع الأغراض بما فى ذلك التجارة. ولأن كثير من الرجال والنساء يتجمعون فى مكان

السوق تكون فرصة للثرثرة وتبادل الأخبار. ويمكن للمدراء والرسميين أن يصدروا أوامرهم وتعليماتهم هناك، ويمكن جمع الضرائب وتنصب المحاكم. وبهذه الطريقة يصبح النظام الإقتصادى ذا صلة قوية مع نواحى أخرى من النظام الإجتماعى ككل.

على أية حال، كما أن تبادل المنفعة يحدث فى كثير من المجتمعات، يوجد أيضاً شكلاً من تبادل الطقوس، أو تبادل الهدايا. ويجب ألا نتغاضى عن الحقيقة أن تبادل الطقوس توجد أيضاً فى المجتمعات الصناعية الحديثة. وهذا النوع من التبادل، طبعاً، ليس له عواقب إقتصادية، ولكن تقع أهميتها فى الجزء الذى تلعبه فى دعم العلاقات الإجتماعية الخاصة.

يستعمل تبادل الهدايا فى توطيد الإتفاقات القائمة، وترمز إلى وجود علاقات ودية. كلما قامت الملكة بزيارة رسمية إلى بلد آخر أو يقوم رئيس لدولة بزيارة بريطانيا، هناك من عناصر الرسميات الخاصة بالمناسبة هو تبادل الهدايا. كتب Professer Mair :

> يتوقع الأصدقاء والأقارب فى المجتمعات الغربية أن يعطوا ويأخذوا مساعدة عند الحاجة، فهم يتوقعون أن هدايا فى مناسبات خاصة (الميلاد، العرس، عيد الميلاد) وأن يقدم كل إلى الآخر إكراميات. ولا يمكن أن يفكر فى أن يكون ذلك فى صور نقود أو يفكر فى تقييمها. هذا وإن كانت الفكرة أن تبقى قيمة ما نعطى وما نأخذ متعادلة.
>
> يتبع تبادل الهدايا فى المجتمعات الصغيرة نفس الأسس، أنت لا تساوم، أنت تقبل ما يقدم لك مع المحافظة على آداب المجاملة، تصر على أسنانك إذا ما كانت غير متوقعة، والأمر متروك كلية عند الرد المناسب. وطبعاً هناك فكرة عامة عن القيمة النسبية للأشياء، فهناك وعى عام لما يعتبره الناس من وسائل.

إذا نظرنا إلى تبادل الهدايا فى المجتمعات الغربية فى هذا الضوء، إذا ما تحققنا أنها ليست تعبيراً وقتياً عن العطف من قبل المعطى فنحن سنكون فى منتصف الطريق أن نفهم مدلول هذا على العلاقات... مميزات هذه اللعبة هو مزيج من الإعتبارات الإقتصادية والإجتماعية.

جدول (٥) توزيع الدخول الشخصية ١٩٧٤ - ١٩٧٥

مدى الدخل قبل الضريبة	عدد الدخول (١,٠٠٠)
L	–
٦٢٤ أقل	٢,٠٧٣
٦٢٥ – ٧٤٩	١,٥٩١
٩٩٥ – ٧٥٠	٢,٩١٩
١,٢٤٩ – ١٠٠٠	٢,٦٨٢
١,٤٩٩ – ١٢٥٠	١,٩٧٦
١,٧٤٩ – ١٥٠٠	١,٦٦٣
١,٩٩٩ – ١٧٥٠	١,٨٠٧
١,٤٩٩ – ٢٠٠٠	٣,٤٥٢
١,٩٩٩ – ١٧٥٠	٣,٠٦٧
٢,٤٩٩ – ٢٠٠٠	٣,٩٦٦
٢,٩٩٩ – ٢٥٠٠	١,٦٨١
٢,٩٩٩ – ٣٠٠٠	٦٢٣
٤,٩٩٩ – ٤٠٠٠	٤٣٥
٥,٩٩٩ – ٥٠٠٠	١٤٨
٧,٩٩٩ – ٦٠٠٠	٦٦
٩,٩٩٩ – ٨٠٠٠	٥٣
١١,٩٩٩ – ١٠٠٠٠	٣٩
١٤,٩٩٩ – ١٢٠٠٠	٣٣
١٩,٩٩٩ – ١٥٠٠٠	
فما فوق ٢٠٠٠٠	

يضبط آلية السعر فى المجتمعات الحديثة توزيع المنافع والخدمات. وتحدد القيمة فى شكل النقود، والسعر المحدد لها. وهذه تساعد الناس التى يريدونها والنقود التى تدفع لهم، لشراء تلك الأشياء.

وكل هذه من عوامل الإنتاج التى سوف يدفع لها بالنقود. وتلك المدفوعات تأخذ شكل الإيجار، فائدة، أجور، ومكسب، وتمثل دخولهم. ويشمل العمل والإدارة الناس التى يدفع لهم نظير خدماتهم، ولكن الأرض، ورأس المال لا يمكن أن يدفع لهم بهذه الطريقة. فى تلك الحالات، يكون الدفع للناس الذين يملكونها. وهذا يعنى أن الدخول الشخصية قد تأتى عن طريق الأداء لخدمة شخصية (بالعمل أو القيام بالوظائف الخاصة المطلوبة لمباشر الأعمال)، أو بإمتلاك الأرض أو رأس المال، أو بالمزج بينهما. الأجور والرواتب التى تدفع للناس نظير عملهم تتنوع لحد كبير، وكذلك بالنسبة للممتلكات التى يحوزنها. وهذا يعنى أنه يوجد فروقاً ملحوظة فى حجم دخول الناس، والثروة الموزعة دون مساواة (أنظر جدول ٧).

ثالثاً: نقابات العمال في بريطانيا :

يوجد حوالى احدى عشر ونصف مليون من العمال (٤٦ ٪ من جملة القوى العاملة) أعضاء فى نقابات العمال الآن، ولو أن هناك حوالى ٥٣٠ إتحاداً، معظمها تنتمى لواحد من التنظيمات التى أقامها العمال الأوائل فى أواخر القرن التاسع عشر.

من الملامح الهامة لنقابات العمال منذ ١٩٢٠ هى النمو فى إتحادات «ذوى الياقات البيضاء»، وهى الإتحادات التى تمثل العمال غير اليدويين. لقد حلت التغييرات التى حدثت فى الصناعة، والتجارة ونمو السلطات وإدارات السلطات المحلية والخدمات، وضعت كثير من العمال غير اليدويين، حيث هى مجرد فقعات صغيرة على شاطئ كبير.

فى الخمسة عشر سنة الأخيرة أو نحو ذلك، حدث نمواً ملحوظاً فى عضوية الإتحادات التجارية. فى سنة ١٩٦١، أقل من ٢٥٪ من العاملات ينتمين إلى إتحاد، ولكن نسبة الزيادة زادت إلى ما فوق ٣٣٪ بنهاية سنة ١٩٧٧. وأثناء هذه الفترة، قامت كثيراً من الإتحادات بحملات تستهدف إختيار النساء لمراتبهم، وأكثر مكافحة الحركات النسائية وذلك بتحسين مكانة الموظفات الإقتصادية للمرأة.

١- وظائف النقابات العمالية:

أهم وظيفة الإتحادايات التجارية هى الدخول فى فصال جماعى مع الموظفين. لقد أتى العمال من خلال الإتحادات بضغوط على الموظفين لزيادة الأجور، وتقلل ساعات العمل، وتحسين أحوال العمل.

حيث يكون مستوى عال من التوظف – أى، وجود عدد كافٍ من الأعمال يتيح فرصاً لعمل السكان – ونجد أن الإتحادات فى موقف الفصال. الطريقة الوحيدة التى يستطيع بها أن يجذب مزيد من العمالة وهى أن تقدم أجور مرتفعة عن منافسيه، ويطلب الإتحاد أجوراً عالية لأعضائه. وإذا لم تقابل هذه المطالب فإن الإضرابات كفيلة بالضغط على الموظفين. إذا تقدمت الإتحادات التجارية بطلبات لزيادة الأجور والتى لا تتناسب مع الزيادة فى الإنفاق، على أية حال، سوف يؤدى إلى حالة من التضخم. وسوف ترتفع الأسعار بإنتظام لأن تكلفة إنتاج المنفعة التى ينتجها العمال ممن يحصلون على أجور عالية سوف يرتفع. وهذا يشجع العمال الآخرين على المطالب بزيادة أجورهم. والآثار العامة لكل هذا هو ما ينفقه الناس. وإذا لم يكن هناك زيادة مشابهة فى كمية المنفعة المتاحة للشراء بهذه الأموال سوف يرتفع السعر بإنتظام.

ومع تذكرة الكساد فى ١٩٢٠ و ١٩٣٠ والتى لا نزال نذكرها ويذكرها

كثير من الناس، فالحكومة منذ الحرب العالمية الثانية، تفرض على نفسها مسئولية البقاء على العمالة الكاملة. ولأن بريطانيا تعتمد فى تجارتها على غيرها من الدول، وقد واجهت منافسة متزايدة من وراء البحار، لم يكن ممكناً أن تجد أسواقاً لمنافعها. وقد كان هذا يعنى أنه لمدة ربع قرن كان هناك ضغط مستمر من إتحادات التجارة لإجور أعلى، وهبوط فى مستوى الإنتاجية التى يمكن الوصول إليها.

ولكى تستمر كمنافس كل ما أمكن ذلك، حاولت كثير من المصانع أن تقلل من التكلفة وذلك بإحلال الآلات مكان الرجال، ولقد صارت الآن التكنولوجيا المتقدمة والإنتاج الآلى تؤثر بشكل ملحوظ. وتواجه كثير من الإتحادات التجارية بأمل المساومة حول عمل أعضائها وذلك بأن تحتفظ بها بدلاً من أجور أعلى وأحوال عمل أفضل، والهبوط المنتظم فى الصناعات التقليدية مثل عمل الصلب، والإسهام الأصغر للسوق العالمى مع بلوغ الأفضل الذى يرجع إلى التغيرات التكنولوجية، قد أتى بموقف فيه لم يعد وجود قدر كاف من الشغل يسعى إليه العمال، ارتفعت البطالة من ٤ ٪ فى أوائل عام ١٩٧٢ إلى أكثر من ٦ ٪ عند بداية ١٩٧٨.

وقد لا يأتى عام حتى ينظر الناس إلى ما حدث فى عام ١٩٧٠ كعلامة هامة فى مرحلة لثورة صناعية ثانية. وحتى الآن قد اعترف بأن حق العمل عامل هام فى المجتمع، ودعم ذلك الأعراف والإتجاهات التقليدية. ونتيجة لذلك، فإن الناس الزائدون عن العمل يعانون ليس فقط مادياً، ولكن نفسياً وإجتماعياً كذلك. على أية حال، فى المستقبل قد لا يتاح لكل شخص أن يحصل على شغل بمهنته معظم حياته، وتكون إتجاهاتنا فى حاجة إلى التعديل تبعاً لذلك.

وقد تبرهن الإتحادات التجارية على أنها مساعدة إذا ما إمتدت وظائفها فى المساومة. فقد تشترك ليس فقط فى المفاوضات حول الرواتب وأحوال العمل،

ولكن أيضاً فى إعادة تشكيل كل ظروف العمل. يمكنها أن تُصر على أن إتاحة العمل قسمة عادلة بين أعضائها وأنهم كلهم يتمتعون بوقت فراغ. ويمكنهم أيضاً المساومة حول مشروعات المعاشات وتحسين سهولة الترفيه وأنشطة وقت الفراغ.

كثير من الإتحادات التجارية تقوم بوظيفة حماية مكانة العمال من أعضائها. والإتحادات التى تقوم بهذا العمل تؤسسه على حِرَفٍ خاصة أو مهن، وليس كما تفعله الإتحادات الكبرى عامة. فهى تحاول أن تؤكد أن أعضائها يتمتعون بحماية أعضائها ضد مُدخلات آتية فى الصناعة والتقليل من مكانة الموظفين الحاليين. ويمكن للإتحادات أن تحمى أعضائها بواسطة الممارسة الجادة مثل الدكان المغلق - أى جعل عضوية الإتحاد شرط للتوظف وتأكيد على أن العمل الذين يتمون بنجاح برنامج تدريب معترف به يصبحون أعضاء فى الإتحاد. وتُصر بعض الإتحادات التجارية على قواعد محددة يجب أن يتبعها أعضائها. فهم يسمحون لعمال مخصوصين أن يقوموا بأعمال خاصة ولو أن ذلك قد يتسبب فى تأخير تعيينهم بعض الوقت فى بعض الحالات.

وللإتحادات التجارية وظائف سياسية كذلك. هناك علاقة قوية بين حزب العمال، والإتحادات التجارية، وأن بعض أعضاء البرلمان من العمال يكفلهم الإتحادات التجارية. وهذا لا يعنى، على أية حال، أن الإتحادات التجارية عازمة على فقد إستقلاليتها أو تسمح لأنفسها بأن تدار بمعرفة حزب العمال.

الإعتمادات التجارية، على أية حال، تقوم كجماعات ضغط قوية، وأنها تسعى إلى ترقية إهتمامات أعضائها مهما كان الحزب الحاكم. لا يمكن للحكومة أن تتجاهل تماماً آراء الإتحادات التجارية، لأن باستطاعة الإتحادات الكبرى وبسرعة خلق جو من الدمار وذلك بخروج عمالها فى مظاهرة. إذا لم

ترغب الإتحادات فى الإشتراك فى مظاهرة شاملة مما يفقدها مرتبات أعضائها، فإن القواعد الخاصة بالعمل تأخذ مجراها.

٢- الروابط المهنية:

ينتمى كثير من الناس من ذوى صنعة مهنية لجمعيات، والتى على نحو ما تشبه الإتحادات العمالية – فى الحقيقة شبهت «إتحادات عمالية للرجال اللطاف»، ولو أنه غير دقيق على نحو ما.

مصطلح «مهنى» عندما يستعمل لوصف حرفة يكون مضللاً على نحو ما. ويمكن تعريفه بأنه حرفة يقوم بها أناس قد إجتازوا إمتحاناً رسمياً يدل على أنهم قد اكتسبوا معرفة خاصة وقادرون على تطبيقها لأغراض عملية. والنجاح فى تلك الإمتحانات يتطلب وقتاً طويلاً وفترة صارمة من الدراسة والتدريب. لذا فإن المدرسين، والأطباء، والمحاسبين، والمحامين وهكذا سوف ينظر إليهم على أنهم أنهم مشغولون بحرف مهنية.

كَوّن كثير من الناس فى تلك المهن جمعيات تختص فى المقام الأول بتحديد الدخول إلى المهنة. أعدوا إختبارات ومنحوا دبلومات أو شهادات للمرشحين الناجحين، والبعض وضعوا دساتير أخلاقية، والتى بها ينضبط سلوك أعضائها. لذا فإن أعضاء المهن يمكنهم تأييد طلباتهم برواتب عالية لأنهم قد اختيروا بعناية وراهنوا على قدرتهم، وعازمون على الإلتزام بدساتيرهم السلوكية.

أعضاء بعض المهن مثل المحامين والمحاسبين، يحصلون على أتعاب عن خدماتهم، على أساس فئات متفق عليها وتحددها جمعياتهم. ومن الواضح أن تلك الجمعيات قوية جداً، ومواقفه إحتكارية، لأنها قادرة على ضبط كلاً من الكمية والنوعية لممارسيها والسعر الذى يدفع نظير خدماتهم.

على أية حال، فى كثير من الحالات، أعضاء المهنة يستخدمون بالراتب.

وهؤلاء الناس فى نفس الموقف كأى جماعة أخرى من الموظفين الذين عليهم أن يفاوضوا مستخدميهم على تحسين الأوضاع. وهذا يعنى أن جمعياتهم المهنية غالباً ما تقوم بوظائفها فى المساومة كالإتحادات الصناعية نيابة عنهم، ولو أن الجمعيات لسوء الحظ لا تتعاطف مع الإتحاد الصناعى ولا يبدو إسهامات عاطفية لأى حزب سياسى.

على أية حال هناك عدد من الجمعيات المهنية لا تعتبر نفسها إتحادات صناعية، وترفض القيام بأى مساومة. هذا يعكس الإدعاء التقليدى بالمكانة الإجتماعية الممتازة التى يحتلها الحرفيون المهنيون. لهذا السبب يوجد منظمتين منفصلتين فى بعض المهن الخاصة – واحدة تختص بالإمتحانات والمؤهلات وواحدة تختص بآلية المفاوضات مع الموظفين والقيام بوظيفة مجموعة الضغط. وأينما يحدث هذا، سوف يكون على المهنيين أن يستوفوا المطالب الخاصة بالمنظمات المؤهلة، ولكن لا يضطروا على الإلتحاق بنمط «الإتحادات الصناعية» للمنظمة.

رابعاً: طبيعة العمل والإتجاهات نحوه:

ولو أن الراتب وظروف العمل لها أهميتها الكبرى يوجد نواحى أخرى من العمل التى يجب أن تؤخذ بعين الإعتبار. فمثلاً نوع العمل يؤثر على إتجاهات الشخص. لبعض الأشخاص يعتبر العمل متعة ومدعاة للرضى. يستطيعون إظهار قدر كبير من المهارة أو الحرفية، أو يتشرفون بعملهم؛ قد يتمتعون بتحمل قدر كبير من المسؤولية أو قدرتهم على إتخاذ القرار بشأن كيفية العمل وكيف يوفرون له الوقت. إنهم يعملون كواحد فى فريق وإحساس بالرضا الذى يأتى مع إنجاز الأهداف كجماعة. إذا ما سألت هؤلاء ماذا يجدون فى شغلهم، سوف يذكرون عدداً من الأشياء – ليس فقط كمية النقود التى يستلمونها نظير عملهم. إن العمل الذى يتمتع بها لذاتها يقال أنها تقدم «ذاتية الرضاء».

هناك عدد كبير من الناس فى المجتمعات الصناعية الكبرى، يقومون بأعمال لا تشبع هذا الرضاء. كثير من العمال مستخدمون فى خطوط التجميع، وهذا النمط من الإنتاج يتعارض مع إحتمال ذاتية الرضا. ويسير العمل بخطوات ميكانيكية حيث أن العمال عليهم أن يعملوا بمعدل خط التجميع، وأن كل عملية تكون من السهولة لدرجة أن المهارة القليلة هى التى يحتاجها والقدر الأدنى من التركيز هو المطلوب. أحياناً تكون الظروف التى يؤدى فيها العمل تسمح للعمال أن يتبادلوا الأحاديث أثناء العمل، وقد يتمتعون بالصداقة والنواحى الإجتماعية فى العمل، هذا الرضاء الذاتى قد يعوض الإحتياج للرضا التى يكون نتيجة للعمل نفسه.

على أية حال إذا لم يكن العمل نفسه لا يبعث على الرضا، ولا يوجد ذاتية الرضاء التى يمكن إشتقاقها منه – ولأن العمال بعيد كل واحد عن الآخر، أو لأن الضوضاء تمنع من المحادثة – إذن سينظر العمال له على أنه ليس النهاية، ولكن كوسيلة للنهاية. وإن النهاية التى فيها سيهتمون كثيراً بالكلام فى الرواتب، والعمال الذين ينظرون إلى العمل كوسيلة لإكتساب الأجور العالية يقال أن لديهم التوجيه الآلى بالنسبة لعملهم.

كثير من الناس يعتبر الميكنة كتهديد، لأن فى المصانع الميكانيكية يحتاج الأمر إلى عدد قليل من العمال. على أية حال، لأن العمال العاملين فى مصانع من هذا النمط، يشتقون رضائهم من أعمالهم أكبر من هؤلاء العاملين فى مصانع التجميع. عليهم أن يألفوا كل العملية، وليس فقط إزاء جزء صغير منها. وهناك عنصر كبير من المسؤولية ويستطيعون أن يشعروا بالإندماج مع المنتج النهائى. ولأنهم معفيون من كثير من الجهد الخاص بالتكرار فى خط الإنتاج، يستطيعوا أن يتحركوا من جزء من المصنع إلى الآخر وتكون لديهم الفرصة للإتصال الإجتماعى مع غيرهم من العمال.

خامساً: العمل والأسرة:

قام David Lochhord, John Goldtharpe وزملائهم بدراسة عدد وافر من العمال في Luton بين ١٩٦٢ و ١٩٦٤. في كتابهم العامل الموسر: الإتجاهات الصناعية والسلوك (١٩٦٨) وصفوا بإيضاح شديد الطرق التي تؤثر تأثيراً ملحوظاً على إتجاهات الشخص نحو عمله ونحو حياته العائلية. ووجدوا أن العمال ممن لديهم إتجاه أدائي نحو أعمالهم يركزون آمالهم ليس في فكرة التقدم في عملهم ولكن نحو التحسين المستمر لمستويات عائلاتهم الحياتية. فهم معنيون لكسب مزيد من المال حتى يشترون مزيد من الأشياء التي يعتقدون أنها سوف تجعل حياتهم بعيدة عن العمل أكثر راحة وأكثر متعة. الحياة العائلية بالنسبة لهؤلاء العمال هي أكبر مصدر للرضاء، وهناك تقسيم حاد بين خبرات العمل والبيت.

وصف S. R Parker علاقة العمل والأسرة في كتابه سيكلوجية الصناعة (١٩٦٧ وأشار إلى الطرق التي تجعل نمط العمل الذي يقوم به الرجل يتصل بحياته الأسرية. فالرجل الذي يجد أن عمله هام ويأخذ كل وقته سوف لا يقدر على التمييز بين العمل وغير العمل، وما يقوم به قد يكون ممتداً من ميدان إلى آخر. وهذا يعني أن عائلته قد تندمج إلى حد كبير من الإمتداد فيما يفعله، وأن حياته العائلية هو إمتداد لحياته المهنية. تصور، مثلاً، الطبيب الذي لديه حجرة جراحة في بيته، وأن زوجته هي التي أجابت على التليفون – غالباً أن توقظه ليلاً – وتقابل كثير من مرضاه. وعلى الجانب الآخر، يوجد كثير من الرجال ممن يعملون ساعات منظمة، وعملهم لا يجور على وقته الحر على أية وجه. العلاقة بين العمل والأسرة في هذه الحالة تكون حيادية فيما بعد الحقيقة أن مستوى معيشة الأسرة تعتمد على الدخل الذي يحصل عليه الزوج من عمله.

النمط الثالث من العلاقة هو المعارضة. تلك توجد حيث يكون نمط عمل

الرجل يخلق فيه الحاجة إلى حياة أسرية تعوضه عن الجهد الجسدى والنفسى فى العمل. لذا فإن العامل فى المنجم يتوقع من زوجته أن تطعمه وتريحه، ولكن تطلب منه القليل.

سادساً: العمل والفراغ:

استقبل S. R. Parker نفس الثلاث أنماط - الإمتداد، الحياد والمعارض - لوصف العلاقة بين العمل والفراغ. قام بدراسة على ثلاث جماعات مهنية من نفس مستوى المكانة الإجتماعية، ولكن يختلفون بشكل ملحوظ فى نمط العمل الذى يقومون به - موظفى البنك، عمال شبان ومراقبى رعاية الطفل. وجد أن موظفى البنك؛ يتمتعون بوقت الفراغ لأن مختلفة تماماً من حيث العمل؛ لا يجور العمل على وقت فراغهم، وتكون إهتماماتهم كل إهتمامهم فى سعادة عائلاتهم، والفراغ يكون فى المرتبة الثانية من الأهمية. مراقبى رعاية الطفل، ورعاية الشباب لديهم الكثير من الوقت الحر ويقومون بأعمال متصلة بعملهم ويتمتعون بوقت فراغهم لأنها ترضيهم بطريقة مختلفة عن عمله. ولهؤلاء الناس يكون عملهم غالباً هو مركز حياتهم وإهتماماتهم.

بعد مقارنة نتائج مسح باركر بالدراسات التى أُجريت على جماعات مهنية أخرى، يمكننا أن نرى نمط الإمتداد حيث تكون العلاقة بين العمل والفراغ قريبة جداً - قريبة جداً حتى أنه لا يوجد تمييز بينهما. ورجال الأعمال الناجحين، الأطباء، المدرسين وآخرين ممن يكون العمل هو مركز حياتهم، لديهم القليل مما يقال له وقت الفراغ. ومن المحتمل أن يكونوا متعلمين تعليماً جيداً، وأن ما يقوموا به من عمل حقيقة يشبه ما يقومون به وهم خارجه. وتتكون الصداقات فى العمل غالباً وتتكون فى غيره من الأوقات ويحدث تشاور ومحادثة فيما يسمى «حديث المتجر».

ويوجد النمط المحايد حيث يكون إهتمام الناس متمركزاً حول الأسرة، والفراغ أكثر من إهتمامهم بالعمل، ومعظم وقتهم يمضونه فى الإسترخاء أو يلى ذلك حيث يكون بديلاً للخبرة التى ينالونها فى العمل. ويمكن إعتبار الكَتَبَة وأشباه المهرة من العمال اليدويين من هذه الفئة.

ويوجد نمط المعارضة حيث يكون الناس مشغولين أثناء ساعات العمل دون رضاء ولو قليل. ويستغل الفراغ للإستجمام من العمل ولربما لقدر من الهروب. مثالياً، المشتغلين بالتعدين، وأعماق البحار من الصيادين يمضمون وقتاً كبيراً فى بيوت عامة يشربون مع أصدقائهم، وهم غالباً أترابهم من العمال، أثناء وقتهم الحر. وكثير من العمال اليدويين غير القادرين على التعبير عن عدم قدرتهم على العمل، وممارسة الأنشطة التى تزودهم بما ينمى شخصيتهم ومكانتهم التى يعترف بها. وقد يكونوا من المتحمسين لهواية الحمام، المتسابقين أو مزارعى الكُراى، حيث عنصر التنافس فى كل هؤلاء المتنافسين فى تحسين ظروف العمل حيث لا يوجد للأنانية محكات.

سابعاً: الإنتقال من المدرسة إلى العمل:

حيث أن العمل هام جداً فى حياة كل فرد، يتبع ذلك الحالة التى يُعد فيها الشخص الصغير للدخول إلى دنيا العمل وعلى نفس المستوى من الأهمية قد رأينا لتونا فى الفصل المبكر عن التعليم، وكيف أن النظام التعليمى والنظام الإقتصادى، يتعلقان ببعضهما، ولكن يجب أن نذكر أن كل من يترك المدرسة لديه أفكار خاصة من عالم المهن الذى يقيم عليه آماله وتوقعاته. من أسرته سوف يكتسب بعض المعرفة عن أعمال خاصة وإتجاهاته نحوها وسوف تتشكل فى ضوء هذه المعرفة. إذا ما كان لدى أفق محدود، فسيكون لدى الصغير نظرة ضيقة للفرص المتاحة له، ودرجة الدافعية للنجاح فى العمل والتى لدى كل شخص إنما تتخذها أسرته.

لدى معظم المدارس الثانوية فى هذه الأيام أعضاءً فى هيئة يعطون الأولاد والبنات الذين يقتربوا من سن ترك المدرسة نصائح عن شئون المهنة، ولكن لا يصادف هذا دائماً النجاح. أحياناً لا يؤخذ بعين الإعتبار ما يراه الولد «مناسباً» بالنسبة للمدرسة. فى معظم المدارس العامة ، مثلاً، نجد أن التلميذ الذى يرغب فى الحصول على وظيفة عن طريق جامعة يحصلون على تشجيع ومساعدة أكبر عن هؤلاء الذين قرروا أن يتركوا قبل حصولهم على مستوى «أ» من الإمتحانات. ولاشك أن خبرة هيئة التدريس نفسها تجعلهم أكثر قدرة على مساعدة التلاميذ. والتاركون مبكراً غالباً ما يعتبرون أنهم قد تركوا فرصة ذهبية ويعاملون بعطف أقل.

تأسست خدمة التوظف لأعضاء إرشاد مهنى للشباب. ومعظم العمل بالنسبة لهذه الخدمة يؤدى من خلال المدارس حيث تعطى معلومات عامة عن مختلف أنماط العمل المتاحة، وأحياناً تعقد الإختبارات التى تنوى إعطائه مزيداً من المعرفة بنوع العمل الذى يناسب الشاب. وفى وقتنا هذا نجد أن تلك الخدمات التى تقدم لأقلية من الشباب دون مستوى الفرد من حيث المصدر أو الهيئة. ويعتقد كثير ممن يتركون المدرسة أن خدمة المهن كتبادل العمل لا ترضى حاجاتهم، وهناك نقد يتعلق بذلك لأنه لا تؤخذ حاجاتهم الفردية فى الحسبان. وفى كثير من الحالات يعتقدون، أنهم قد أستميلوا للقيام بنمط خاص لأنه ببساطة قد حدث أن المصنع أعلم الموظف بوجود الوظائف الخالية. وعلى أية حال، نجد أنه من الإنصاف أن موظفوا المهن غالباً ما يكون عليهم معاملة تاركوا المدرسة ممن لديهم فكرة قليلة عما يريدون عمله، ويعوزهم الدافعية أو الطموح ويأخذون قرب العمل من البيت وأكبر أجر بعين الإعتبار.

وقد تكون وسائل الإعلام أيضاً مصدراً للمعلومات عن العمل. فهناك العديد من البرامج الممتازة التى تذاع خاصة للمدارس وفيها فائدة كُبرى. وقد تحدث

توازناً، على أية حال، بإعطاء طابع عن دور المهن التى تعرض فى برامج التليفزيون التى تصل إلى جمهور عريض.

بينما يعرف كثير من الشباب تماماً ماذا يريدوا أن يعملوا بعد ترك المدرسة ولديهم الدافع والحماس، نجد غيرهم وقد إنحرفوا إلى أعمال غير مناسبة أو نهايتها مرتقبة وحيث يكتئبون وغير سعداء. أحياناً، يدخلون دنيا العمل بآمال كاذبة، فسرعان ما يصبحوا مضللين ومكتئبين، ومن الواضح أن التوجيه المهنى وإعداد الشباب للإنتقال من المدرسة إلى العمل كلها ميادين تحتاج إلى الدراسة.

الفصل الثامن

بناء السكان وتوزيعهم في بريطانيا

- التغيرات في السكان منذ عام ١٨٧١م.
- البناء العمري للسكان.
- التوزيع الجغرافي للسكان.

الفصل الثامن

بناء السكان وتوزيعهم في بريطانيا

تمهيد :

قد يكون من المفيد فى هذا الفصل عن السكان فى بريطانيا العظمى أن نبدأ بتحديد المنطقة التى نعنيها بوضوح، حيث أن ذلك غالباً ما يكون مصدراً للإلتباس. وتشير بريطانيا العظمى إلى إنجلترا، ويلز واسكتلندا. لذا عندما نشير إلى سكان بريطانيا العظمى، تكون الإشارة إلى مزيج من سكان الأقاليم الثلاثة.

يوجد (ثلاث مسجل عام) مسؤول عن تجميع ونشر الإحصاءات والمعلومات المتعلقة بالسكان فى بريطانيا العظمى وشمال أيرلندا – واحد عن إنجلترا وآخر عن ويلز، واحد عن اسكتلندا وواحد عن شمال ايرلندا. على أية حال، إذا أخذنا بعين الإعتبار مزيج السكان فى بريطانيا العظمى وشمال أيرلندا (المملكة المتحدة)، نجد أن حوالى ٨٧٪ من الناس يعيشون فى إنجلترا وويلز. وتزيد النسبة المئوية إلى حوالى ٩٠٪ إذا اعتبرنا بريطانيا العظمى فقط. وهذا يعنى أنه يكون عملياً تماماً أن نستعمل المعلومات فقط المتعلقة بانجلترا وويلز إذا كان سعينا نحو نظرة واسعة لما يحدث عامة من تغييرات وإتجاهات فى السكان. وهذا يكون أكثر راحة عن محاولة المعالجة لثلاث مجموعات من الأرقام.

أولاً: التغييرات في السكان منذ ١٨٧١ :

لقد صار من الملامح الواضحة فى سكان بريطانيا العظمى منذ ١٨٧١ هو الزيادة من حيث الحجم. من حوالى ٢٦,٠٠٠,٠٠٠ فى عام ١٨٧١ زاد عن الضعف أثناء المئة سنة التالية ليصبح ٥٤,٠٠٠,٠٠٠ فى عام ١٩٧١ ولقد جاءت

هذه الزيادة رغم الحقيقة، مع قليل من المراوحة، الهبوط المستمر فى معدل المواليد أثناء نفس الفترة (أنظر الجدول رقم ٦). ولذلك فيجب أن نأخذ فى الحسبان موضوعين هامين – العوامل التى أتت لنا بزيادة فى السكان والسبب فى هبوط معدل المواليد.

جدول (٦) معدل المواليد في بريطانيا العظمي ١٨٧١ - ١٩٧٦

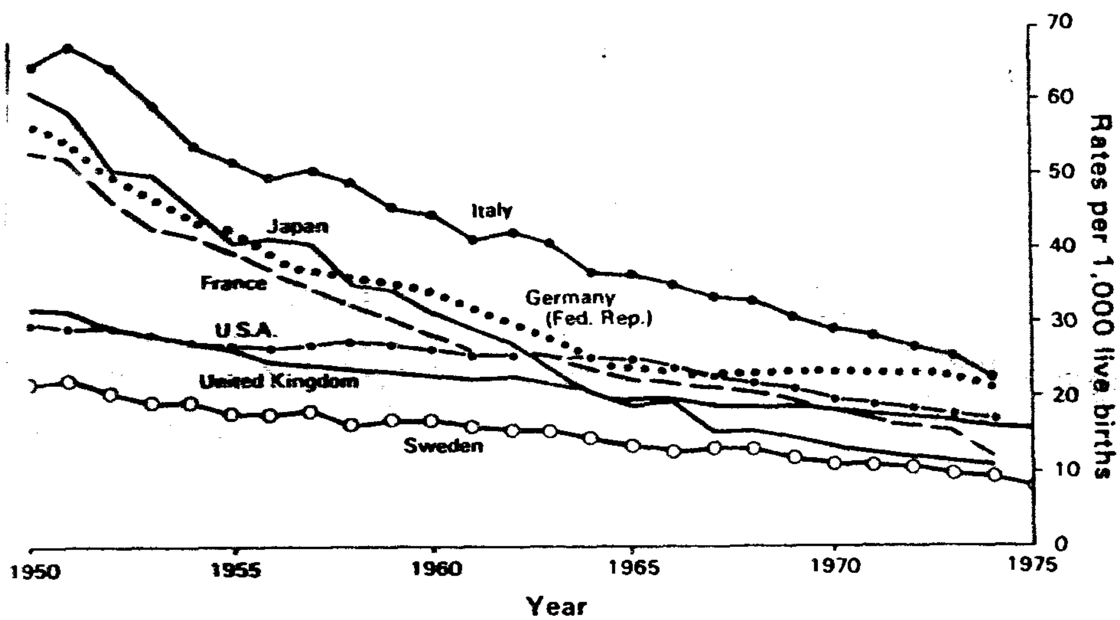
السـنـة	معدل المواليد بالألف
١٨٧١	٣٥
١٩٠١	٢٧
١٩٥١	١٦
١٩٧٦	١٢

العـوامـل التي تـؤدي إلى زيـادة السـكـان.

لقد كان الهبوط المستمر فى معدل وفيات الأطفال (عدد وفيات الأطفال أقل من سنة من عمرهم بالألف من المواليد أحياء فى الوقت المحدد)، من أهم العوامل فى نمو السكان. وكان معدل وفيات الأطفال من حوالى ١٨٥٠ إلى ١٩٠٠، مستقراً حول ١٥٠. وأثناء أوائل السنوات: القرن الحالى، على أية حال، ساعد تأسيس قانونية خدمة القابلات على المعرفة الطبية التى اكتسبوها على تطبيقها وإمتدادها. هذا، مع تحسين مستوى الصحة، والتقدم الإجتماعى والإقتصادى، وكان لهم أثر كبير على معدل وفيات الأطفال. ولقد هبط إلى ٨٠ فى عام ١٩٢٠. ومنذ ذلك الوقت شاهد التقدم الطبى نمواً فى المضادات الحيوية ومزيد من التطعيم المؤثر، إلى جانب التحسينات فى فنون الجراحة وإستعمال معدات متنامية فى الدقة. وقد إنعكس كل ذلك على الهبوط المستمر فى معدل وفيات الأطفال، والذى كان ١٨ فى الألف من المواليد أحياء فى عام ١٩٧٠.

وغالباً ما يستعمل معدل وفيات الأطفال كمؤشر على التقدم الإجتماعى والإقتصادى. وفائدته ليست فقط كوسيلة للمقارنة بين أوضاع الدول الإجتماعية والإقتصادية (أنظر شكل ٤) بل يمكن أن تستعمل كدليل للفوارق بين إقليم وآخر فى نطاق الدولة الواحدة. مثلاً، فى عام ١٩٧٠، كان معدل وفيات الأطفال فى إنجلترا وويلز ١٨,٢ ؛ وفى اسكتلندا كان ١٩,٦ وفى ايرلندا الشمالية كان ٢٢,٩.

وهناك سبب آخر لزيادة حجم السكان، هو أن الناس الآن يعيشون أطول من ذى قبل. «توقع الحياة» Life Expectaney للأفراد المولودين فى خلال القرن كان حوالى ٢/١ ٥٢ سنة للإناث وحوالى ٢/١ ٤٨ سنة للذكور.



Source: *Social Trends, 1977.* H.M.S.O.

Figure 4. Infant mortality: international trends, 1950–75

شكل (٤) وفيات الأطفال، الإتجاه العالمي ١٩٥٠ - ١٩٧٥

لذا يمكن أن نرى أن «توقع الحياة» شكل مريح كمؤشر - ليس كتوقع حقيقى للحياة حيث أن الإحصاءات تدل على أن معدل الوفيات فى هبوط مستمر. وأثناء حياة الشخص يتغير الموقف بشكل ملحوظ.

على أية حال، مقارنة «توقع الحياة» لأشخاص مولودون فى فترة زمنية واحدة مع أشخاص مولودون فى مكان آخر تكون طريقة لإكتشاف الموقف الإقتصادى والإجتماعى العام. والحقيقة أن الناس يعيشون أطول وقد ترجع إلى عدد من التحسينات التى عملت أثناء المائة سنة أو نحو ذلك. فقد تزامن إرتفاع مستوى المعيشة مع أحوال منزلية أفضل ومعايير تغذية أعلى، إن الأحوال التى يعمل فيها الناس الآن أفضل وأكثر أمناً، وكان هناك قدر كبير من التقدم فى ميادين الطب والصحة. فليس فقط أن زادت المعرفة الطبية، ولكن الخدمات الصحية التى تطبق هذه المعرفة صارت متاحة، وتحسنت وامتدت. وصار عند النساء عدد أقل من الرضع عما كان عندهم من ذى قبل، لذا فقد خفت عنهم مخاطر الحمل المتكرر، ويمكن رعاية عائلاتهم الصغيرة بكفاءة أكثر.

الإنحدار في معدل المواليد :

كما لاحظنا لتونا، قد إنحدر معدل المواليد بإنتظام منذ ١٩٧١ . فقد كان هناك بعض التأرجحات مثل ما حدث فى الحرب الماضية «إرتفاع فى قمة الرضع» فى عام ١٩٤٦ - ١٩٧٦ والتحرك إلى أعلى أثناء الخمسينات وأوائل الستينات، التى يمكن تفسيرها جزئياً بارتفاع معدل الزواج فى هذا الوقت، وجزئياً بالزيادة الجوهرية فى عدد المهاجرين من بلاد تتميز بإرتفاع فى نسبة الخصوبة. والإتجاه الكلى فى معدل المواليد على مدى طويل، يبدو أنها فى نزول، والحجم المتوسط للأسرة إنخفض من حوالى ٦ أطفال فى عام ١٨٧١ إلى حوالى طفلين فى عام ١٩٧١ .

من المحتمل أن العامل الهام المؤثر فى حجم الأسرة يتمثل فى التقدم الذى حدث فى تحرير المرأة. بينما هناك نسبة مئوية عالية فى زواج النساء فى هذه الأيام عما كان عليه من قبل، وهن يتزوجن فى سن مبكرة لا ينظرن إلى أن دورهن محصور فى إنجاب الأطفال. وهناك الكثير من النساء يسعون إلى الحصول على عمل خارج بيوتهن، وأن الأدوار المزدوجة للأم والعاملة أصبح من السهل مزاولته إذا كانت الأسرة صغيرة. وكان للتطور المؤثر لموانع الحمل، دوراً فى مساعدة المرأة على تحديد حجم أسرهن.

علينا أن نتذكر أيضاً أن رعاية الأطفال أمر مكلف. فى السنوات الأولى من الثورة الصناعية، كانت الأطفال تعتبر إضافة إلى الأسرة لأنهم قد يصبحوا من ذوى الأجور فى سن مبكرة. على أية حال، فإن إدخال نظام التعليم الإجبارى، والإرتفاع المتوالى فى سن ترك المدرسة تسبب فى أن تكون الأطفال عبئاً على أسرهم لعدد من السنين. وقد سنت القوانين، والتى قللت من قدرة الأطفال أن يكسبوا مالاً أو القيام بأى إسهام يستحق الذكر فى دخل الأسرة.

صارت إتجاهات الناس مادية حيث زادت دخولهم وارتفع مستوى معيشتهم. وطبيعى أن تؤثر المادية على حجم الأسرة. ويكون لدى الآباء وعياً بأنهم مع صغر حجم الأسرة يمكنهم شراء أشياء كثيرة، وعدد من الرفاهيات ليتمتع كل فرد فيها. وأن إضافة عضو للأسرة يعنى إنخفاض فى مستوى معيشتهم. وأكيداً وجدت Myra Woolf التى قامت باستقصاء لمكتب المسجل العام (نوايا الأسرة ١٩٧١) أن «الشعور بأن الحاجات المادية لها أهميتها وهو شعور يصاحب العائلة الصغيرة، حتى إذا كان السبب الحقيقى فى تحديد النسل يتمثل فى شىء آخر».

ثانياً: البناء العمري للسكان :

إذا ما قارنا التركيبة العمرية للسكان فى وقتنا الحاضر مع تلك فى الماضى،

سنرى أنه قد حدثت تغييرات هامة منها: إنحدار فى معدل المواليد موصول بالحقيقة أن الناس صارت تعيش أطول أى أصبح لدينا سكاناً من الكبار. التراوح فى معدل الخصوبة (معدل العمر الذى عنده تنجب المرأة) ينعكس على التركيبة العمرية للسكان الذى ينتج عن العدد النسبى للمواليد فى كل جيل من السكان فى وقت ما.

ومع أن نسبة الناس ممن بلغوا الخامسة والستون فما فوق قد هبط قليلاً فى نهاية القرن، فإن الأرقام النهائية قد زادت.

١- الضمنيات الإجتماعية للسكان المعمرين:

الأثر القوى للسكان المعمرين هو زيادة حمل الإعتماد على الفئة العاملة، فالناس تحت وفوق سن العمل يجب تدعيمها بمعرفة الناس العاملين. ومن أجل تدعيم العدد المتزايد من «المعولين»، «الضراب»، والأتوات تُلقى على الأعضاء المنتجين فى المجتمع مزيد من الأعباء. أخيراً قد يكون لذلك تأثير عميق على الرفاهية الإقتصادية للمجتمع حيث قد تقلل من حوافز الناس على العمل أكثر وأكثر نظير أجورهم من أجل تقليل إعتماد هذا القطاع من السكان.

لقد أعترف لورد بيفردج بتلك العوامل عندما أخرج تقريره عن التأمين الإجتماعى والخدمات الحليفة فى عام ١٩٤٢. يعتقد أن المعاش الحكومى يجب أن يربط بمستوى الكفاف فى محاولة أن نبقى حمل نقاء الأعضاء المعولين فى المجمتع عند مستوى مقبول. على أية حال، لقد مكّن أعضاء أرباب المعاشات من تنظيم أنفسهم فى جماعة ضغط مؤثرة مع قوة تصويت ملحوظة، وحيث أن هذه القوة تستمر فى النمو، تزداد طلبات رفع المعاشات، وسوف تكون محاولة مقاومتها أكثر صعوبة. وعلى أساس دواعى الإنسانية الخالصة، ويبدو من غير المعقول أن هؤلاء الذى اعينوا على قيام مجتمع موسر، أن يتوقع لهم أن يعيشوا فى حالة فقر نسبى فى الكبر.

٢- الإنحدار في أهمية الأسرة الممتدة :

هذا يعنى أن كثير من كبار السن يعيشون فى حالة عزلة، وغالباً فى حالة بؤس شديد وظروف الوحدة. غالباً أيضاً يوجد هؤلاء فى حالة من سوء التغذية. ويجب إنفاق مال أكثر على إيجاد بيوت مناسبة لكبار السن مع رعاية وإشراف صحى مناسب، وملاطفة مع من يحتاجونها. ومواجهة مشاكل الوحدة والعزلة بدعم الإتصال الإجتماعى، تلك العزلة التى تسبب المعاناة لكثير من الكبار، من المحتمل أيضاً أن تزيد مع زيادة أعدادهم.

٣- الضمنيات الإجتماعية والنفسية :

لسكان كبار السن فى عالم فيه لا يزال الإعتماد فيه على الشباب بعيد المنال. ومن ثم تقدر فيه الحكمة والخبرة المتراكمة لأعضائه الكبار. فى وقتنا الحالى، على أية حال، معدل التغييرات التى تحدث فى كل مناحى الحياة – التكنولوجية، العلوم، الإدارة والتعليم عبارة عن أمثلة – نعنى أن الناس يجدون من الصعب جداً أن تتعايش مع الأفكار والإبداعات الجديدة. لذا فإنه من السهل أن ينظر الشباب إلى كبارهم على أنهم مجموعة تقف أمامهم بأفكار عنيفة. وهذا قد يكون مدمراً للروح المعنوية عند الكبار، حيث يجدون أنه ليس لهم دور فى الحياة وغير مساهمين فيها.

ثالثاً: التوزيع الجغرافي للسكان :

تعتبر بريطانيا العظمى أكبر الدول المتمدينة فى العالم. ومنذ بداية القرن التاسع عشر، عندما كان حوالى ربع السكان يعيشون فى مدن وحضر، كان هناك تيار مستمر من المناطق الريفية إلى الحضرية. فى وقتنا الحالى حوالى ٨٩٪ من السكان يمكن تصنيفهم إلى سكان الحضر. وليس الكثير من المعانى يمكن تصنيفهم إلى ريف حيث أنهم يعيشون فى القرى التى أصبحت مناطق «للايواء» للمدن القريبة.

فى المناطق الريفية الحقيقية، نجد أن الناس قادرون على العمل، يتاجرون، يجدون ترويحهم، وتعليم أطفالهم، وإشباع حاجاتهم اليومية فى إطار البيئة المحلية. وفقط فى المناطق البعيدة من بريطانيا العظمى يمكن أن نجد مثل هذه البيئات فى أيامنا هذه.

لقدتقدمت المناطق الحضرية على حساب المناطق الريفية، والمناطق الحضرية الأكبر نفسها تميل إلى أن تنمو على حساب الصغيرة منها. ونتج عن ذلك مناطق شاسعة من التكتل الحضرى الذى صار الملمح السائد من المنظر الحضرى فى بريطانيا العظمى فى هذه الأيام. يوجد سبعة من تلك التكتلات الحضرية – واحدة فى اسكتلندا وستة فى إنجلترا وويلز (لندن الكبرى – جنوب شرق لنكشير، غرب مدلاند – غرب بوركشير، ميرسيد، تينسيد. فى هذه المناطق السبعة التى تضم ٣ ٪ من جملة الأراضى يعيش عليها ثلث السكان فى بريطانيا العظمى.

وهناك علاقة على أن الحركة إلى التكتلات الحضرية، بخاصة التيار إلى جنوب شرق إنجلترا ولندن الكبرى قد يكون آخذاً فى الهبوط، وقد تكون عكسية. وقد يرجع ذلك لحقيقة أن المغريات التى تجمع الناس إلى المراكز الكبرى آخذة فى الإختفاء بمجرد وصول كثافة السكان إلى النقطة التى يصبح عندها من الصعوبة أن تجد منزلاً لأن الأسعار والإيجارات ترتفع فلكياً، وحيث الزحام على الطرقات والقطارات التى يركب فيها بتذاكر الإشتراكات تشكل مشاكل، وحيث مساحة الحياة والإنزعاج العام ومشاكل التلوث تسبب للناس مضايقات كبيرة.

ولمقابلة هذه المشاكل والتى تولدت عن النمو فى التكتلات السكنية، والقريب من التكتلات السكنية قد رأينا النمو المخطط للمدن الجديدة. وقد بنيت لتأخذ «الفائض» من سكان مدننا الكبرى، وبعد المتناثر من السكان. وأكيداً منذ ١٩٤٥ حيث إنتهت الحرب العالمية الثانية، وجدت الحاجة إلى حراك أكثر للسكان،

وأظهر الناس ميلهم للتحرك من منطقة إلى أخرى. ولايزال الجنوب الشرقى يجذب مزيد من الناس أكثر مما تفقده نتيجة لتلك الزيادة فى الحراك.

التداعيات الإجتماعية للتحضر :

فى بيئة القرية الصغيرة، كل واحد يعرف كل الآخر - وفى كثير من الحالات قد تكون هناك قرابة بينهما. وينتج عن ذلك إحساس بالإنتماء وهو مُكون أساسى فى الحياة اليومية للناس فى البيئة الإجتماعية. ويتشابه الناس فى المكانة الإقتصادية والإجتماعية ولديهم أمور مشتركة بينهم.

الألفة - وهى الطاقة التى عند الناس لإيجاد علاقات، للتعاون مع بعضهم، والقيام بجزء من مناشط الجماعة - لا يمكن ترقيتها بوعى فى بيئة صغيرة ذات ضرب قريب. والناس ممن يعيشون ويعملون معاً ويعتمدون على بعضهم سوف يميلون لتكوين الجماعات تلقائياً، وتحدد المكانة بينهم بوضع الشخص فى العائلة التى ينتمى إليها، ممن تزوج وهكذا. وتعرف كل هذه الأشياء للجميع وتكون هناك حاجة، قليلة لإعلان ذلك - وسوف تقبل وتؤخذ بديهياً - رموز المكانة - الوسائل التى بها يسعى الفرد لبرهان مكانته للآخرين - مكانها محدود فى بيئة صغيرة، تتمتع بالصداقة الحميمة.

والموقف يختلف تماماً فى المدينة. فعدد من يعيشون فى المنطقة يجعل من المستحيل أن يتمتع الناس بنفس الشعور من الألفة التى توجد فى البيئات الإجتماعية الصغيرة، وتنوع السكان من حيث الطبقة الإجتماعية، المهنة، الدخل والإهتمامات يكون واضحاً. إذا ما نمت مدينة ببطء، وعلى مدى زمنى طويل، فهناك من المحتمل أن الناس من الأنواع المتشابهة، سوف يجتمعون فى أجزاء معينة من المدينة.، وتأخذ ملمح البيئة الريفية مثل وجود العائلات الممتدة ويتأكد وجود الجماعة.

على أية حال، فى الأجزاء القديمة من مدننا الكبرى يوجد ما يقرب من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ فرد فى الفدان يعيشون فى كثافة مع بعض. ومن أجل تحسين الأحوال فى مثل هذه المناطق وتقديم النعم المناسبة، يجب تقليل الكثافة إلى مستوى مقبول – مثلاً ١٢٠ فى الفدان. هذا يعنى أن الباقى من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ يجب تسكينهم فى مكان آخر، وكثير من المدن قد بنيت أو إمتدت لتسكين هؤلاء السكان «المبعدين».

عند بناء ولايات ذات منازل كبيرة، نجد أن تطوير المناطق المتهالكة الداخلية فى المدن الصناعية الكبرى وإيجاد مدينة جديدة يعنى أن كثير من الناس عليهم أن يتحركوا بعيداً عن منطقة منازلهم السابقة. وحقيقة نجد أن كسر الأسر والصداقة القديمة تسبب مشاكل إجتماعية خطيرة. كثير من القاطنين لمساكن جديدة يشعرون بالوحدة والعدلة – وبخاصة الأمهات ممن لديهن أطفال صغار. والمشكلة تكون أكثر حدة حيث يعيش الناس فى كتلة طويلة من الشقق.

وتميل الحياة فى المدن الكبرى وبخاصة المدن الجديدة إلى أن تصبح لا شخصية ووحدانية، ويقوم علماء علم الإجتماع وعلماء علم النفس بدراسة الآثار الناجمة عن تلك الحالة بعناية. وهم يشيرون إلى حالة القلق والإكتئاب التى غالباً ما يشعر بها سكان المدن الجديدة مثل «الأعراض الزرقاء للمدن الجديدة»، ويكون من المزعج أن نكتشف أن البيوت الجديدة التى يزمع أن تحسن حياة كثير من الناس قد جعلتهم تعساء.

الألفة الإجتماعية الرسمية سهلة المنال فى المدينة. فالمكانة تعتمد أكثر على من يعرف أكثر من يكون هو، ومع مصاحبة الجماعة الخاصة قد تعطى الفرد مكانة عالية أو منخفضة عن الآخرين. يحتاج الناس إلى فرصة إقامة الصداقات، والألفة الإجتماعية المنظمة تأخذ مكان الألفة الإجتماعية الغير رسمية فى البيئة الريفية. للأندية والجمعيات جزءاً هاماً يلعبون دوراً فى الحياة الدينية، كما تفعل

الفصول التى تقوم بها مؤسسات التعليم البعدى، حيث أنها كلها تجعل الأمر أكثر إحتمالاً للناس أن يتعرفوا على بعض ممن تتشابه إهتماماتهم.

فالناس الذين يغلب عليهم الخجل، أو لا يرغبون فى أن يلتزموا أمام منظمة ما يكون لها إجتماعات منتظمة قد يصبحوا معزولين فى بيئة حضرية. حيث لا يشعر الناس أنهم متكاملين فى بيئة، قد يبدو عليهم كثير من الأعراض المصاحبة للحاجة إلى الأعراف. فمعدلات الإنتحار والإنحراف أكثر علواً فى المناطق الحضرية عن المناطق الريفية، مثلاً، وقد تكون أكبر فى المدن الكبرى عن تلك التى فى المدن الصغرى. وطبيعى، أن تميل المشاكل فى المدن الكبرى للزيادة لأن بعض الناس ممن يمرون بصعاب قد يذهبون إلى هناك ليتخلصوا من أسرهم وأصحابهم.

الرذيلة وأشكال أخرى للجريمة تسود فى المناطق الحضرية. إذ تتيح المدن فرصاً أكبر للصوص ونشالى الدكاكين عن ما يحدث فى القرى الصغيرة، فهى ليست فقط أكثر إغراء، ولكن يوجد قدر كبير من الممتلكات التى تكون عرضة للسرقة.

قليل من الناس قد يشعرون بميل لتدمير ممتلكات شخص آخر يعرفونه، ولكن إنعدام الشخصية للمدينة تميل إلى ترقية فعل النذالة. ويشكو الصغار من الضجر وسوف يقومون بأعمال «الرفس» دون النظر لمن يتأذى أو يدمر ممتلكاتهم بنشاطهم، لأنهم لا يعرفون الضحايا شخصياً.

النزاعات العرقية وتكوين الروح الحادة، هى أيضاً من ظواهر المدن الكبرى. بنجذب المهاجرين إلى المناطق حيث يحتمل أن يجدوا عملاً متاحاً، ويميليون إلى تكوين البيئات الإجتماعية مع أناس آخرين من نوعهم. هذا يعنى أن توزيع المهاجرين ليس عادلاً فى إطار الدولة ككل.

ولأنهم غالباً من المستويات المعيشية المنخفضة عن السكان الأصليين يميل

المهاجرين الجدد إلى التجمع فى المنطقة حيث تبدو المشاكل الإجتماعية الحادة فى شكل مساكن فقيرة، إفتقار فى الخدمات الطبية، الزحام وعدم كفاية المدارس. والفيضان للمزيد من السكان إلى تلك المناطق يخدم فقط زيادة حجم المشاكل.

ويأتى المهاجرين ببعض المشاكل الخاصة بهم معهم.مثل: الإختلاف الثقافى فى الكلام، والدين، عادات التغذية، الملبس، وأنماط السلوك العام تجعلهم مقبولين عند السكان المضيفين. الرغبة فى الإحتفاظ بالثقافة، هى أسباب إختلاف المهاجرين من مختلف البلاد وسعيهم للتمسك بنوعهم عند وصولهم لبريطانيا وتكوين الحارات فى المدن التى يعيشون فيها.

المشاكل المصاحبة للتمدن السريع كثيرة، وستزداد مع زيادة السكان، الصعوبات الموضوعية للتزويد بالمساكن الكافية، والمرور على الطرق التى هى فعلاً غير مريحة، ومعالجة تلوث الهواء، والماء والتخلص من النفايات ستصبح أكبر. ومصاحب لتلك الصعوبات الموضوعية، وهى سوف تكون مشاكل إجتماعية تلك المشاكل التى نحن على وعى بها فى الوقت الحاضر.

الفصل التاسع

الإستقرار الإجتماعي والتغير

- مفهومي المركز والدور.
- التنظيمات.
- ضبط التنظيمات.
- الدين والنظام الإجتماعي.
- الوظائف الإجتماعية للدين.
- الإنحراف والجناح.
- أسباب الجريمة من منظور علم الإجتماع.

الفصل التاسع

الإستقرار الإجتماعي والتغير

تمهيد :

الحقيقة فى أن الحياة الإجتماعية موجودة فعلاً تدعو إلى التعجب أحياناً. فعلى جانب يبدو أن الناس أنانيون أساساً، وعلى وعى تام بحاجات الآخرين، وبطريقة محددة يحددون أهدافهم الخاصة. وعلى الجانب الآخر يبدو أن المجتمع ليس أكثر من مجموعة من القواعد واللوائح التى صممت من أجل الحد من حرية الفرد، والتأكد بأنه يأخذ بعين الإعتبار الناس الآخرين قبل أن يأخذ بعين الإعتبار ذاته هو، ويكبت كل دوافعه الأنانية.

ومع ذلك فالمجتمع موجود، وتبدو الأغلبية من الناس متعقلين قانعين بأن يعيشوا حياتهم اليومية فى صحبة الآخرين، وأن يتعاونوا معهم وأن يتكيفوا ويعدلوا تبعاً لذلك سلوكهم الخاص. يتكامل الناس مع المجتمع الذى ينتمون إليه، وتكون النتيجة وجود نمط من الحياة الإجتماعية تتسم بالنظام والإستقرار.

العامل الأعظم أهمية والذى يؤثر على التكامل الإجتماعى هو القدرة التى عند المجتمع من خلال مؤسساته المتعددة (الأسرة، المدرسة، الجيرة، جماعات الرفقاء، وسائل الإتصال) من أن تنشئ أفراده. فمنذ لحظة الميلاد يتعرض الفرد إلى عديد من الضغوط التى أتت لتلقى على عاتقه التوحد مع الأعراف، والمعتقدات، والإتجاهات والقيم الخاصة بالمجتمع الذى ينتمى إليه. فكل شخص نتاج ليس فقط ميراثه البيولوجى ولكن أيضاً بيئته الإجتماعية وماهيته وشخصيته كلها نتيجة العلاقة المعقدة بينها.

وعندما يولد الرضيع لا يكون لديه معرفة غريزية بما هو صح أو خطأ، لما هو خير أو شر لأن الأعراف فى المجتمع خارجية ولا معنى لها عنده. ومن خلال عملية التنشئة الإجتماعية يتوقع لتلك الأعراف أن تصير متداخلة، أى سيقبلها الفرد من ذاته. على أية حال سوف يقبل فقط تلك الأعراف إذا ما تحقق له أنها متعلقة به وذات معنى له. ولا يحتمل أن يقبلها باطمئنان إذا ما كان المجتمع نفسه والناس المتصلين به لا يبدون موافقة على الأعراف المنقولة.

يعوزنا فى الوقت الحاضر رأياً عاماً حول كثير من المعتقدات التقليدية، والإتجاهات والقيم التى تدفعنا نحو الأعراف المقبولة، لذا فمن المدهش أن المجتمع أقل تكاملاً وإستقراراً كما كان فى الماضى. كثير من الإختراعات والتكنولوجيا العلمية كان لها الأثر فى إضطراب البناء الإجتماعى التقليدى، ويواجه المجتمع بالحاجة إلى التكيف على نحو أسرع مما يحتمل مع تغييرات كبرى حدثت فى وقت قصير. وبالرغم من الكلمات الكثيرة المنطوقة والمكتوبة فى وقتنا الحالى حول مخالفة القانون والنظام والتوجه نحو الفوضى، فإن معظم الناس لا يزالوا متقبلين للمجتمع الذى يعيشون فيه، وأيضاً ميالين إلى الإمتثال إلى قواعده ولوائحه.

أولاً: مفهومي المركز والدور:

يشتمل المجتمع على أفراد عديدين، يحتلون مواقع مختلفة فيه - رجال، نساء، أطفال، مستخدمين، موظفين، محامين، أطباء، مدرسين، سائقى اوتوبيس، أصحاب متاجر، والقائمة لا نهاية لها. ويستعمل علماء علم الإجتماع مصطلح «مكانة» للإشارة إلى الموقع الذى يحتله الشخص فى إطار عمله الإجتماعى.

إذا ما أخذت بعين الإعتبار بعض الأمثلة للمكانة التى ذكرناها آنفاً فسوف نرى أنه من الممكن أن نميز بينها. بعض المكانة تحدد بيولوجياً - ذكر، أنثى، بائع، طفل. ببساطة ومن خلال التنشئة فى المجتمع سوف يحتل الفرد مواقع معينة

فيه. فالمكانة التى تحدد طبيعياً فهى لذلك لا يمكن تجنبها، ويشار إليها بأنها مكانة منسوبة.

المكانة الأخرى، كتلك المتعلقة بمهنة الشخص، لم تحدد بيولوجياً ولكن يحتلها نتيجة قدرات خاصة لدى الشخص ويحتاج لجهد خاص يقوم به. النمط الثانى للمكانة يشار إليه أنها مكانة مكتسبة.

تعتمد المكانة المكتسبة على المجتمع نفسه، حيث أنه لكى نكتسب يجب وجود فرصة للفرد، بينما يمكن لكثير من الناس أن يكتسبوا مواقع من نوع أو آخر فى الصناعة، فإن هذا لا يكون ممكناً فى المجتمعات الزراعية. على أية حال. هناك شخص واحد فقط فى وقت ما يحتل موقع رئيسى اساقفة .... الخ. الطبيبة والمميزات الخاصة لكل مجتمع سوف تحدد المكانة المكتسبة التى يمكن إحتلالها فيه.

على أية حال، لا يحتل شخص واحد مكانة واحدة فى وقت واحد. قد يكون الرجل فى وقت واحد زوج، أب، شرطى، عضو فى نادى صيد السمك بالسنارة، ومهاجم متقدم فى فريق كرة القدم، ولو أنه فى لحظة خاصة من المحتمل أن يركز على واحد فقط من الكثير من المكانة. بينما يتناول طعام الإفطار مع أسرته فسوف يكون زوج وأب أكثر من أن يكون شرطى. وطالما لا يحدث ما يوصف بالخطأ، يمكنه وبسهولة أن يساير كل المكانة التى يحتلها، ويمكنه أن يفصل واحدة من الأخرى فى مناشطه اليومية. ولكن إذا ما اضطرب أى شخص للروتين، سيجد ذلك صعباً له أن يركز على الشيء الذى بيده. مثلاً، حدث شجار مع زوجته قبل الذهاب إلى العمل قد يجعله مشغول البال مع الشئون المنزلية حيث يجب أن يتركز إنتباهه على الواجبات الشرطية.

لا توجد المكانة فى حالة إستقلالية. المكانة التى يحتلها شخص متعلق بتلك التى يحتلها آخر. مكانة الآباء تعتمد على وجود طفل، والمدرس لا يكون مدرساً

ما لم يوجد تلميذ، المستخدِم لابد وأن يكون لديه موظفين، الزوج لابد وأن يكون له زوجة. لذا نجد أن الإستقلالية من عدمه جزء أساسى للتركيبة الإجتماعية وتقدملنا عنصر الإنتظام فى المجتمع.

إذا ما علمت بمكانة شخص فسوف تتوقع منه سلوكاً بطريقة معينة. هذا لأنه يصاحب كل مكانة نمط من السلوك والذى يشير إليه علماء علم الإجتماع بالدور، مع تقدمنا فى مجتمع، نتعلم بطرق متعددة - بمشاهدة الناس، من المدرسة، من القراءة، من التليفزيون - كيف يكون سلوك الناس فى مكانة مختلفة، وفيما بعد إن وجدنا أنفسنا فى موقف خاص يكون لدينا فكرة جيدة عن كيف يكون سلوكنا إزائها.

يوجد لكل مكانة نمطاً مثالياً من السلوك، وتبعاً لما عليه السلوك الواقعى للشخص، يؤكد نمطه المثالى لذا فيعتبر «جيد» أو «سيء». غالباً ما نحكم على الناس بهذه الطريقة بكثير من الثقة. نحن نقول «إنها أم جيد»؛ «إنه مدرس سيء»؛ «إنه طبيب جيد». فنحن نعقد مقارنة بين السلوك الواقعى للشخص - بالطريقة التى يلعب أو تلعب دوره - ومع الدور المثالى المصاحب لمكانته أو مكانتها.

أحياناً يكون من الصعوبة بمكان للشخص أن يسلك بطريقة يشعر بأنها واجبة. ولربما نجد أحياناً أن أماً تشعر بالتعب والإنزعاج، وتجد نفسها بصعوبة محبوبة وملاطفة لأطفالها المزعجين والمثيرين. إذا ما كان لعب الدور يتطلب منه القيام ببعض الواجبات التى لا يستطيعون القيام بها، فنحن نشير إلى ذلك جهد - الدور. ونحن معرضون لذلك لوقت أو لآخر، ولكن ذلك عادة ظاهرة مؤقتاً، إذ يكون على الأم التى تعانى من مزيد من التعب حتى تذهب إلى نوم عميق بعد ذلك، ومهما كانت محاولة القيام بأدوارنا المتعددة، فهناك حدود نشعر عندها بالجهد، ويتوقع الناس منا الكثير.

وعلى الجانب الآخر جهد – الدور قد يخلق مشاكل صعبة من بعض الناس. إذا كان موقفها واحداً فيه يتعرض الفرد لمطالب ولا يستطيعون مقابلاتها، قد يكون لها أعراض من الإكتئاب. لربما ننزلق إلى بعض الإنصراف؛ أى قد يجدوا بعض الطرق يمكنهم رفض الأدوار المتوقع العام بها. نحن جميعاً قد ننزلق إلى مناشط هروبية فى وقت من الأوقات وقد يكون هذا أمر مقبول. التلميذ الذى يقع أسير أحلام اليقظة أثناء الحصة لا يتذوقها، ربة البيت التى تجلس لتقرأ قصة رومانسية قصيرة فى مجلة، الرجل الذى يترك الأصوات المزعجة فى مدينة كبرى ليمضى أجازته فى منطقة بعيدة فى البلد، كلها تراجع مؤقت عن الأدوار المعتادة.

عندما تفرض المناشط الهروبية، أهمية كبرى على الفرد أكبر مما يكون فى حقيقة الحياة هنا تكون المشاكل اليومية. قد يوجد بعض الناس إدعاء المرض. ليكون عذراً للإعفاء من مسؤولية، والبعض الآخر قد يشربون بكثرةوقد يصبحوا مدمنين، وآخرون يتناولون المخدرات بإنتظام وفى المدى البعيد قد يرفضون القيام بدورهم تماماً وذلك بالإنتحار.

إلى جانب جهد الدور، هناك إحتمال وجود نزاع الجهد. قد يوجد النزاع حيث يقوم الشخص بأدوار من شأنها ألا تكون منسجمة مع بعضها. إذا ما فكرنا فى النمط المثالى للسلوك الذى وصفه المجتمع، قد نجد أمثلة عديدة لمناطق فيها إذا ما لعبوا دوراً تماماً يكون ذلك إستحالة للعب دور آخر بشكل جيد. المسيحية الجيدة – الحب، العطف، التسامح، العزم دائماً للعناية بهؤلاء الأضعف منهم – يختلف كثيراً عن التجارة الجيدة الذى يجب أن يكون طموحاً، تنافسياً، وقد لا يرحم من أجل أن ينجح، ومع ذلك كثير من التجار يعتبرون أنفسهم مسيحيين.

فى كثير من حالات نزاع – الدور، سيكون فى مقدورنا أن نتعامل مع الموقف الذى نجد أنفسنا فيه، لأن نصل إلى نوع من الحل الوسط بين الأدوار.

قد لا نصل إلى المعيار المثالى، ولكن نصل إلى رضاء معقول ومتوازن، وهذا يجعل من المحتمل أن نصل إلى حالة من التوافق مع الأدوار التى نلعبها فى حياتنا اليومية.

على أية حال، قد يجد بعض الناس أن الأمر صعباً للوصول إلى هذا النوع من المساومة. الأم التى تنتمى إلى الطبقة الوسطى والعاملة التى تستغرق وقتاً كبيراً من وقتها، قد تشعر أنها فشلت فى دور أو آخر.

تُعيِّن المجتمعات تقليدياً دور الزوجة من الطبقة الوسطى وهى من له وقت فراغ مع وفرة من الوقت تعطيه لبيتها، لأسرتها وللترويح. ليس للمرأة العاملة وقتاً لتلعب الدور التقليدى، ولكنها غالباً تشعر أنها يجب أن تسلك هكذا، وقد تدفع نفسها بقوة حتى تعطى هذا الإنطباع. قد يكون لدور - النزاع نفس الآثار لنزاع الدور الجهدى على الفرد، لأن قد ينتج عنها نفس التوتر والإخفاق.

وجود المكانة والأدوار ذا أهمية كبرى لإقامة الإستقرار فى المجتمع، إذا ما عرف الشخص ما يتوقعه الناس منه، وهو أيضاً يعرف ما يتوقعه من الآخرين فى المقابل، ونمط أساسى من العلاقات التى تؤسس. وهذا من شأنه أن يؤكد السلوك الإجتماعى وإنتظامه وتنظيمه.

ثانياً: التنظيمات:

يهتم علماء علم الإجتماع بالمنظمات لأن، لمعظم الناس، يكون الجزء الأكبر من وقتهم يمضى فى نوع من المنظمات أو آخر.

ولو أن المنظمات متناهية فى العدد والتنوع فإن لكل أغراضه وأهدافه الخاصة، والأدوار المنوطة بالأعضاء بالنسبة لأى منظمة سوف تكون خاصة ومحددة جيداً. هذا يعنى أن المنظمات، إذا كان عليها أن تعمل بكفاءة، سوف تنسق جيداً، وتكون مستقرة ومبشرة.

وللعـــالم Max Weber تأثير ملحوظ على النظريات الإجتماعية المتعلقة بالمنظمات، لأنه أشار إلى المراتب الكبرى طبقاً لتصنيفها. وسمى تلك المراتب؛ كرامة، التزامى، بيروقراطية ومهنية، وقام بتحليل المميزات الخاصة للمنظمات فى كل مرتبة. ومراتبه نظرية أو ذات نمط مثالى، والمنظمات حقيقة لا يحتمل أن تأخذ الشكل لأى من النماذج النظرية. لذا فهى تصنف تبعاً للمدى الذى تشبه فيه النموذج.

١- تنظيمات ملهمة:

القائد الملهم هو شخص قادر على التأثير ويحث الآخرين على أن يفعلوا ما يريد بالقوة الواضحة الشخصية. وسلطته تعتمد كلية على موهبته وقدرته على أن يقنع الآخرين بعبقريته الخاصة. مصطلح الكرامة، مصاحبة أصلاً لقادة الدين الذين يدعوا أن إلهامهم أتى من الله، وأنهم قد «دُعوا» بواسطته للقيام بمهامهم. ويعتبر موسى والمسيح أمثلة لمثل هؤلاء القادة.

على أية حال، قد إمتد المصطلح الآن ليشمل كل القادة ممن يفاخرون بسلطة الهام، ويقدم لنا التاريخ أمثلة عديدة لمثل هؤلاء الناس. ليس من الضرورى أن يكون قادة الكرامة إنسانيين؛ البعض قد يكون عنيفاً، جباراً ظالماً؛ ومع ذلك يستطيعوا أن يقنعوا الآخرين على اتباعهم قيادتهم وأن يستغرقوا باعثهم.

التنظيم الملهم منظمة تعتمد فى وجودها على شخصية قائدها. أعضاء مثل هذه المنظمة هم جماعة من الحواريين يثيرهم شخص واحد. فى معظم الحالات فى مثل هذه المنظمة لا يكون للأعضاء دوراً خاصاً يقومون به، ولكنهم عازمون أن يفعلوا ما يريد قادتهم، ولذلك فهم صراع إرادتهم.

وما تحتاجه المنظمة من أموال لكى تنجز أغراضها تؤدى عادة بطريقة غير رسمية. وما يحصل منها يعتمد على قدرة أعضائها، وبخاصة القائد، على إقناع

الآخرين بالإسهام لأداء الفرض. وقد يُضحى كثير من منظمة الكرامة من أجل دعمها. ودخل مثل هذه المنظمات لذلك تكون غالباً غير منتظمة.

حيث أن التنظيم الملهم يوجد فقط من أجل إثارة من القائد، إذا مات القائد أو ترك المنظمة من المحتمل أن يحل محله واحد من الحاشية أو الحواريين.

أمثلة من النمط الكرامى للمنظمة قد يوجد فى كثير من مناطق الحياة. قد يسعى واحد أن يدخل ايديولوجية جديدة أو يقود ثورة سوف يجمع حاشية من الأتباع ويكونوا منظمة للتقدم بهذه الأهداف. أحياناً، عالم كبير سوف يستطيع أن يحث الآخرين على العمل معه فى مهمة خاصة. وطبعاً كثير من عصابات الإجرام تكون من هذا النوع.

٢- تنظيم اقطاعي:

مصطلح تقليدى أحياناً يستعمل بدلاً من التزامى ليصف النمط الثانى من المنظمة. فى إطار مثل هذه المنظمة يكون للموظف منطقته، وهذه المنطقة يديره بنفسه لصالحه. وله الحق التقليدى للقيام به، هذه الحقوق تعطى بمعرفة السلطة التى إشتقت منها أصلاً وبمعرفة من يحميهم. وفى مقابلة الحماية لحقوق منطقته، يقوم الموظف ببعض الخدمات لهذه السلطة.

بينما من السهل أن نفهم لماذا إستعمل Weber كلمة «التزام» لوصف مثل هذه المنظمة، ولربما يكون أقل سهولة تحديد منظمة من هذا النمط فى موقع حديث. على أية حال، إذا ما أخذنا بعين الإعتبار منح إمتياز لصاحب مصنع إلى عامل فى منطقة معينة يشبه منح حقوق إقليمية فنحن نكون فى جانب الصواب.

يعمل منتجى السيارات، وصانعو البيرة وشركات الزيوت بهذه الطريقة. فهم يمنحون مالكى الجراجات، والبيوت العامة، ومحطات تمويل البنزين كل الحق فى بيع منتجاتهم فى منطقة معينة، والتى تقلل من المنافسة؛ ويعاونوهم بالإعلان

والأنماط المتنوعة لترقية البيع، وفى المقابل على العمال ممن منحو الإمتياز أن يقدموا عدداً من الخدمات للمنتج، وأن الترتيبات هى فى صالحهما. تعتبر منظمة التليفزيون التجارى من نمط الإلتزام؛ فالبرامج الخمسة عشر الأصلية للشركات، والتى هى هيئات منفصلة، تشتق حقوقها بأن تعمل مع السلطات الإذاعية المستقلة.

٣- التنظيم البيروقراطي:

عندما وصف Weber المنظمات على أنها بيرقراطية، كان يشير لتلك المنظمات التى تنفذ سياسة قيادة عليا ولديها الدعم القانونى الذى يساعدها على أداء ذلك. وتعتبر الخدمة المدنية أحسن مثال للخط البيروقراطى من المنظمات، ولو أن كل النقابات العامة، والإهتمامات القومية، والمتنفذون على نطاق واسع يميلون نحو البيروقراطية أيضاً.

وكل الموظفين فى إطار هذا النمط معينون للقيام بعمليات معينة والتى قد حددت بوضوح ويتقاضون رواتب لهذا العمل. وغالباً ما يكون للموظفين مهنة فى مثل هذه المنظمة، ويتمتعون بالترفيه فى سلم الترقى حتى يكتسبون الخبرة ويظهرون الكفاءة.

اعتقد Weber أن الإدارة البيروقراطية مع تركيبها الرسمى والنظام الصارم تكون قادرة على إنجاز الكفاءة الكبرى المحتملة. وهذا لأنها موضوعية تماماً وغير شخصية و «سيادة الأعراف وهى تنجز الواجبات دون مراعاة إلى الإعتبارات الشخصية».

دلت الدراسات التى أجريت على منظمات خاصة والتى تصور مميزات الإدارة البيروقراطية (منذ وضع Weber نظريته) على أنها ليست على كفاءة ممتازة،لكونها شخصية فإنها فشلت أن تأخذ فى حسبانها الحاجات الإنسانية

للموظفين فيها، وغالباً أيضاً حاجات المزمع خدمتهم، والإتجاه المتزايد نحو البيروقراطية فى المنظمات الكبرى الحديثة لا مناص منها، ولكن هذا الإتجاه مسؤول عن كثير من المشاكل الخاصة بالعلاقات الإنسانية فى وقتنا هذا.

٤- التنظيم المهني:

فى المنظمة المهنية يوجد عدد من ذو التخصص العالى والمتدربين كل مسؤول عن منطقة خاصة من العمل. وقبل تعيينهم على كل عضو أن يظهر كفاءته على القيام بتلك المسؤوليات، وطبيعياً سوف يؤدى هذا العمل بعد تمضية دراسة متخصصة من التدريب عند نهاية كل منها يمتحن ويحصل على درجة مناسبة، وشهادة أو دبلوم.

بمجرد أن يُعين الشخص يتمتع بقدر كبير من الفردية فى تخطيط المناشط فى المنطقة المسؤول عنها ويسعى إلى تنفيذها. ذلك لأن رئيس المنظمة ليس فى موقف يستطيع معه توجيه العمل لكل التخصصات.

تمثل الجامعات، المدارس، والكليات منظمة مهنية. ولكن إلى جانب المؤسسات الأكاديمية والتعليمية، المستشفيات وغيرها من المؤسسات الطبية والخدمات الإجتماعية هى أيضاً من هذا النمط.

أحياناً نجد فى مشروع كبير نوعين من المنظمات، لأن حجمها يتطلب قدراً كبيراً من الإدارة، ولو أن هدفها العام من النوع العملى. وفى هذه الحالة قد تكون الوظائف الإدارية منفصلة عن الوظائف العملية – لذا تأتى الإدارة لتقود إلى نمط بيروقراطى، والعمل المحلى ينظم من خلال خطوط مهنية. فى هذه الحالة، يكون رئيس المؤسسة مسؤول عن التنسيق بين النظامين.

ثالثاً: ضبط التنظيمات:

تشتمل كل التفاعلات الإجتماعية على عنصر من الضبط – تكيف سلوك

الشخص كرد فعل لسلوك الآخرين. لا يمكن للمجتمع أن يعمل إذا ما أصر كل فرد على القيام بما يرغبه، أينما رغب ومتى رغب، أى بمعنى آخر من الضرورى وجود قدر من الإنتظام فى كل المجموعات والمنظمات.

يتراوح هذا النظام ما بين الغير رسمى، والتقبل التطوعى للأعراف فى الجماعة الأولية إلى القواعد واللوائح القانونية والتى بها يحتفظ النظام داخل الجماعة الثانوية الكبرى والمجتمع ككل.

توقع العقوبات على الأفراد اللذين يرفضون التوافق، وهؤلاء أيضاً يتراوحون من الضغوط التى يتحملها الفرد فى داخل جماعة غير رسمية إلى مختلف العقوبات التى يفرضها المجتمع على من يخالف القوانين الشرعية.

ما لم يثبت أعضاء وحدة المجتمع على أعرافه، ستدمر الوحدة، لذا فلدى الجماعة إهتمام خاص بتأكيد أن الأعراف مصانة، إذا لم يثبت على الأعراف الخاصة بالجماعة التى ينتمى إليها، فسوف يجد الأقل الذى يمكن أن تتحمله الأعضاء الآخرين، وقد يصل إلى أن يطرده المجتمع. إذا ما رغب فى البقاء مع الجماعة، فمن الضرورى أن يقبل أعرافهم أو كلهم.

فى إطار المنظمات التى توجد لفرض خاص، على أية حال، يكون من أهم الأمور هو الحاجة إلى الضبط على أعضائه. دون النظام، سوف تقل الكفاءة وقد تفشل المنظمة تماماً فى إنجاز أهدافها. على أية حال، كما تختلف المنظمات واحدة عن الأخرى، هكذا تختلف الطرق التى تسعى إلى الضبط بين أعضائها.

قام عالم الإجتماع Amitai Etzioni بدراسة الضبط المنظم ودل كيف أن الطرق المختلفة للضبط قد تصنف إلى ثلاث مراتب، عضوى، مادى، رمزى.

١- الضبط العضوي:

يوصف أى شكل للضبط الذى يؤثر فعلاً على الفرد جسدياً، أو يهدد بأن

يفعل ذلك يسمى الضبط العضوى. إغلاق زنزانة على فرد، ووضعه فى معسكر إعتقال، إستعمال البندقية، كرباج أو خرزانة كلها أمثلة للضبط العضوى. عندما تمارس المنظمة ضبطاً بوسيلة عضوية سيكون لها قوة إلزامية على أعضائها.

٢- الضبط المادي:

الأشياء المادية تأخذ شكل منافع أو خدمات أو نقود نحصل عليها، ومن الممكن ممارسة الضبط على الناس وذلك بإعطاء أو الإمتناع عن إعطاء هذه الأشياء. الخصم من المرتب للتأخير فى الحضور للعمل، توقيع الغرامات أو إقطتاع منافع مادية من نوع أو آخر هى أمثلة للضبط المادى، والمنظمة التى تستعمل تلك الطرق لضبط أعضائها تكون ذات قوة نفعية عليهم.

٣- الضبط الرمزي:

هناك طرق عديدة بها نبدى مواقفتنا أو إعتراضنا على سلوك شخصى، والتى لا هى بدنية ولا مادية. هذا يعنى الإفادة من حقيقة أن المقام والوقار ذات أهمية للفرد كحاجته للعطف والإعتبار.

الإحتضان، الربت على الظهر أو يضع كلمات للتهنأة كلها رموز للعطف والإتفاق. البدجات والإشارات الأخرى للرتبة والألقاب الخاصة لها أهميتها فى كثير من المنظمات، وبخاصة تلك الرسمية وذات تركيبة واضحة مثل القوات المسلحة، قوات الشرطة وبعض المدارس. عند إستعمال وسيلة الرموز لممارسة الضبط فى جماعة أو منظمة، تكون القوة التى تعطيها تشير إلى معيارية أو قوة إجتماعية.

معظم المنظمات تستعمل أكثر من نمط للقوة، وتبعاً لذلك تكون الطرق الخاصة بالضبط متعددة، وسوف نحصل على ردود أفعال مختلفة من الأعضاء إزاء هذه الطرق.

يخلق إستعمال الضبط العسكري شعوراً بالعداء في الشخص. إن التلميذ الذى لقوه قد ضربه ناظر المدرسةبالخيرزانة سوف لا يشعر معه بالإحترام، السجين المحبوس في زنزانته لا يجعله محباً للسجان، والجنود في القوات المسلحة حيث يكونوا في حذر شديد من الجواسيس والرصاص ويقوم بعمل تخريبي.

الناس أقل عداءً نحو من يمارسون قوة القهر عليهم، ولو أنه لا يزال هناك تقسيم خاص بين الناس ممن يحتلون القوة والناس المُعرضين لها. ودائماً يوجد كمية خاصة من التوتر بين المستخدمين والموظفين، لأن حيوية الأخير تعتمد كثيراً على قدرته وعزمه على إسعاد الأول.

يوجد الإحساس الأكبر من الإلتزام ودرجة التكامل بين الناس المشتركين في منظمة حيث تكون الوسيلة التي يستعملها الرئيس مشتقة من إستعمال القوة المعيارية أو الإجتماعية. يميل الضبط الرمزى إلى إقناع الناس أنهم مهمين كأفراد، وينتج درجة كبيرة من التعاون والإنتظام.

كما أشار Etzioni، أن المنظمات تستعمل وسائل مختلفة من الضبط على مختلف الرتب في سلمها الرئاسي. قال أن من الممكن للمنظمات أن تصنف تبعاً لنمطها في الضبط الذى يمارسه على الرتبة السفلى، ولو أنه ليس لكل المنظمات أنماط سائدة للضبط حتى على المستوى الأدنى.

رابعاً: الدين والنظام الإجتماعي:

كان هناك زمان كان الدين في قلب النظام الإجتماعي. يحكم الملك الناس بالحق المقدس ويزمع أن كل سلطته من الإله، وتسود الكنيسة كل مناشط المجتمع. وحيث أن الغالبية العظمى من الناس أميون وخرافيون وغير قادرين على أن يجدوا تفسيراً لكثير من الظواهر التي تقابلهم في حياتهم اليومية، فإنهم فعلاً قبلوا الإله كأمر مقبول.

لذا كان سهلاً أن فى السلطة أن تضبط الناس المساعدين لهم. إنهم يزمعون بأن الناس لم يفعلوا كما طلب منهم، لذا فهم يعاقبون ليس فقط على الأرض، ولكن يعانون بعد الموت. كثير من النقوش المبكرة صورت العذاب الأليم والتى اعتقد أنها فى إنتظار الكافر فى الجحيم. وللعقائد الدينية جزءاً هاماً فى صيانة النظام اليومى.

لقد زادت المعرفة العلمية، على أية حال، تحرك الدين تدريجياً بعيداً من مكانه الأصلى فى مركز الشئون الإجتماعية، ولكن، بالرغم من هذا، لا يزال فى غاية الأهمية. حتى الناس الذين يزعمون بأن ليس لديهم أى معتقدات دينية أياً كان يبدو أنهم يجدون فى موضوع الدين موضوعاً ممتعاً للنقاش.

يستعمل مصطلح دنيوى للإشارة إلى العملية التى بها التفكير الدينى، المؤسسات الدينية والممارسات الدينية تفقد تميزها فى إطار النظام الإجتماعى، هناك شاهد يدل على أنه كان يتحرك بعيداً عن الدين المنظم فى مجتمعنا أثناء القرن العشرين، ولو أنه من المستحيل أن نؤكد إلى أى حد ينعكس هذا على إنحدار المعتقدات الدينية. فى الماضى كثير من الناس قد ذهبوا من خلال العواطف للسلوك الدينى، لأنه كان من المتوقع منهم. فى الجانب الآخر، من قام بدور فى المناشط الدينية اليوم – تقدر من ١٠ إلى ١٢ فى المائة من السكان مسيحيين.

خامساً: الوظائف الإجتماعية للدين :

١- التكامل الإجتماعي :

قد يوصف الدين كإنعكاس لمحاولات الإنسان لتفسير تلك النواحى لبيئته التى لا يستطيع فهمها ماعدا فى مصطلح خارق الطبيعة – ما هو الغرض من الحياة؟ ماذا يحدث للناس عندما يموتون؟.

فى مجتمعنا المؤسس على أخلاقيات المسيحية، تأسست المعتقدات الدينية

لكثير من الناس على فكرة أن الإله هو القوة الخارقة المسؤول عن إيجاد الحياة. مثل هذه المعتقدات الدينية قد يكون مثيراً لبعض أنواع السلوك، وكرمز من الأخلاق نابع من المعتقدات الدينية الراسخة تتألف الطريقة الكلية للحياة.

يتمسك كثير من الناس الذين يشاركون فى نفس المعتقدات الدينية بإتجاهات وأفكار مشابهة، وسوف يسلكون بطريقة مشابهة، وهذا يعنى أن المساهمة النشطة فى الدين يمكن أن تكون عاملاً هاماً فى تجميع الناس مع بعضهم وإيجاد إحساس بالوحدة والتكامل. فى مجتمع حيث تكون أغلبية أعضائه يتقاسمون نفس المعتقدات الدينية، نجد أن درجة التكامل الإجتماعى سوف تكون مرتفعة.

على أية حال، علينا أن نتذكر، أن وجود معتقدات دينية مختلفة فى مجتمع واحد يمكن أن تكون عامل إنقسام. وعلى نطاق واسع، نجد كثير من الحروب الكبرى فى العالم قد قامت باسم دين بين متشيعين إلى معتقدات مختلفة. وحتى فى المسيحية نفسها، يوجد معتقدات وأفكار مختلفة حول موضوعات إجتماعية هامة مثل الطلاق، تنظيم النسل، والإجهاض. يوجد مع الأسف نزاعات ملحوظة بين مختلف الطوائف، والحركات المتعقلة نحو وحدة المسيحية - بطيئة.

٢- بلوغ أنماط السلوك:

تُعد الروح المعنوية الدينية رمزاً لأنماط مثالية للسلوك. ويعارض الناس غير المنتمين ليس فقط جيرانهم ولكن الإله أيضاً، والخوف من العقوبة المقدسة قد تبرهن على أنها عقوبة مؤثرة على المؤمنين.

حيث أنه من الصعب أن نقدر قوة المعتقد الدينى فى المجتمع، فهو من الصعب أيضاً أن نقدر مدى تأثر السلوك بالدين. وبينما يوجد بعض الشواهد أن الكاثوليك أقل سعياً نحو الطلاق وأكثر تشوقاً لتكوين أسراً أكبر عن الكاثوليك،

لا يبدو أن سلوك الناس يختلف إختلافاً من هؤلاء غير المتمسكين بالمعتقدات الدينية، ولو أن كثير من أعرافنا الإجتماعية مشتقة من المُثل المسيحية.

٣- ضبط الجهد العاطفي :

دلت الدراسات التى قام بها علماء الإجتماع على الجماعات الدينية المختلفة أن هناك علاقة حميمة بين التعاليم، والفقه لمختلف الطوائف والأحوال الإجتماعية لأتباعهم. مثلاً، نجد أن الناس المرفهين والقانعين فى هذه الحياة أقل إهتماماً بممارساتهم الدينية للحياة بعد الموت، وعلى الجانب الآخر نجد الناس المُستَغَلين، الفقراء والتعساء قد يعملون على تأكيد على التعويضات التى يأملونها بعد موتهم. ويجدون الجنة المكان الذى انتظروه وهم على الأرض سوف تكون متاحة لهم.

تمتلىء الكنائس فى أوقات الأزمات، مثل الحرب بالناس ممن لا يعملون شيئاً لإكتساب النصر، ولكن ممن يشعرون أنهم يسهمون إذا أقاموا الصلاة للإله ليساعدهم فى كفاحهم.

متوسط التجمع فى الكنيسة فى يوم الأحد فى بريطانيا من المحتمل أن يشمل عدداً كبيراً نسبياً من الكبار والأرامل. وهذا يعكس العوز إلى دعوى إلى دين منظم بين الشباب فى مجتمعنا اليوم، وهو يشير إلى المدى الذى وصله الكبار وهؤلاء الساعين إلى السلوى من دينهم. يمكن للدين أن يمدنا بقدر كبير من الراحة للناس المنعزلين عن غيرهم فى حياتهم اليومية.

بطرق مختلفة يمدنا الدين بمخرج للعواطف. ففى فرصة نأخذها فى الطقوس الدينية تمدنا بالراحة من التوتر والإكتئاب.

سادساً: الإنحراف والجناح :

يوجد فى كل مجتمع عدد من الناس يرفضون التوافق مع أعراقه أو تقبل تقاليده. يشار إلى هؤلاء كمنحرفين. ويجب أن يكون واضحاً أن ليس كل منحرف بالضرورة يكون مقبول. إذا ما كان كل عضو جديد فى المجتمع عليه أن يقبل دون سؤال أعرافه الموجودة وظروف المجتمع سيكون ساكت تماماً. فلا تحدث تعبيرات ولا يحدث تقدم.

هؤلاء الناس ممن يناقشون النظام ويسعون إلى عمل إبداعات أو إصلاح إلى حد ما يعتبرون منحرفين. يمكن إعتبار بعض الشخصيات الكبرى التاريخية فى مجتمع كمنحرفين، ولكنهم كانوا بالتأكيد غير مقبولين، ولو أن مريديهم اعتبروهم ذراع الحركة أو محور الإرتكاز.

إذا ما أراد الناس أن يحدثوا تغيرات، أو يدخلون أفكاراً جديدة أو إصلاح أجزاء من النظام القائم، فلا تكون أهدافهم ضارة للمجتمع ككل، وإذا ما سعوا إلى إنجازها بطريقة مقبولة، فسوف لا يعاملون على إعتبارهم جانحين. الجانحون هم منحرفون وسلوكهم غير مقبول إجتماعياً.

يستعمل مصطلح «الجنوح» للإشارة إلى كل أنماط السلوك والتى تخالف الأعراف والقواعد الخاصة بالمجتمع، وتشمل كل المناشط غير الإجتماعية والتى يقوم بها الجانحون من الكبار.

١- قياس الجناح :

علماء الإجتماع معنيون بكل نواحى السلوك الغير إجتماعى والمدى الذى هى عليه فى المجتمع. على أية حال هناك مشكلة واحدة تواجههم، وهى الحقيقة من أنهم يعتمدون على الإحصاءات عن دراساتهم، والإحصاءات فى هذا الموقف ليست سليمة تماماً.

تُنشر الإحصاءات المتعلقة بالجريمة سنوياً،وتصنف تحت عنوانين رئيسيين «الجرائم المعروفة للشرطة» و «أشخاص يتعاملون مع». عندما تعتبر الجرائم تحت العنوان الأول، يجب أن نتذكر أنه ليس كل الجرائم ترتكب تعرفها الشرطة، لذا فإن الإحصاءات لا تقدر «أشخاص يتعاملون مع» هي أيضاً تقديرات لا يعتمد عليها فى تقدير الإنحراف فى المجتمع. إحصاءات الجريمة (أنظر جدول ٧) مفيدة فى الإشارة إلى الإتجاه فى المجتمع.

جدول (٧): أشخاص وجدوا مذنبين في جنح قابلة للطعن في إنجلترا وويلز: تحليل نمط الجانحين (ألف ١,٠٠٠)

	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦
العنف ضد شخص					
قتل	١	١	١	١	١
قتل خطأ	٢	٢	٣	٣	٣
جرح	٢٦,٧	٣١٢	٣١٤	٣١٥	٣٦٥
أخرى	١,٣	١٥	١٤	١٤	١٥
جنحة جنسية	٦٤	٧١	٧٢	٦٨	٦٦
السطو	٦,٩	٥٤٤	٦٤١	٦٩٣	٦٧,٨
السرقة	٣٤	٣٢	٢٨	٣٥	٣٦
لصوصية بيع بضائع مسروقة	١٨٩	١٨٠٩	٢٠٤٠	٢١٨٧	٢٢٥٩
غش وتزييف	١٧٥	١٦١	١٧٧	١٩٦	٢٤٤
تدمير إجرامى	٢٦٨	٣٣٢	٣٦٢	٣٨٥	٤٠٨
أخرى قابلة للطعن	٧٧	٩٥	٩٧	٩٨	١١٠

المصدر: الإحصاء السنوى للسنوات ١٩٧٧.

وقدم المكتب أيضاً تحليل عن الجريمة التى تدل على العلاقات بين الجرائم، السن، والجنس وهى مفيدة لأنها تعطى مؤشرات عن طبيعة الجنوح فى المجتمع.

ونظرة على جدول (٨) كافية لتدل أنه بينما كان هناك زيادة فى عدد الجرائم المرتكبة عبر السنوات، الذكور أكبر.

جدول (٨): أشخاص وجدوا مذنبون عن جنح تستحق الدفاع في إنجلترا وويلز والتحليل إلى الجنس والعمر (بالألف ١,٠٠٠)

	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦
ذكــــور					
كل الأعمار	٢٩٣٠٤	٢٩٢٠٣	٣٢١٠٦	٣٤٢٩١	٣٥٠٠٢
تحت ١٤ سنة	١٩٠٣	١٩٠٣	٢٣٠	٢١,٤	٢٠٠١
من ١٤ إلى تحت ١٧ سنة	٤٩٠٨	٥٢٠١	٦٠٠٩	٦٠٢	٦٠٧
١٧ تحت ٢١ سنة	٧٥٠	٧٥٩	٨٢٤	٩٠٦	٩١٦
٢١ فما فوق	١٤٩٣	١٤٤٥	١٥٥٣	١٦٩٩	١٧٧٨
إنــــاث					
كل الأعمار	٤٦٦	٤٥٢	٥٣٤	٦٠٤	٦٥,٢
تحت ١٤ سنة	١٠٩	١,٩	٢٤	٢٤	٢٤
من ١٤ إلى تحت ١٧ سنة	٥٠	٥٣	٦٧	٧٢	٧٤
١٧ تحت ٢١ سنة	٨٤	٨٤	٩٩	١١٢	١١٦
٢١ فما فوق	٣١٣	٢٩٦	٣٤٤	٣٩٦	١٣٨

المصدر: الإحصاء السنوى.

الذكور أكثر من الإناث، وأكبر عدد من الجانحين يوجد بين الرجال من ١٧ - ٢١ سنة.

سابعاً: أسباب الجريمة من منظور علم الإجتماع:

علماء الإجتماع مهتمون بخاصةبإكتشاف عما إذا كان هناك عوامل أخرى في المجتمع نفسه والذى قد يكون مسؤولاً عن الحاجة إلى تكامل ولربما زيادة الجنوح.

١- التنشئة الخاطئة أو غير الكاملة:

غالباً ما يكون الإنحراف نتيجة للتنشئة الخاطئة أو غير كاملة. لذا إذا ما وجدنا فرداً لم يحصل على الفرصة أثناء طفولته، وهى سنوات التشكيل ولم يكتسب الأعراف الخاصة بالمجتمع، قد يكبر ليكون غير متوافق ويسلك بطريقة غير إجتماعية. هذا سبب واحد وعلى الأسرة جزء آخر يجب أن تلعبه.

إن الطفل الذى يرجع إلى أسرة ليس لها أصل - إما لأنه جاء من أسرة منحلة أو لأن الأسرة ذاتها جانحة - قد يفشل فى أن يكتسب الأعراف السائدة فى المجتمع والمرغوبة فى المجتمع.

نجد أيضاً أن جماعة الرفقاء لها تأثير هام فى التنشئة. حيث أن هذه هى الجماعة التى فيها سيثبت شخصيته والتى يرغب أن تكون فيها إثبات لشخصيته، يتبع ذلك أنه سوف يتبنى الأعراف الخاصة بجماعة رفقائه. إذا كان متحمساً للإلتحاق بجماعة، سوف يتعمد محاكاةسلوك أعضائها حتى يكتسب الإعتراف به. يبدأ كثير من الأولاد التدخين أثناء وجودهم فى المدرسة، لأنهم يريدون أن يبدوا كباراً. فهم يرون من يكبرهم من الأولاد فيعجبون بهم، ويشعرون بأن الجماعة ستعاملهم بطريقة أفضل ويشركوهم فى أنشطتهم. ففى عصابة الجانحين تكتسب المكانة بأن يكون أكبر وأكثر خبثاً.

لذا فإنه يرى أن الجنوح يكون نتيجة لمحاكاة السلوك فى جماعة الرفقاء. ويتعلم أدوار الإنحراف بنفس الطريقة كأى أدوار أخرى فى الحياة.

٢- الفرص المغايرة :

قام عالم الإجتماع روبرت ميرتون R. K. Merton، بوضع نظرية عن الجريمة التى تقول أن توزيع الجريمة فى المجتمع تعكس عدد الفرص التى تعرض للفرد لإنجاز أهداف مقبولة إجتماعياً.

يتذكر أعضاء المجتمع بطرق مختلفة وباستمرار عن الأشياء المختلفة التى تعتبر مرغوب فيها. تلك الأشياء إما أن تكون منافع مادية أو نوعية الشخصية. مثلاً، فى مجتمعنا فى الوقت الحاضر هناك أهمية كبرى تتعلق بإمتلاك مثل كل الأشياء كالسيارة، جهاز تليفزيون، أثاث وثير ومعدات منزلية، جهاز تسجيل، راديو ترانسستر وهكذا. وحقيقة قامت صناعة كبرى بمفردها بالدعاية لإقناع الناس بالرغبة فى الحصول على تلك الأشياء.

على الجانب الآخر، يضع المجتمع أهمية لقيمة الأنواع الخاصةبالشخصية مثل الطموح، النجاح، التعليم والقدرة على عمل أنماط معينة من العمل. مرة أخرى هناك العديد من الطرق التى يعبر المجتمع بها عن رضاه والمكانة والمدح واعتبارهم مثلاً يحتذى به.

يقول Merton أن الناس ممن يكونوا فى حالة إكتئاب دائماً فى محاولاتهم لبلوغ هذه الأهداف قانونياً قد يلجأون إلى طرق غير قانونية مثل السرقة، الغش، وأشكالاً مختلفة من التدليس والعنف.

إن الفجوة بين الأهداف والفرص لإنجازها يمكن أن يتجاوزها بمعرفة الطبقة العاملة فى المناطق الصناعية. لذا فإن نظرية Merton تساعدنا على فهم وتفسير الحقيقة التى مؤداها أن معدل الجنوح تكون أعلى حيث تكون كثافة السكان فى المناطق الحضرية.

على أية حال، لا يمكن تفسير الجنوح فى ضوء العوامل الإجتماعية فقط.

فتكامل الشواهد التى تقول أن بعض الجرائم الخاصة قد تكون عضوية أو دستورية شاذة والتى تدعو الناس لممارسة سلوك غير إجتماعى.

تدل الدراسات التى قام بها R. Sersions Hodg, W. Wrey Walter على الأولاد الملتحقين بمدرسة معترف بها (١٩٥٠)، تدل على أن ٨٤٪ من الأولاد أظهروا بعض الشذوذ عندما قيس نشاطهم العقلى بواسطة Electro - encepha-loppr بمعرفة Kill, Stefford - Clar & Taylor فى وقت متزامن دلت أن أغلبية القتلة ممن ارتكبوا قتلاً، وحشياً، جنسياً، وسادياً أو غيرها من القتل «الشاذ» يبدون نشاطاً غير عادى للمخ.

وهناك أعمال أخرى أجريت لإكتشاف عما إذا كان بعض أنماط الجنوح قد تكون نتيجة للشذوذ فى التركيبة الجينية عند بعض الجانحين. يوجد فى كل خلية إنسانية زوج من الكروموسومات التى تحدد الجنس للفرد - كرموسوم X مسؤول عن الإنوثة وكروموسومY للذكورة. الأنثى العادية عندها كروموسمين والذكر العادى X واحد و X واحد. دلت الدراسات الحديثة أن هناك عدد مميز من الذكور الجانحين ممن لديهم تاريخ طويل من سلوك الجانحين وأمضوا معظم حياتهم فى مؤسسات عقابية لديهم نمط خاطئ من الكروموسومات XYY، XXYY أو مزيج من XY مع XXYY. الرجال ممن لديهم شذوذ عادة أكثر طولاً وغليظ، وأغبياء عند إرتكاب الجرائم، لذا يقبض عليهم ويرسلوا إلى السجون مرات متكررة.

إذن جحود الجنوح ظاهرة معقدة، ولا يوجد تفسير واحد لها. فهؤلاء المتعاملين مع مشاكل الجريمة والسلوك الغير إجتماعى يجب أن يعوا كل العوامل التى قد تشترك - نفسياً، دستورياً وإجتماعياً.

الفصل العاشر

الإتصـــالات

- الصحـافـة.
- الإذاعة بالراديو والتليفزيون.

الفصل العاشر

الإتصـــــالات

تمهيد :

الثورات السياسية، الثورات الصناعية، الثورات التكنولوجية، تلك هى الأشياء التى تسبب الإضطرابات عندما تحدث، ولا أحد يقع فى واحدة أو أخرى منها يمكن أن ينكر التغيرات التى تأتى بها. فلقد تغيرت حياة الناس تغيراً شاملاً بالأحداث التى حدثت فى روسيا بعد ثورة ١٩١٧؛ تغير وجه بريطانيا تغيراً بعيداً عن التصور أثناء النصف الثانى من القرن التاسع عشر، حيث نزح آلاف الناس من الريف إلى المدن التى قامت حول المصانع الجديدة، وامتدت الطرق الحديدية فوق المناظر الخلوية؛ ولربما الكثير من الشباب لا يزال يتذكر الوقت حين طرقنا هادئة نسبياً، ولا تشاهد نهايات الإسبوع وعطلات البنوك إختناقات المرور على الطرقات المؤدية إلى الشاطئ أو المواقع الجميلة فى الريف.

على أية حال، هناك نمط آخر من الثورة وقعت والتى هى لربما أقل ظهوراً مباشرة، ولو أنها ذات آثار بعيدة. تلك هى الثورة فى الوسائل العديدة للإتصال، والتى أتت بها الإختراعات التكنولوجية. ولأن هذه الثورة قد حدثت بطريقة أكثر مَكْراً عن غيرها من التغيرات الكبرى، فلربما كنا أقل وعياً بتأثيرها علينا. ولذا نحن أكثر عرضة لتأثيرها.

الأشكال الأساسية للإتصال هى الصحافة، والإذاعة وحيث أن هناك إختلاف بينها فمن الضرورى أن نتناولها على أنها منفصلة.

أولاً: الصحافة:

لقد استغرق وقتاً أقل من مائة عام لا يجد علاقة بين البريطانيون وصحافتهم لتصبح مثل العلاقة بين قديد الخنزير والبيض أو السمك والبطاطس المقلى. لا تستطيع فصل واحدة عن الأخرى، ومن الأحوال النادرة أن تفشل الجرائد فى الظهور فى الصباح، حيث يشعر الناس بافتقادها طول النهار. فلربما كان لسُنّة الصحافة نشاط أكثر إنتظاماً عن غيرها، فلقد كان للناس فى بريطانيا حتى منتصف السبعينيات أكثر الناس وعياً بالصحافة فى العالم. على أية حال، لقد هبط القراء حديثاً بعض الشيء، ويقود اليابانيون الآن الميدان فى أعداد التوزيع بهامش ملحوظ.

والسبب الرئيسى لإقبال البريطانيون على قراءة عدد من الصحف هو لأنها نسبياً رخيصة، وتباع الصحف اليومية للعامة بسعر منخفض لأن المبيعات ليست هى المصدر الوحيد للعائد منها على الناشر. مع قليل من الإستثناءات، فإن العائد من الإعلان يفوق العائد من البيع، ولا يمكن لصحافتنا أن تعيش ما لم تبيع مساحات للمعلنين.

١- تأثير الصحافة:

الصحف نوعان، والتى يشير إليها عامة النوعية والشعبية. ولا يهتم رؤساء التحرير فقط بنشر الأخبار والإعلانات، لكن أيضاً يقدمون قدراً من التعليم والترويح لقرائها. وتصنيف الصحف كنوعية أو شعبية تبعاً لنبة المساحة المتاحة للنواحى المختلفة.

بعض الصحف تكون أكثر معلوماتية وتقدم قدراً كبيراً من المواد والمقالات المطولة لقرائها على الشئون الإجتماعية والإقتصادية والسياسية. والأخرى مصممة بحيث نقرأ فى وقت قصير، وتركز على الصور والفكاهة. ولأنها

تبتغى رضاء مختلف الأنماط من القراء، تختنف وظائف النوعية والشعبية تختلف تبعاً لذلك.

تتبنى الصحف الشعبية الإتجاه العاطفى، وتتجه مباشرة إلى مشاعر قرائها. وعلى العموم فإنها تعكس آرائها على نطاق محدود من الموضوعات المعروفة لقرائها أكثر من تقديم آراء جديدة وتستدعى فكراً عميقاً. وأحياناً يكون للصحف الشعبية تأثير فى إقناع قرائها للمطالبة بالعمل. وهذا يحدث عندما تقدم الصحيفة موضوعاً يؤثر على أو يهدد القارئ.

والصحف النوعية فى الجانب الآخر لها تأثير كبير على الموضوعات السياسية والإقتصادية والإجتماعية. بينما يختار القراء الجريدة التى تعكس وجهة نظرهم - فالقراء الأكثر تحفظاً يختارون الجناح الأيمن Daily Telegraph أو Times والقراء المتطرفين يختارون Guardian - كل هذه الجرائد تقدم ثروة من الخبرة والمواد السلطوية. يعتمد كثير من الناس فى مواقع القوة والمسؤولية على المعلومات التى تقدمها جرائد النوعية ويولى معظم القراء قدراً كبيراً من الإهتمام إلى الأفكار ووجهات النظر التى يعبر عنها الصحفيين والمساهمين الجادين.

لذا فإنه نقول الصدق أنه ولو أن Daily Mirror وحدها لديها أعداد توزيع ضعف عدد The Times, Daily Telegraph تأثير جرائد النوع ليست متعلقة بعدد النسخ المباعة كل يوم.

ثانياً: الإذاعة (الراديو والتليفزيون):

أذاعت هيئة الإذاعة البريطانية برنامجها الأول فى أول يناير سنة ١٩٢٧ مع J. C. W Reith (Lord Reith أخيراً) باعتباره مديرها العام. كانت ولا تزال B. B. e فريدة فى ترتيبها، لأنها أسست كخدمة عامة محتكرة، مسؤولة عن تقديم

المعلومات، والتعليم والترويح. رأى Reith أن مهمة الـ B. B. e، حرة من ضبط الدول والضغط التجارى.

كان Reith مديراً عاماً سلطوى. اعتبر أنه، لأن الـ B. B. e تمتعت باحتكار الإذاعة، وأن الناس سوف يستطيعون أن يأخذوا أو يتركوا ما يقدم لهم فى البرامج. افترض أن الأغلبية سوف ينصتون إلى الراديو، حتى أصبح ذات تأثير على نطاق واسع. وكان المحتوى التعليمى للبرامج تبعاً لذلك هو الغالب فى الأيام الأولى، ووضع Reith المعايير المحتملة التى تمد السامع بثقافة الطبقة الوسطى. فليس كل واحد يفضل هذا عن التوجه الأبوى والدكتاتورى. وأصبحت B. B. e تعرف «بالدمية» فى كثير من الأحياء.

الآن B. B. e ضُمت بمعرفة المحطة التجارية التى وضعتها الهيئة المستقلة للإذاعة. تقدم كل من المحطة التجارية والأربع شبكات نمط مميز من البرامج والتى تجذب سامعيها من الخاصة.

على أية حال، فإن الشبكة المنفصلة، تنتج سامعين منفصلين، تبعاً لأذواقهم وميولهم الخاصة - وتسميها لجنة Pilkington «الحاجب العالى» - توفق الناس أجهزتها إلى الموجه الخاصة - ونادراً ما تتغير لأخرى - وهذا يقلل من إحتمال «هبوط» السامعين وتعرضهم لمواد لا يرغبون فيها، وتُحد من قدرة المذيعين على إجتذاب سامعين جدد حيث تتمكن من عرض الأفكار الجديدة لسامعيها.

٢- التليفزيون:

وضع نمط الإذاعة فى الأيام الأولى B.B.e ومع إنتشار إذاعة التليفزيون بعد الحرب العالمية الثانية، تبنت نفس الخطوط. استعمل توجه رسمى جداً، ويعلن عن مشاهدة المساء بمعرفة من يلبس چاكت العشاء الذى يقوم بالبرامج ويقرأ الأخبار. وكان هذا صوت تقليدى للإذاعة موروث للتليفزيون بمعرفة Reith

الذى أصر على أن يرتدى من لا يرو خلف الميكرفون من خدمة الإذاعة زياً مناسباً للحالة. وفى الأيام التى كانت فيها الحياة أكثر رسمية وكان B. B. e موجه لثقافة الطبقة المتوسطة، والزى الرسمى كان طبيعياً أن يعتبر أمراً مرغوباً فيه.

كان إدخال التليفزيون التجارى فى عام ١٩٥٤ أول تحدى B. B. e. كانت الشركات التى تتحمل مسؤولية وضع البرامج فى القنوات المستقلة كانت مهتمة مبدئياً بإجتذاب أكبر عدد من المشاهدين. الميثاق الذى يعمل به هيئة التليفزيون المستقلة كان مصمماً خاصة لتأمين أن المعلنين ليس لهم جزء فى إنتاج البرامج. على أية حال فإنهم سوف لا يشترون وقت الإعلان ما لم يتأكدوا أن عدداً كبيراً من الناس سوف يرون إعلاناتهم. حيث أن العائد الوحيد من بيع البرامج للشركات وأنهم طبيعياً يتشوقون من إذاعة برامج والتى يرغبها العامة.

حيث اكتشفت أكثر الجرائد شيوعاً والناشرين والمؤلفين لأحسن الكتب قبل ذلك أن هناك وصفة للنجاح فى إجتذاب الجمهور - خليط من إثارة العواطف، والجنس والعنف. وسرعان ما تعلمت شركات البرامج المستقلة أن من أسباب الشيوع هو أن تعطى العامة ما يريدون أكثر مما تريد سلطة الطبقة الوسطى. تبعاً لذلك، فى وقت قصير بعد أن أتي التليفزيون التجارى إلى شاشتنا، كان هناك قلق عبروا عنه عن الطرق التى إنخفضت به المعايير. وكانت B. B. e مشتاقة إلى عودة سامعين لبرامجها، لذا خفضت من معاييرها وغيرت صورتها لتمنع العامة من إدارة مؤشراتها إلى القناة التجارية.

ولو أن الدولة ليس شأن مباشر على الإذاعة فهى تتمسك ببطاقة واحدة فى كمها. يمكن للبرلمان أن يرفض تجديد ميثاق بعد إنتهائه أسس I. T. A لمدة عشر سنوات وهى فترة تجريبية، وقبل نهايتها تتقدم اللجنة الخاصة بالإذاعة (لجنة Pilkington) فى سنة ١٩٦٠.

كـانت لجنة Pilkington ناقـدة للغـاية إزاء التليفـزيون التجارى، ولائمة عن هبوط المعايير الخاصـة بالإذاعة. وقد نشـر هـذا التقـرير وكان من الصعـب على I. T. A أن تتجاهل النقد المضاد ولو أنها كانت تسعى لتجديد الميثاق.

وبقيام قانون التليفزيون فى عام ١٩٦٤ زادت قوة I. T. A على إنضبـاط شركات البرامج. ومنحت B. B. e قناة ثانية. ومن ذلك الموقف استقرت العلاقة بين الهـيئـتين، وحـاولت I. T. A أن تتـجنب الإنتـقـادات وتوافـقت مع النمط الخاص الذى وضـعـه B. B. e وتحت رئاسـة المدير العـام، Sir Hugh Greene، وضـــع B. B. e بانتظام ما يخلصـهـا من صـورة «الخالة» وأن تقلص الصلة مع المؤسسة التى كانت جزءاً منها. الآن صار B. B. e أكثر «تقدماً» وأقل تحفظاً ومتوافقة مع ما يثار حولها من جدل فى وقتنا الحالى وليس تليفزيوناً تجارياً. وقد قُبل الأخير كنظام يُنبأ أكثر من الصحافة الشعبية. وقد جذب نجاحه كثير من المشاهدين.

وعلى الجانب الآخر يوجد B. B. e، يتهم باستمرار بالإنحياز، والتطرف جداً حتى ولو كان «ضد بريطانيا»، وإعطاء ميزة للعناصر الموروثة فى المجتمع، ويستمر بالخروج على القانون والنظام فى المجتمع.

لقد أصبح المجتمع البريطانى أكثر تعدداً فى العشرين سنة الماضى، لذا فهناك إجماع أقل فى الرأى عن ذى قبل حول الشئون الهامة والإجتماعية. وقد يحلو لنا أن نتصور إلى أى حد كان من الممكن للإذاعة البريطانية أن تكون مسؤولة عن الإقناع فى السياسة التى تكون مقبولة فى المجتمع ككل، عندما كان المجتمع نفسه أصبح أقل سلطوية وأقل إتحاداً فى أهدافه. على أية حال، لأنها إتحاد الإذاعة البريطانى، تعتبر صوت البريطانيين، وهى فى موقف فريد للخدمة كقوة موحدة. كثير من الناس يود لو أن B. B. e عاد إلى دوره السابق كمشكل للإتجاه أكثر

من الإقناع وهو دورها الحالى كإتجاه تابع، ومستعداً دائماً ظاهرياً أن ينشر الموضة الأخيرة والقفز على أقرب عربة مهما كانت.

٣- الآثار الإجتماعية للتليفزيون :

يوجد قدر كبير لدى الناس من حرية الإختيار بشأن الجرائد التى سيقرأونها، ولكن الأمر يختلف بشأن التليفزيون – والإختيار الوحيد فى B. B. e هو بين البرامج التجارية وبين ما تقدمه من مواد أخرى. وحيث أن لدى الأغلبية الآن القدرة على إقتناء أجهزة التليفزيون، زاد عدد المشاهدين، والأفكار التى يعبرون عنها والأعراف التى تؤلف الصورة التى بوجودها سيكون لها التأثير الملحوظ.

حيث أُدخل التليفزيون، صارت الرؤية هى النشاط الأعظم للعامة؛ لقد قُدرت ساعات المشاهدة بأكثر من أربعة ساعات ونصف يومياً. وكان لهذا الأثر فى إقتصار النشاطات التى إعتادت عليه فى هذا الوقت، لذا نشاهد تغيراً فى إنخفاض عدد مشاهدى دور السينما وعدد الأفراد المترددين على صالات الرقص والمسارح الخاصة بالعروض الموسيقية.

فى منتصف الخمسينيات بيعت حوالى ٢٥ مليون تذكرة فى السنة كل أسبوع، ولكن بحلول عام ١٩٧٥ ، هبط العدد إلى أقل من مليونين ونصف. ولربما يكون من الأمور الظاهرة أن مشاهدى السينما أكثرهم من الشبان – معظمهم ما بين الخامسة عشر والأربع والعشرين من عمرهم ممن شبوا مع التليفزيون.

ليس التليفزيون وحده هو مصدر الترويح. سواء أكان عارفاً بمسؤوليته أم لا، فهو وسيط هام فى عملية التنشئة. فهو قادر على العرض لمشاهديه فى شكل واضح جداً، كل أنماط المعرفة والتى قد لا تكون متاحة لمعظم الناس. فهو قادر على تزويدهم بكل الخبرات الجديدة، ويضع أمامهم الشخصيات ممن يتمتعون

بالإتجاهات ووجهات النظر حول موضوعات خاصة قد تكون لأول مرة. ودور تلك الشخصيات وهم من خلق التليفزيون نفسه هو قيادة الرأى العام.

يجب أن نتذكر، على أية حال، أن التليفزيون ليس هو المؤثر الوحيد الذى جاء ليحمل على الناس، وأنه من الصعوبة أن نقدر مدى وجوده كعامل هام فى التنشئة. وقد يكون مؤثراً فى تلك الحالات حيث يجذب الإنتباه نحو الموضوعات التى لم يكن للفرد أن يواجهها بعد، أو تأخذها الأسرة بعين الإنتباه، وكذلك بالنسبة للجيران، وفى المدرسة أو فى إطار الرفقاء. إذا كان الكثير مما يشاهد فى التليفزيون يدعم ما عند الفرد من خبرة تعلمها من حياته اليومية، هذا المشاهد من المحتمل أن يتقبل صورة التليفزيون ومعلوماته الجديدة على أنها صحيحة. الشخص الذى يشاهد التليفزيون بعين ناقدة ولا يراعى كل شىء يذاع على أنه صدق لأنه «يراها فى التليفزيون»، هو شخص لديه ثروة من الخبرة المتنوعة، وتعرض إلى عدد من مصادر الإثارة والمعرفة بعيداً عن جهازه.

٣- الأطفال والتليفزيون :

الأطفال والشباب أكثر الناس تأثراً. عبَّر كثير من قلقهم، وعن آثار مشاهدة التليفزيون. قد يكون لمثيرو الخوف ما يرضون إلى حد ما عن مخاوفهم، ولكنهم ينسون إن كان التليفزيون مؤثراً كما يدعون فإن له أيضاً قوى للأحسن.

الدراسة الكبرى الأولى عن آثار التليفزيون على الأطفال فى بريطانيا قام بها H. T. Nimmelweit وزملائه، ونشرت نتائجها فى عام ١٩٥٨ (التليفزيون والطفل). وأهم حقيقة ظهرت من هذا البحث هى أن ذكاء الطفل له علاقة بعادات مشاهدته – كلما زاد ذكاء الطفل قلت ميوله نحو مشاهدة التليفزيون. وكان هناك شاهد قليل للإختلافات الطبقية، حيث أن أطفال الطبقة الوسطى مما

أجريت عليهم الدراسة يشاهدون التليفزيون هامشياً وأقل من أطفال الطبقة العمالية.

والبحوث المبكرة فى هذا المجال دلت أيضاً على أن، ماعدا هؤلاء دون العاشرة، فضل الأطفال برامج الكبار عن تلك المصممة لمناسبة أعمارهم، والروايات المثيرة للجرائم كانت أكثر شيوعاً. بينما كان هناك بعض المؤشرات إلى أن القدر الملحوظ من العنف المعروض فى هذه البرامج، والتى كانت من كلا «رجال السوء» و «المحسنين»، أثارت المشاهدين ذو الشعور المرهف، ولم يكن هناك دليل على أن الأطفال يصبحون عادة عدوانيين أنفسهم بعد المشاهدة. وفى عدد قليل من الحالات حيث كان الأطفال فعلاً مضطربين إنفعالياً، شوهدت عليهم هذه الآثار.

خلص الباحثون، على أية حال، إلى أنه عندما يرى الأطفال العنف إعتادوا تحليل كل أنواع النزاع، فهم أكثر إستعداداً لتقبل العدوانية كوسيلة لمعالجة المشكلات اليومية. وقد يأخذوا العدوانية على علاتها، ويصبحوا أقل وعياً بما يترتب عليها.

ودلت البحوث أيضاً أن «المنحرف» أو «المضطرب» من الأطفال والكبار أيضاً، يستعملون التليفزيون بطريقة مختلفة عن معظم الناس. فهؤلاء ممن يعيشون حياة عائلية غير آمنة لسبب أو لآخر، هؤلاء ممن لديهم صعوبة فى إتخاذ أصدقاء، وعمل علاقات شخصية حسنة مع الآخرين – غالباً ما يشار إليهم أنهم غير متكيفين – قد يعوضوا عن هذا العوز أو الهروب من الواقع وذلك بأن يصبحوا معتمدين على التليفزيون.

يُذَكِرنا الأستاذ James Nalloran فى آثار التليفزيون أن :

> يكون الطفل حاجاته، وإتجاهاته وردود أفعاله عن التليفزيون ليس كفرد منعزل، ولكن كواحد يعيش فى مجتمع، واحد له خبراته

الماضية، وعواطفه الحالية وتوقعاته فى المستقبل. وعليه قد يبدو أكثر فائدة أن نوجه هذه الأسئلة – ماذا يفعل مختلف أنواع الأطفال مع التليفزيون؟ – أو كيف يُستعمل التليفزيون بمعرفة هؤلاء ممن ينتمون إلى خلفيات ومحاباة؟ – عن أن نسأل ماذا يفعل التليفزيون للطفل؟.

تعتبر مشكلة آثار صورة التليفزيون عن العنف والفضيلة واحدة من أسباب الإهتمام المستمر، وهى تميل إلى تجاوز ما هو جيد من الوسيلة. كما يعتبر تطوير الإذاعة المدرسية، وإمتداد الخدمات التعليمية، ويتضمن تأسيس الجامعة المفتوحة، والتى تستعمل التليفزيون كواحد من طرق التدريس، كلها مؤشرات إلى الجهود الهائلة للتليفزيون وسطاً لرفع المعايير التعليمية وتحسين المستويات الثقافية للمجتمع.

٤- التليفزيون والسياسة :

كان البحث الأول فى بريطانيا عن الآثار السياسية للتليفزيون هو دراسة عينة من الناخبين قام بها Joseph Treneman و Panis Mc Quail أثناء الإنتخابات العامة لعام ١٩٥٩. أجريت مقابلات للناخبين قبل الحملة الإنتخابية، لاحظ الباحثين تأرجح عام بسيط فى الإتجاهات نحو المحافظين، لكن الناخبين فى العينة كانوا غير متأثرين بما رأو على التليفزيون. والباحثون فى دول أخرى قد وصلت إلى إستنتاج أن التليفزيون واحدة له أثر قليل على الإتجاهات السياسية لدى الناس.

معظم أصحاب الأصوات – المصوتون ممن لا يصوتون لحزب فى كل إنتخابات – عادة ما لا يكون مهتمين بالسياسة. وبالتالى يبدون إهتماماً قليلاً أو لا يبدون، للإذاعات السياسية، لذا فهم محميون بعوزهم للإهتمام ضد التأثير المحتمل للتعرض لها.

وهنا بعض الشواهد تدل على أن الأغلبية من وجهات النظر للمواد السياسية

تلجأ إلى التليفزيون والتى يسميها علماء الإجتماع العرض الإختيارى؛ أى أنهم يختارون فقط أن يشاهدوا البرامج التى تعتبر وجهة نظر الحزب المنتمى إليه. إذا ما حدث أن نشاهد برامج من «الجانب الآخر»، فمن المحتمل أن يعاملوهم بريبة نوعاً ما ويأخذون ما يقال بالمثل كذرة ملح.

للتليفزيون القدرة على خلق وتصميم الشخصيات، ولهذا السبب، يعتقد كثير من الناس أن قادة السياسة - وكنتيجة الأحزاب السياسية - يمكنهم أن يقفوا أو يَسْقُطوا تبعاً للطريقة التى حكم بها المشاهدون على صورته التليفزيونية. ودلت الأبحاث التى أُجريت لبحث تقدير الناخبين للنوعيات الشخصية للقادة السياسيين، دلت، على أية حال أن التليفزيون لا يؤثر كثيراً على أفكار الناس نحو القادة. يأخذ المشاهدون فى الحسبان الأداء الكلى للقادة - إنجازاتهم، وسلوكهم فى البرلمان، تواجدهم فى الأحداث المحلية - ليس فقط قدرتهم (أو تعوزهم القدرة) على الأداء الجيد أمام كاميرات التليفزيون.

فى الحقيقة لم يكن هارولد ولسن وحزب العمال شعبيين أثناء الجزء الأخير فى فترة وجودهم فى الحكم من سنة ١٩٦٦ - إلى ١٩٧٠، بالرغم من مضاعفة ولسن من قدرته أن يبدو فى الصورة المرغوب فيها على الشاشة. والفكرة الأساسية هى صراحته، وأمانته، وإخلاصه كما تدل عليه صورته فى التليفزيون أصبحت نكتة شائعة.

كما لاحظنا فى هذا الفصل على النظام السياسى، هناك شواهد واضحة تدل على أنه بسبب مشاهدة التليفزيون على سبيل العادة بالنسبة لكثير من الناس، يتعرض السكان إلى حد كبير للمعلومات التى لا ترى كإذاعة مباشرة سياسية. من المؤكد أن العالمين من الناس سيسعون للحصول على المعلومات من التليفزيون، ولكن ليس ذلك دائماً صادقاً. ولكن من المؤكد أيضاً سيسعون للحصول على المعلومات من كل المصادر المحتملة لهم، ويعتبر التليفزيون هو الوسيلة المتاحة

للمشاهد غير المتعلم. والأقل تعليماً يجدون من السهل الحصول على، والإمتصاص للمعلومات من التليفزيون عن أى مصدر آخر. ومن هنا يشاهدون فقرات الأخبار بإنتظام. تحتوى الأخبار والمجلات على قدر كبير من المعلومات على طبيعة السياسة، ومن الصعوبة على المشاهدين أن يلتقطوا بعضها على الأقل.

٥- تأثير التليفزيون على الثقافة :

التليفزيون وسيط قومى للإتصال. بينما كثير من الأحداث الدولية – الهبوط على القمر، مسابقة الغناء، مسابقة ملكة جمال العالم، مباريات كأس العالم – تشع فى ملايين من البيوت، معظم مناظر التليفزيون السائدة قومية.

ولو أن تركيبة الخدمات التليفزيونية تسمح للناس ممن يعيشون فى مختلف أجزاء الدولة لترى برامج ذات الإهتمام الإقليمى، وأكبر جزء من المادة تظهر على شاشاتنا تأتى من مصدر مركزى. هذا المصدر يقع فى لندن، وكثير من الناس ينقدون التليفزيون لأنه يميل إلى إعطاء الطابع أن الحوادث الوحيدة والمهمة تحدث حول العاصمة، وأن بيوت المقاطعة هو أعظم مستقبل. بعض البرامج القومية عن الأقاليم تميل إلى معالجة الطرق المختلفة للحياة ولو أنها كانت «قطعة متحفية» – بدت غريزية فى مسار التقدم الإجتماعى.

بعض الناس (لربما ممن يعيشون فى الجنوب الشرقى) يعتقدون أن إنتشار التراث الشعبى من خلال التليفزيون شيء حسن، لأنه يرقى الشعور بالوحدة القومية. المشاهدون ممن يعيشون فى المقاطعات، وفى المناطق الريفية البعيدة، على أية حال، يكون لديهم وجهة نظر مختلفة، ويعبرون عن الأشياء عن الطريقة التى فيها يتوقعون أن يمضوا وقتاً كبيراً من مشاهدتهم يشاهدون البرامج التى لها علاقة قليلة بخبراتهم الحياتية.

نقد آخر للتليفزيون باعتباره وسيط ثقافى تافه لأى موضوع يتناوله. أخبار

جادة يتلوها كوميدياً؛ حتى نشرة الأخبار عادة تنتهى بمذكرة خفيفة لأحداث تراجيدية يمكن حكايتها. المزاج الخاص بالمشاهدين يمكن تناوله بمهارة. لذا فهو بديل ضعيف «لشيء حقيقي». قد يكون هذا حقيقي، ولكن من المحتمل أن يشاهد الناس المسلسلات فى التليفزيون بدلاً من المسارح.

التليفزيون نفسه صديق قوى للفنون فى وقتنا الحاضر، السماسرة. مؤلفى الدراما - مُعدى المسرح، السينارست، الفنانين راضين عن شهية المادة الجديدة.

هذا يقودنا إلى نقطة النهاية لنأخذها بعين الإعتبار - إلى أى حد نأخذ التليفزيون؟ هناك دليل على أن ما يشاهد التليفزيون بإنتظام، يستعمل التليفزيون أساساً للإسترخاء والترويح حتى فى بعض الحالات الشاذة.

إن الجدال الدائر حول إستعمال أو سوء الإستعمال للتليفزيون يمدنا بمثل جيد لنوع النزاع المصاحب للإختراع وتغير المجتمع. فإدخال التليفزيون وما تلاه من ثورة فى الإتصالات قد أشير إليها فى هذا الكتاب، وهو القليل من الكثير من التطور الهام الذى حدث فى وقت قصير نسبياً. كلها تتجه إلى إقامة مجتمع يمثل تحدياً وموضوعاً للدراسة.

«هذا العمل عرض قراءة شخصية خاصة لمضمون النص».

المراجــع

(أ) المراجــع :

- Beattie, John. *Other Cultures*. Routledge and Kegan Paul, 1966.
- Bettelheim, Bruno. *The Children of the Dream*. Paladin, 1971.
- Bottmor, T. B. *Sociology*. Allen and Unwin, 1971.
- Butler, David E. and Stokes, D. *Political Change in Britain*. Macmillan, 1969.
- Davis, Kingsley and Moore, W. E. "Some Principles of Stratification" in *American Sociological Review*. April 1945.
- Douglas, M. (ed.) *Man in Society*. Macdonald, 1964.
- Goldthorpe, J., etc. *The Affluent Worker: Industrial Attitudes and Behaviour*. Cambridge University Press, 1968.
- Halloran, James (ed.) *The Effects of Television*. Panther, 1970.
- Himmelweit, H. T. *Television and the Child*. 1958.
- H. M. S. O. *Social Trends*. H. M. S. O., 19770.
- Lipset, S. M. *Political Man*. Heinemann, 1963.
- Mair, L. *An Introduction to Social Anthropology*. Oxford University Press, 1972.
- Mead, Margaret. *Growing Up in New Guinea*. Penguin, 1970.
- Parker, S. R. *The Sociology of Industry*. Allen and Unwin, 1967.
- Woolf, Myra. *Family Intentions*. H. M. S. O., 1971.

(ب) مراجع للقراءة :

- Ash, Russell. *Talking About the Family*. Wayland, 1973.
- Beteille, A. (ed.) *Social Inequality*. Penguin, 1969.

- Bronfenbrenner, Urie. *Two Worlds of Childhood.* Allen and Unwin, 1970.
- Burland, Coltie. *Men Without Machines.* Aldys, 1965.
- Butler, D. and Stokes, D. *Political Change in Britain.* Penguin, 1971.
- Christie, David and Scott, Alex. *Economics in Action.* Heinemann, 1977.
- Cootes, Richard. *The Family.* Longman, 1974.
- Davies, Brian and Hender, Derek. *Production and Trade.* Longman, 1974.
- Dickinson, Susan. *Leisure.* Longman, 1976.
- Dickinson, Susan. *Women and Society.* Longman, 1978.
- Douglas, M. (ed.) *Man in Society.* Macdonald, 1964.

Fletcher, R. *The Family and Marriage in Britain.* Penguin, 1969.
- Gabriel, Philip. *British Government.* Longman, 1975.
- Gibbs, P. (ed.) *Peoples of Africa.* Holt, Rinehart and Winston, 1965.
- Goodacre, E. *School and Home.* National Foundation for Educational Research, 1970.
- Grant, N. *Soviet Education.* Penguin, 1964.
- Halloran, J. (ed.) *The Effects of Television.* Panther, 1970.
- Hay, David. *Human Populations.* Penguin, 1972.
- Heath, R. B. *The Persuaders; Sounds and Images*; The Popular Press. Nelson, 1975.
- Hewlett, Mark. *Urban Focus.* Methuen, 1974.
- Higgs, A. *Law and Order.* Longman, 1967.
- Howells, W. *The Heathens.* Doubleday, 1962.

- Jenkins, David. *Enquiring About Society*. Longman, 1974.

- Last, Mercia. *Race Relations in Britain*. Longman, 1978.

- Mair, L. *Primitive Government*. Penguin, 1962.

- May, John. *Living in Cities*. Longman, 1966.

- North, P. *Religion in Britain*. Longman, 1978.

- O'Donnell, Allan. *Education and Society*. Longman, 1975.

- Richards, Michael. *Population*. Longman, 1978.

- Roshier, Robert. *Crime and Punishment*. Longman, 1976.

- Schofield, M. *Social Research*. Heinemann, 1970.

- Snell, M. *Marketing and Advertising*. Longman, 1978.

- Turner, J. *World Inequality*. Longman, 1978.

- Vaizey, John. *Education in the Modern World*. Weidenfeld and Nicolson, 1967.

- Williams, Raymond. *Communications*. Penguin, 1970.

- Wilson, B. *Religion in a Secular Society*. Penguin, 1969.

- Zinkin, T. *Caste Today*. Oxford University Press, 1962.

Exercises

1- Describe

(a) What sociology is,

(b) the kind of research sociologists do, and

(c) what more you now understand about your own society as a result of studying sociology. (A.E. B)

2- In what ways has your study of sociology affected the way you see the world? (A. E.B.)

3- How does the study of sociology differ from the study of anthropology?

4- Explain how the *social sciences* differ from the ***humanities***.

5- Outline briefly two major approaches to the study of sociology.

6- "When people's behaviour takes account of the existence of others, and is affected by rxpectations about others, we call it 'social'. "Give three examples of different kinds of social behaviour and describe the roles and norms associated with each of your examples. (A. E. B.)

7- Explain clearly what is meant by the following terms: association; institution; community.

8- What problems would you expect to find if you were to go to live in a society very different from the one in which you had grown up?

9- Explain the terms *culture and sub-culture*. Is there a distinctive youth culture in Britain today?

10- How important is the influence of the peer group in forming attitudes and opinions in young people in our society? (A. E. B.)

11- Is there any evidence to suggest that the extended family is declining in importance in Britain?

12- Is the function of the family being affected by the increasing activity of the Welfare State? (A. E. B.)

13- In what ways might the stability of the family as a social institution be affected by making divorce easier?

14- More married women than ever before are now going out to work. Examine the reasons for this, and explain how it affects family life.

15- Imagine a country in which living in families was officially prohibited. Describe the difference this might make to that society. (A. E. B.)

16- A hundred years ago the average number of children in a family was about six; what is the corresponding average now? Explain this change. (A. E. B.)

17- Examine the relationship between the economic system and the educational system.

18- Important changes have taken place in secondary education in the last thirty years. Give a sociological explanation of these changes.

19- What are the arguments for and against the existence of a private sector in education?

20- To what extent has the aim of equality of educational opportunity been achieved? (A. E. B.)

21- Explain carefully what is meant by tripartite and comprehensive systems of secondary education. What factors have tended to make english secondary education move towards various kinds of comprehensive schemes? (A. E. B.)

22- Explain the terms: caste; estate; social class.

23- "Britain is now a classless society". Discuss this statement critically. (A. E. B.)

24- How does membership of a social class affect a person's lifechances?

25- What is meant by social mobility? What evidence would you use to indicate whether or not social mobility has increased in the last fifty years?

26- In what ways does a totalitarian political system differ from a democratic system?

27- What are pressure groups? Give two examples of influential pressure groups in our society, and say why you think they are influential. (A. E. B.)

28- Explain the functions of political parties.

29- "The monarchy has outlived its usefulness". Discuss.

30- What sociological evidence is there to indicate a connection between social class and voting behaviour in the United Kingdom? (A. E. B.)

31- Assess the influence of (a) the Press, (b) television, and (c) opinion polls on politics.

32- Why are people paid such widely varying wages for the work they do?

33- Professional associations have been described as trade unions for gentlemen. Is this a valid description?

34- Some areas have high unemployment rates whilst jobs are available in other parts of the country. What factors tend to prevent unemployed workers moving into other areas where there are jobs?

35- What do you understand by automation? Describe some of the results of the increasing use of automation in our society. (A. E. B.)

36- Different social groups spend their leisure time in different ways. Describe and account for some of these differences.

37- "The kind of work a man does influences his whole way of life". Discuss this statement giving examples wherever appropriate. (A. E. B.)

38- What kind of problems do you consider are likely to face a young person making the transition from school to work?

39- Explain carefully the following terms: infant mortality rate; life expectancy; mortality rate.

40- What are the most important consequences of an ageing population?

41- The population of the United Kingdom is now about 56 Million. Describe some of the important differences it would make if the population rose to 80 million. (A. E. B.).

42- How do sociologists account for the fact that suicide rates and crime rates are so much higher in urban than in rural areas?

43- Distinguish between *formal sociability* and *informal sociability*. Explain the need for formal sociability in an urban area.

44- Why are racial minority groups more likely to be found in large towns and cities than in rural areas? Outline some of the likely consequences of the uneven distribution of immigrants in the United Kingdom.

45- What forces other than school and family control the social behaviour of the individual? (A. E. B.)

46- Explain carefully the difference between *ascribed status* and *achieved status*.

47- Describe the most important characteristics of (a) charismatic, and (b)bureaucratic organisations.

48- What do some sociologists mean by "social control"? Describe some of the ways be which social control is achieved in our society. (A. E. B.)

49- Why are sociologists interested in religion? What kinds of studies of religion do sociologists make? (A. E. B.)

50- What evidence is there to suggest that religion is losing its influence in our society?

51- What do sociologists mean by "deviant"? Give three examples of different kinds of deviant behaviour, and explain why they are or are not socially acceptable. (A. E. B.)

52- What social factors contribute to delinquency and crime?

53- Explain exactly what is meant by the term "mass media" Choose any one medium and say how important it is in influencing people's attitudes and behaviour. (A. E. B.)

54- To what extent is it true that "youth culture" is simply the result of the mass media catering for working-class tastes? (A. E. B.)

فهرس تفصيلي

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول
المدخل للعلوم الإجتماعية

الفصل الثاني
الــــــزواج

الفصل الثالث

الأســـــــــرة

الفصل الرابع

الـتـعـلـيـــم

الفصل الخامس

التمايز والتدرج الإجتماعي

الفصل السادس
السياسة والنظم السياسية

الفصل السابع
النظام الإقتصادي
«العمل والفراغ»

الفصل الثامن

بناء السكان وتوزيعهم في بريطانيا

الفصل التاسع

الإستقرار الإجتماعي والتغير

الفصل العاشر

الإتصـــــــالات